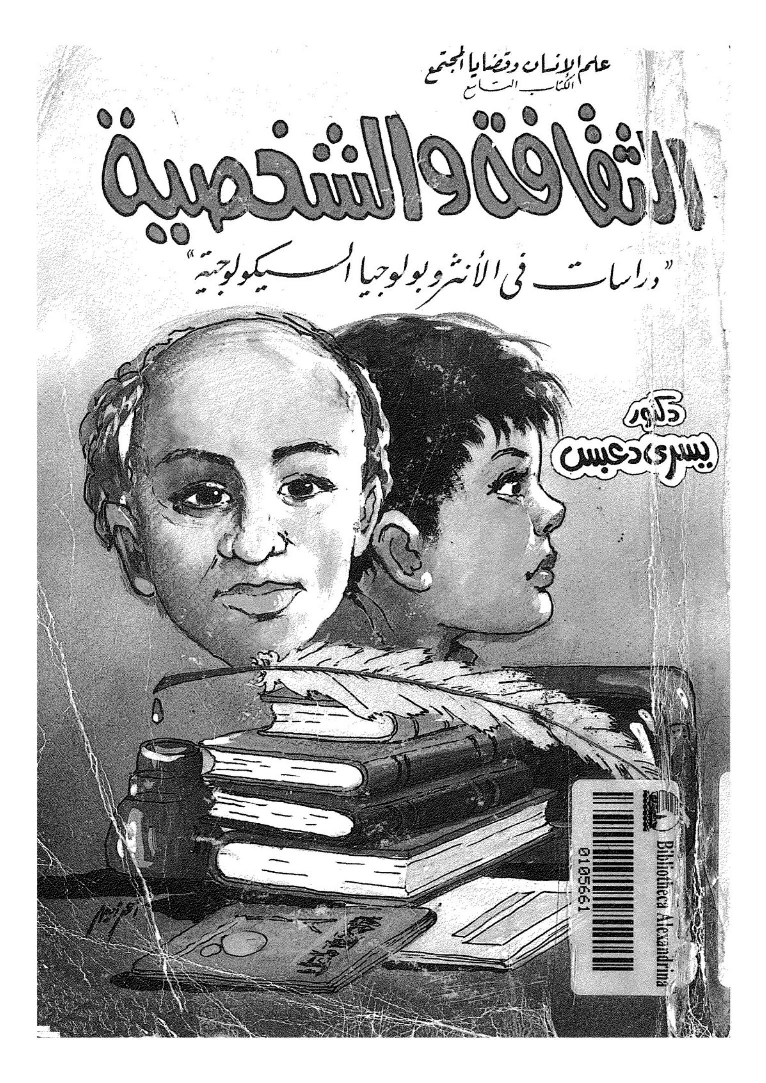


علم الإنسان وقضايا المجتمع
الكتاب التاسع
الثقافة والشخصية
"دراسات في الأنثروبولوجيا السيكولوجية"
دكتور
يسرى دعبس
Bibliotheca Alexandrina
0105661

علم الإنسان وقضايا المجتمع
الكتاب التاسع

الثقافة والشخصية

"دراسات في الأنثروبولوجيا السيكولوجية"

تأليف

الدكتور محمد يسري إبراهيم دعبس

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولقد كرمنا بنى ءادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

﴿ سورة الإسراء الآية ٧٠ ﴾

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى أستاذى الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب وكيل كلية الآداب - جامعة الاسكندرية للبحوث والدراسات العليا الذى يتابع بصفة دائمة خطواتى العلمية ويوجهنى لمزيد من المجالات البحثية المتميزة والحديثة فى علم الانسان .

وأتقدم بشكرى وتقديرى لأساتذتى وزملائى أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوچيا - كلية الاداب على تشجيعهم المستمر لى ، وأخص بالشكر والتقدير جميع أفراد عائلتى وأسرتى الصغيرة على التشجيع وتوفير المناخ الملائم لمواصلة مسيرة البحث والإبداع والشكر بكل الحب والتقدير إبنى المهندس أسامة الذى يتابع بعض الأعمال الإدارية المتعلقة بمؤلفاتى العلمية ويحرص على قراءتها والاستفادة منها .

وأخص بالشكر جميع أبناء مجتمعات البحث محل الدراسة الميدانية بوادى النطرون والدقهلية والاسكندرية .

د. يسرى دعبس

الإهـــداء

إلى أســـــتاذى

العـــالم والبـاحث والزاهد

الأســتاذ الدكتــور / جـمـال حـمدان

فقد تتلمذت على إبداعاتك المتكررة التي عكفت عليها وظنوك اعتكفت وانزويت ولكنك وهبت نفسك وزهدت الدنيا ودخلت راهباً وباحثاً مدققاً وعالماً اصيلاً فى محراب العلم ، فكانت رحلة صمود وكفاح وصبر وجلد وتفوق للأنسان على نفسه وبعده عن ملذات الدنيا وصراعاتها الدنيئة ، وها أنت أستاذى سكنت فى رحاب الله تاركاً وراءك علماً متميزاً رصيناً أصيلاً ينتفع به غيرك وكانت هذه المؤلفات هم أبناؤك الذين لن يموتون إلا بنهاية العالم ، وها قد تركت وراءك أستاذى الآلاف من تلاميذك الذين تعرفوا على ملامح ومقومات شخصيتك من إبداعاتك الأصيلة ، كما عرفوا الملامح القومية لمصر التى تمسكت بالبقاء فيها وان تدفن فى ثراها برغم جحود بعض أبنائها عليك .

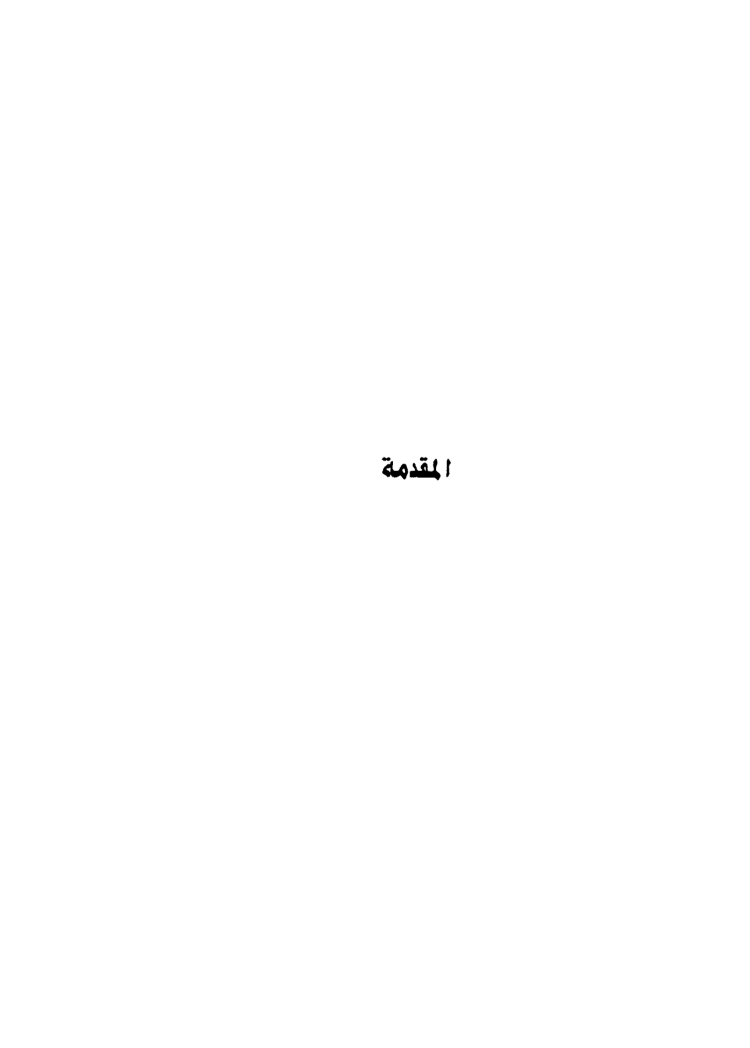
فالخـط يا أستـاذى يبقى زمانا بعد كاتبه

وكـاتب الخـط تحـت الأرض مـدفـون

يارب العالمين إغفر لاستاذي وأسكنه فسيح جناتك مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

تلميذك

يســري دعبـس



المقدمة

الثقافة والشخصية

(دراسات فى الانثروبولوجيا السيكولوجية)

لما كان موضوع الثقافة والشخصية يعد من الموضوعات الهامة فى البحوث الأنثروبولچية وبصفة خاصة فرع الأنثروبولوچيا السيكولوچية ، حيث تركز الإهتمام فى هذا الصدد فى بحث العلاقة بين الثقافة والشخصية فى محاولة لتحقيق نقطة إلتقاء بين علم الإنسان وعلم النفس من أجل رؤية أكثر عمقاً لفهم الشخصية فى ضوء المحيط الثقافى الذى تحيا من خلاله .

ونلمس الدور الهام لعمليات التنشئة الإجتماعية فى البيئات الثقافية المتباينة فى فهم طبيعة العلاقة بين الثقافة والشخصية من خلال الأنماط السلوكية المرتبطة بانفعالات وإدراكات وخبرات الفرد والتى يتلقنها عبر الأجيال الكبرى بالنقل الشفهى وتنمو وتتأصل معه وتؤثر فى شخصيته الى حد بعيد .

وهذا يعنى أن كل ثقافة يسرى فيها تيار أخلاقى خاص ينساق فيه الفرد متأثراً بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز ، وتكون المعايير نسبية تختلف فى معناها وحدودها من مجتمع الى آخر ولذلك فالجنوح عن صراط تلك المعايير أمر نسبى والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافية أخرى .

ويتضمن التراث الأنثروبولوچى الكثير من الممارسات التى تتم فى الشعوب المختلفة مثل شعائر التكريس للطبقات العمرية فى القبائل الإفريقية خصوصاً وأن شعائر التكريس والعلامات المصاحبة لها فى جسم

الإنسان أو وجهه تدل دلالة واضحة ومتميزة على إنتماء الفرد الى طبقة عمرية دون أخرى ، ويترتب على ذلك مجموعة من الحقوق والالتزامات والواجبات نحو أعضاء تلك الطبقة العمرية بعضهم البعض ، كما تنشأ تبعاً لذلك مجموعة من التحريمات بصدد الزواج من بين أعضاء تلك الطبقات العمرية وأبنائهم .. الخ .

كما يمدنا التراث الأنثروبولوجي بالمعلومات الاثنوجرافية للشعوب المختلفة وكيف أن غرس الأفكار عند الطفل يتم سواء في المجتمع البدائي أو المتحضر عن طريق الأسرة ومن خلال عمليتي التنشئة الإجتماعية والتنشئة الثقافية ، وهنا تلعب الأسرة في المجتمع التقليدي دوراً هاماً في تلك العملية وهي بهذا تقوم بمساندة التركيب الإجتماعي وتدعيمه ، أما في المجتمع المتحضر فتشترك المدرسة مع الأسرة في غرس الأفكار وتشكيل العقليات بالإضافة للوسائط التربوية الأخرى ، كالإذاعة والتليفزيون والمجلات والجرائد والثقافة المحلية وجماعة الرفاق .. الخ .

ويزخر أيضاً التراث الأنثروبولوجي قديماً وحديثاً بما يؤيد الدور الذي تلعبه الثقافة وأثره الواضح في تقديم تفسيرات لطبيعة الكون للفرد وكيف أن الثقافة تغرس الأفكار والقيم والمبادئ الخاصة بكل نمط مجتمعي على حدة في تواصل عبر الأجيال عن طريق النقل الشفهي من جيل الكبار الى جيل الصغار ولهذا نلمس تمايزاً واضحاً في المعتقدات والأفكار والآمال والقيم السائدة بين أبناء كل نمط مجتمعي من الأنماط المجتمعية المختلفة على حدة وتأثير ذلك على مقومات الشخصية ومحدداتها في تلك البيئات واختلاف رؤية الانسان لذاته وللآخرين في تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وأثر الشخصية في تلك الثقافة باعتبار أن الانسان هو متلقيها

وناقلها وملقنها وهو المتوارث لها عبر الأجيال وهو الذى يغير ويبدل ويعدل فى السمات الثقافية المختلفة ووظائفها من أجل استقرار وتساند المجتمع .

ويمدنا التراث الأنثروبولوچى بالعديد من الأمثلة الميدانية من إختلاف نظرة الشعوب بين بعضها البعض لمختلف الأنماط السلوكية مثل إختلاف طبيعة دور الرجل والمرأة فى الثقافة البدوية والريفية والحضرية ، وإختلاف النظرة الى قيم الذكورة والأنوثة فى تلك الثقافات المختلفة وأثر ذلك على مركز وشخصية الرجل والمرأة فى تلك الأنماط المجتمعية ، كما يمدنا هذا التراث باختلاف عملية التنشئة الاجتماعية فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف الأساليب والأدوات المستخدمة فى تلك العملية وإختلاف الأشخاص القائمين على التربية والتنشئة فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وبهذا توصل الأنثروبولوچيون الى أن عوامل الفطرة والوراثة لا تكفى لتفسير السلوك الإنسانى وشخصية الفرد كما كان يذهب علماء النفس وإنما ترجع الى حد كبير الى جانب العوامل السابقة الى عامل المحيط الإجتماعى والثقافى .

وبناء عليه نجد أن الشخصية تلعب فى التفاعل الإجتماعى ومن ثم العلاقات الإجتماعية باتساعها أو ضيقها دور الذات والموضوع معاً وتبعاً لذلك فهى تؤثر وتتأثر بالثقافة الى حد كبير .

لذا نجد من الأهمية بمكان دراسة الشخصية كوحدة واحدة أن نتعرف على تأثير كل من نواحى التكوين النفسى للإنسان من بعضها البعض ، حيث أن الناحية الجسمية فى الشخصية لا تؤثر على الناحية العقلية للشخص فقط وإنما يمتد تأثيرها الى جميع عناصر الشخصية فمن الثابت

علمياً أن لإفرازات الغدد الصماء تأثيراً كبيراً ليس فقط على النمو الجسمى والحركى بل أيضاً على الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الإتزان والانفعال والنضج الجنس وكل هذا يؤثر فى الشخصية من حيث إتزانها أو إختلالها النفسى والإجتماعى .

وبناء عليه تأتى أهمية الدراستين التطبيقيتين فى هذا الكتاب والتى تتعلق الأولى بدراسة التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة فى محاولة لتبيان العلاقة بين عناصر التكوين النفسى الجسمى والانفعالى والعقلى والخلقى والثقافة فى الأنماط المجتمعية والمحلية البدوية والقروية والحضرية ومدى التأثير والتأثر فى بعضهما البعض وأثر ذلك على حياة المسن من الجنسين فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً من جميع النواحى الحياتية .

وقد قمت بتطبيق الدراسة فى ثلاث أنماط مجتمعية متباينة ثقافياً وهى المجتمع المحلى البدوى بنجع بنى سلامة بوادى النطرون والمجتمع المحلى القروى بقرية كفر بهيدة مركز ميت غمر . والمجتمع المحلى الحضرى بمحرم بك بالاسكندرية .

كما تأتى أهمية الدراسة الثانية وهى دراسة التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفة كمبحث هام فى الأنثروبولوچيا السيكولوچية لكون عملية الإدمان فى حد ذاتها هى نمط سلوكى يمارسه الشخص أو بعض أفراد المجتمع الذين ينتمون للمجتمع ويدخلون فى دائرة العلاقات الإجتماعية الواسعة فى هذه المجتمعات المتباينة ثقافياً ومن ثم يؤثر فيه ويتأثر بالمحيط الإجتماعى والثقافى ، وبناء عليه يبرز إلتقاء وجهتى النظر النفسية

والأنثروبولوچية فى الإهتمام بسلوك الشخص المدمن فى تلك الثقافات المتباينة ومن ثم إبراز المعنى الرمزى للمواد المخدرة وبالنظر إليها والطقوس والوظائف المقترنة بالتعاطى ، وهذه المعايير تتأثر بالثقافة التى ينتمى إليها الشخص المدمن وبالتالى تؤثر فى الأبعاد المختلفة لتكوينه النفسى وهذا ما سيتضح عند عرضنا للدراسات الميدانية ونتائجها .

ولقد اخترت ثلاث نماذج لأنماط مجتمعية محلية لنتعرف على التفاوت الواضح فى العلاقة بين الثقافة وشخصية المدمن وهى المجتمع المحلى البدوى بالعامرية ، والمجتمع المحلى القروى بقرية كفر بهيدة مركز ميت غمر والمجتمع المحلى الحضرى بمنطقة الدخيلة بالاسكندرية .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسات على عدة مناهج واتجاهات نظرية تتطلبها الأبعاد المتداخلة والمتشابكة فى هذه الدراسات منها الاتجاه البنيوى الوظيفى ، والمنهج المقارن ، ومنهج دراسة الحالة .

كما استخدمت كافة الأدوات الأنثروبولوچية التى تتيح لى الدراسة المركزة الشمولية لكافة جوانب القضية محل الدراسة كالملاحظة بالمشاركة ، المقابلة ، الإخباريون ، دليل العمل الميدانى ، التسجيل الصوتى برغم صعوبة استخدامه ولكن لغزارة المعلومات التى يمكن جمعها عن طريقه .

الباب الأول

المفاهيم والتصورات والاتجاهات النظرية حول دراسة الثقافة والشخصية

الفصـــل الأول : الأنثروبولوچيا السيكولوچية

(المجال والمفاهيم والاتجاهات النظرية)

الفصل الثانى : العلاقة بين الثقافة والشخصية

الفصل الأول

الأنثروبولوجيا السيكولوجية
المجال والمفاهيم والإتجاهات النظرية

الانثروبولوجيا السيكولوجية

المجال والمفاهيم والإتجاهات النظرية

أولا: مجال البحث فى الانثروبولوجيا السيكولوجية:

مما لا شك فيه أن موضوع الثقافة والشخصية يمثل موضوعاً من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة فى مجال البحوث الأنثروبولوجية وبالذات فى إحدى الفروع الحديثة وهى الأنثروبولوجيا السيكولوجية ، حيث نجد إهتمام الفرع الحديث والمتميز يتركز فى بحث العلاقة بين الثقافة والشخصية من حيث محاولة الإلتقاء بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس فى بحث تلك العلاقة المتشابكة والمترابطة وبالتركيز على الرؤية الأنثروبولوجية والنفسية لهذا المبحث الهام والمتميز الذى يتطلب تعاوناً جاداً أكاديمياً وأمبيريقياً من قبل علماء الأنثروبولوجيا الثقافية وعلماء علم نفس الشخصية .

ومما هو جدير بالذكر أن الانثروبولوجيا السيكولوجية عرفت فى جميع أقسام البحوث الاجتماعية والانثروبولوجية فى الوطن العربى والعالم أجمع بأنها دراسة «الثقافة والشخصية» وقد بدأ الإهتمام بهذا الفرع الحديث والمتميز فى منتصف العشرينات من هذا القرن خصوصاً فى أعمال كل من سيلجمان *Seligman* ومالينوفسكى *Maliniwski* وفرانز بواس *Boas* ومارجريت ميد *Mead* وإدوارد سابير *Sapir* وروث بندكت *Ruth*

Bendict وغيرهم [١] .

وقد كان العلماء قبل ذلك ينظرون الى الثقافية والشخصية على أنهما موضوعين متمايزين ، ويدرس كل منهما كموضوع مستقل عن الآخر ، ويرجع التميز بينهما أصلاً إلى التمييز بين العلوم الاجتماعية والسيكولوچية عموماً مما أدى الى صعوبة تفسير بعض المواقف التى تتصل بطبيعة سلوك الانسان فى المجتمع ، ولقد ساهم ظهور الإتجاه الفرويدى بقدر كبير فى تصور طبيعة الإنسان وخصوصاً فى تحديد معالم نموذج الشخصية وظهرت آثار هذا الإتجاه على العلوم السيكولوچية والاجتماعية فى القرن العشرين خصوصاً وأن التحليل النفسى كانت كفته راجحة على الانثروبولوچيا فى الربع الأول من القرن العشرين [٢] .

وبناء عليه ، كان كثير من رواد المنظور الانثروبولوچى فى الثقافة والشخصية ينتمون الى مدرسة التحليل النفسى مثل إريك فورم *Erick Form* وإبرام كاردينر *Abram Kardiner* وإريك إريكسون *Erick Erikson* . وبالنسبة لعلماء النفس التحليليين فقد نظروا الى الشخصية ومشاكلها السيكولوچية من خلال منظور سيكولوچى ودرسوا المشكلات النفسية بعيداً عن الثقافات وإعتقدوا أن الظواهر السيكولوچية تتواجد فى جميع المجتمعات مثل عقدة أوديب ومشاكل المراهقة ، فهى تسود كافة المجتمعات الإنسانسة ولا تختلف من مجتمع الى آخر [٣] .

(١) أنظر : محمد يسرى إبراهيم دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى - دراسة فى الانثروبولوچيا الاقتصادية - دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ص ٢٩٤ .

(٢) محمد يسرى ابراهيم دعبس ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

(3) Hallowell Irviny, Culture, Personality and Society in Krober ed Anthropology today, 1953, p. 25.

وقد ساعد مفهوم كروبر عن ظاهرة «مافوق العضوى» للثقافة على إعتبار ان الثقافة شيء منفصل عن الأفراد فى تدعيم فكرة انفصال الثقافة عن الشخصية ، وفسر فكرته أن التاريخ فى تقدمه إنما يحدث مستقلاً عن ميلاد الشخصيات ، كما تتجاوز الثقافات عقول وأجسام الأفراد الذين يعيشون فى هذه الثقافات ، وقد واجهت فكرة كروبر *Krober* عن ظاهرة ما فوض العضوى بعض الإنتقادات على أساس أن الثقافة لا يمكنها أن تتواجد بدون الفرد ، ولكن تأخذ الظاهرة شكلاً موضوعياً لابد وأن تكون ممثلة فى فكر الإنسان ، إلا أن "هيرسكوفيتز" يرى أن عملية الفصل لا تحدث إلا فقط فى عقل الباحث [١] .

وإذا كانت الانثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة ثقافات الإنسان فى المناطق المختلفة فى العالم دون الإهتمام بتأثير الثقافة على شخصيات حامليها فإن علماء النفس وعلى وجه الخصوص الأطباء النفسيون يقومون بتحليل شخصيات الأفراد المرضى ويركزون إهتمامهم على مظاهر الإختلاف والتفرد فى شخصيات البشر ، ولا تثر الثقافة إنتباههم [٢] إلا أنه فى منصف العشرينات من هذا القرن وكما سبق القول ظهر الإهتمام بهذا المجال الحيوى لدى بعض الأنثروبولوچيين بدراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية ، وقد وجد هذا الإهتمام صدى وتعاوناً وتجاوباً من بعض علماء النفس وبخاصة الأطباء والمحللين النفسيين ، وبناء عليه أجمع هؤلاء على أن الثقافة عامل محدد للشخصية السوية وغير السوية وأبعادهما المختلفة

---

(١) محم حسن غامرى ، مقدمة فى الأنثروبولوچيا العامة ، المكتب الفنى الجامعى الحديث ، ط٢ ، سنة ١٩٨٩ ، ص ٧٠ .

(٢) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١ ص ١٥ .

ولا يمكن إغفاله بأى حال من الأحوال عند دراسة مثل هذه النماذج من الشخصية فى بيناتها الثقافية المختلفة .ولقد صاحب إنتشار هذا الفرع الحديث بعض الإعتراضات والإلتباسات بشأن عدم الفهم الواضح والعميق للعلاقة بين الثقافة والشخصية ، ولقد ذهب كل من كلاكهوهن *Kluckhohn* وموراى *Murray* إلى أن مصطلح «الثقافة والشخصية» قد يفهم منه بعض التناقض والثنائية مثل تلك العلاقة بين مصطلح «الروح والمادة» فيفضلون إستخدام مصطلح «الثقافة فى الشخصية أو الشخصية فى الثقافة» (١) .

ودرس كل من كلاكهوهن وموراى مكونات الشخصية من الناحية البيولوجية والبيئية والفيزيقية والاجتماعية والثقافية وكذلك الخصائص المزاجية والجماعات السلالية والدور الاجتماعى ، ولقد ذهبا الى أن هناك أربعة محددات أساسية للشخصية ، وهى الجبلية *Constitutional* وعضوية الجماعة *Group Membership* والدور *Role* والمركز الاجتماعى ويفسران الفروق بين شخصيات الكائنات البشرية بسبب التباين والتمايز فى صفاتهم البيولوجية وكذلك البيئة التى يعيشون فيها ، فى حين أرجعا جوانب التشابه الى التناسق البيئى والبيولوجى (٢) .

ويفضل فرنسيس هسو *F. Hsu* إستخدام مصطلح الانثروبولوجيا السيكولوجية بدلاً من «الثقافة والشخصية» حيث أن الإصطلاح الأخير

See :

(1) Kluckhohn, C. and Murray, H. (eds) Personality in Nature, Alfred A. Knopf, N.Y., 1959, p.p. 43-45.

(2) Hus, F. (ed) Psychological Anthropology, Approaches to Culture and Personality, The Dorsey press, Inc., Homewood, 1961, p. 3.

يشير الى الشخصية ككل مستقل عن الثقافة فى حين أن الواقع الأمبيريقى يبرهن لنا ومن واقع البحوث الميدانية التى قمت بها فى الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة أن الشخصية تنمو وتبرز سماتها ومقوماتها وتفردها بخصائص معينة تختلف من نمط مجتمعى الى آخر بناء على تمايز المحيط الثقافى لهذا المجتمع وصبغه للشخصية فى مراحلها العمرية المختلفة بمقومات معينة تختلف من ثقافة لأخرى .

بناء عليه تبرز أهمية عدم الفصل بين الثقافة والشخصية لإرتباطهما الوثيق وتفاعلهما الدائم والمستمر فى مراحل عمر الفرد المختلفة ، كما نجد هذا العالم يحدد هوية الانثروبولوچيا السيكولوچية كفرع متميز من الانثروبولوچيا الثقافية خصوصاً وأن الحقائق والقرائن تبين نشأته بفضل مجهودات علماء الانثروبولوچيا الثقافية مع مطلع العشرينات من هذا القرن .

ويذهب "عاطف وصفى" الى أن هناك إصطلاح لم يُكتب له النجاح وهو «الأثنوجرافيا النفسية» برغم تميزه عن المصطلحين السابقين فى كونه يتكون من كلمة واحدة فى اللغات الاجنبية هذا من ناحية ووضوح هويته كفرع للأنثروبولوچيا الثقافية من الناحية الأخرى (١) .

ولقد أخذ الإهتمام بموضوع الثقافة والشخصية يتزايد فى الوقت الحاضر بعد تركيز الأنثروبولوچيين على دراسة عمليات التغير الثقافى فى

---

(١) أنظر :

(2) Hus, F. (ed) Psychological Anthropology, Approaches to Culture and Personality, The Dorsey press, Inc., Homewood, 1961, p.p. 5-6.

- عاطف وصفى ، مرجع سابق ص ١١ .

المجتمعات البدائية والنامية ، وقد أظهرت دراسة عمليات التغير الثقافى أن الفرد فى المجتمع ليس مجرد حامل سلبى لثقافة المجتمع وإنما هو أيضاً مخترع لعناصر ثقافية جديدة ، ولديه القدرة على رفض أو قبول أى تجديد فى ثقافته ، أو إقتباس وإستعارة سمات ثقافية من ثقافات أخرى ، وهكذا وجد الباحثون أن الفهم الدقيق لظاهرة التكامل الثقافى ولعمليات التغير الثقافى يتطلب الرجوع الى حقائق علم النفس وخصوصاً علم نفس الشخصية ، وقد لاحظوا أن حالات رفض أو قبول تغيرات ثقافية فى مجتمع ما ترتبط بصورة ما بمدى توافق العنصر أو المركب الثقافى الجديد مع الشخصية العامة لأعضاء المجتمع ، هذا بالإضافة الى ملاحظة أن شخصيات أعضاء المجتمع الواحد تتفق فى سمات معينة (العموميات الثقافية) ويرجع ذلك الإتفاق الى معيشتهم فى ثقافة واحدة [١] .

فضلاً عن ذلك ، فإن هناك نهضة علمية وتطبيقية فى دراسة هذا الموضوع بدأت مع مطلع الستينات من هذا القرن لدى عدد كبير من الباحثين الأنثروبولوجيين خصوصاً وأن دراستهم جاء تركيزها على محاولة فهم القضايا الأساسية المرتبطة بمفهوم الطابع القومى أو الشخصية القومية *National Character* ، ولقد إهتم الباحثون بدراسة الأنماط الثقافية المختلفة وأثرها على مكونات الشخصية القومية مثل الشخصية القومية الروسية أو الأوروبية وغيرها من الشخصيات القومية التى أمكن صياغتها وتحديدها فيما بعد بما يعرف بإصطلاح الشخصية النموذجية أو النمطية *Model Personality* [٢] .

(١) عاطف وصفى : الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١١ .

(٢) محمد عباس ابراهيم ، الثقافات الفرعية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الخامس ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ص.ص ٣١٥-٣١٦ .

ولذا أجد أنه من الأهمية بمكان الإهتمام بهذا المجال المتميز من البحوث فى منطقتنا العربية تمهيداً لإلقاء الضوء على الملامح القومية التى تميز الشخصية فى كل قطر عربى على حده بغية الوصول فى النهاية الى الشخصية النموذجية أو النمطية العربية والتى تحمل الكثير من المحددات الثقافية للبيئة العربية من خلال احداث فوج من المزج بين العموميات الثقافية والخصوصيات الثقافية فى منطقتنا خصوصاً وأن هناك من الدعائم المجتمعية والثقافية التى تسهل ذلك كالإمتداد الجغرافى الطبيعى والتشابه فى العادات والتقاليد وعامل اللغة والدين الواحد لأغلب أبناء المنطقة .

كما نجد أن هناك العديد من المجالات التى يتضح فيها أثر الثقافة فى تكوين الشخصية وتحديد سماتها الرئيسية ومن أهمها تلك الدراسات عن السمات المميزة لشخصية المرأة ووضعها ومركزها وإختلاف أدوارها فى الثقافات المختلفة متتبعاً المرأة فى تطور دورها وأوضاعها ومراكزها تاريخياً حتى عالمنا المعاصر .

ونجد أيضاً أن الأساليب الثقافية والتحريمات المحيطة بكل من الرجل والمرأة فى إشباعهما للغريزة الجنسية تختلف إختلافاً جذرياً فى الأنماط المجتمعية المختلفة ذات الثقافات المتباينة ، وبناء عليه تختلف رؤية المجتمع كذلك عند قبائل الزولو عن قبائل السكوما عن قبائل الفولانى فى نيجيريا الشمالية [1] .

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر :
محمد عبده محجوب ، مقدمة فى الانثروبولوجيا ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، ص.ص ١٩٣-٢١٠ .

وإجمالياً وفى ضوء الدرسات الأنثروبولوجية التى أجراها كثير من العلماء مثل بندكت وميد ولينتون ومالينوفسكى وهوينجمان وكاردينر وكلاكهوهن وموراى وسيلجمان وإريكسون وإريك فورم وغيرهم عن الثقافة والشخصية بات من المؤكد أن المجتمع والثقافة والشخصية لا يمكن إعتبارهم متغيرات مستقلة ، فالإنسان ككائن عضوى يعتبر مركز ديناميكى للخصائص المزاجية *Modes* وللعمليات التكيفية ، وتعتبر هذه العمليات من خصائص الوجود الإنسانى ، مما يؤكد أن المجتمع والثقافة والشخصية ظاهرة إنسانية ووحدة متكاملة ، ويؤدى التكامل إلى إستمرار الإنسان ، ويساعده على ذلك تكوينه البيولوچى الذى يشتمل على خصائص عضوية تساهم فى عملية التكيف ولكى تتحقق عمليه التكيف لابد وأن تتوافر شروط محددة خارج التكوين العضوي للإنسان من أهمها وجوده بين كائنات إنسانية أخرى ، وجوداً فيزيقياً وإجتماعياً ، ويعتمد تطور خصائص البناء السيكولوچى للإنسان على إكتساب الخبرة الاجتماعية المباشرة من خلال التفاعل مع الآخرين ، ولذلك يتطلب المجتمع الإنسانى علاقات منظمة وأدوار متمايزة وأنماط من التفاعل الإجتماعى [١] .

وبناء عليه فإن دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية من جانب علماء الأنثروبولوچيا يوضح مدى إهتمامهم بدراسة الجوانب السيكولوچية فى الثقافة .

(1) Hallowell, op. cit., p.p. 26-27

ثانيا: الإهتمام التاريخى والاكاديمى بدراسة الثقافة والشخصية :

مما لا شك فيه أن مجال الأنثروبولوچيا السيكولوچية قد تحدد بصورة متكاملة فى الثلاثينـــات من هذا القـــرن العشرين إلا أن جذور هذا الفرع الحديث والمتميز تدب فى أزمان بعيدة وسيتضح لنا ذلك من خلال هذا العرض المبسط للإهتمـــام التاريخى ثم الإهتمام الأكاديمى المقرون ببعض الدراسات الأمبيريقية لرواد هذا المجال الحديث من الباحثين الأنثروبولوچيين .

فلقد لاحظ المؤرخ «هيرودوت *Herodotus*» فى القرن الرابع قبل الميلاد الفروق الواضحة بين العادات الإغريقية والعادات الفرعونية .

كما قام المفكر «تاسيتوس *Tacitus*» فى القرن الأول الميلادى بمقارنة سلوك القبائل الجرمانية الشمالية بأسلوب الحياة فى مدينة روما ، وعندما جاء عصر الإكتشافات وإكتشفت أمريكا وباقى أجزاء العالم ، بدأ الأوربيون يعرفون الكثير عن أساليب معيشة الشعوب الأخرى ، ولاحظوا الإختلافات الشاسعة بين لغات الشعوب الأخرى وثقافاتهم ، وصاحب هذه الفترة إختـــراع الطباعة وإنتشار المعلومات عن الشعوب المختلفة وأقاليمهم ، ولقد ساهمت تقارير حملات التبشير للجزويت والفاتحين مثل «كاستيلو» فى توضيح إختلاف أساليب معيشة الشعوب [١] .

وإهتم المفكرون فى القرن التاسع عشر بمقارنة الشعوب المختلفة سواء المعاصرة أو القديمة ، وقد ساعد على تنمية وآثاره هذا الإهتمام إكتشافات الچيولوچيا ولآثار وعلم طبقات الأرض ونظرية دارون .

---

(١) عاطف وصفى . الثقافة ومحدداتها الثقافية . دار النهضة العربية . ١٩٨١ . ص ١٢

ولقد كثرت الدراسات الأثنولوچية والتاريخية مع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى التى إهتمت بمقارنة الثقافات والفترات الزمنية المختلفة ، وفى نهاية القرن التاسع عشر نشأت الأنثروبولوچيا الثقافية بفضل مجهودات العالمين «تايلور *Tylor*» ولويس مورجان *Morgan* ، إلا أنه فى مؤلفات بعض المؤرخين وفلاسفة التاريخ ظهرت اللبنات الأولى لموضوع الثقافة والشخصية مثل «بوركخارت» فى كتابه «مدينة عصر النهضة فى إيطاليا ، «وهايزنجا » فى دراسته لثقافة العصور الوسطى فى فرنسا وهولندا فى القرن الرابع عشر الميلادى ثم «شبنجلر" ودراسته فى فلسفة التاريخ «عن إنهيار الغرب[1]» . وكذلك مجموعة الدراسات الأنثروبولوچية الرائدة بداية من مالينوفسكى ثم دراسات كل من مارجريت ميد وروث بندكت ولينتون وهوينجمان وإبرام كاردينر وغيرهم .

ونجد من الأهمية أن نعرض فى شىء من التفصيل لإهتمام فلاسفة التاريخ والأنثروبولوچيون بموضوع الثقافة والشخصية فى المعالجة التالية :

١ - بوركخارت:

ولقد تحدث بوركخارت فى كتابه حديثاً «مدينة عصر النهضة فى إيطاليا » عن الملابس والأعياد وقواعد الإتيكيت والعقائد الدينية والعقائد الشخصية وأساليب الفكاهة ، ودرس كذلك الإنجازات العظيمة لعصر النهضة ، وقام بمقارنة مدينة عصر النهضة فى إيطاليا بالثقافة الإيطالية فى فترة العصور الوسطى ، وتوصل الى نتيجة هامة ، وهى أن مدينة

---

(١) أنظر :
عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ١٢ - ١٣ .

النهضة يسودها الإتجاه الفردى والنزعة للتفرد ، وأثبت ذلك عن طريق كثرة وتعدد أنماط الملابس والإهتمام بإنجازات الأفراد ، وقصص النجاح الفردى ، وإنتشار الأساطير حول أماكن ميلاد الرجال المشهورين ، وأماكن قبورهم ، فى كتاب سير المشاهير من الرجال ، هذا بالإضافة الى ضعف تطبيق القوانين فى تلك الفترة ، مما يؤيد ظهور الإتجاه الفردى من أهم خصائص الثقافة الغربية ولايزال مسيطراً على الكثير من نظم وأنساق تلك الثقافة وهذا ما يضفى قيمة على تلك الدراسة المبكرة (١) .

٢ - هايزينجا:

لقد درس هايزينجا إتجاه ثقافة العصور الوسطى فى فرنسا وهولندا فى القرن الرابع الميلادى ولقد تأثر فى دراسته بالمؤرخ بوركخارت ، فيقارن بين العصور الوسطى وعصر النهضة إلا أنه يختلف مع بوركخارت فى عدم دراسة مولد عصر النهضة وإنما درس فترة إنحصار وتداعى ثقافة العصور الوسطى ، وإهتم بدراسة الإتجاهات العاطفية السائدة فى تلك الفترة ـ القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى فى فرنسا وهولندا وحددها بأنها التذبذب الدائم بين اليأس والفرحة وبين القسوة والرقة ، كما ناقش الاثار العاطفية التى ترتبت على المواكب الدرامية مثل الجنازات والتعذيب العلنى ومواكب الإعدام العلنى والمواعظ المزخرفة لرجال الدين (٢) .

وبناء عليه تتمثل روح ثقافة العصور الوسطى فى فترة إنحسارها فى حالة تناقض المشاعر تجمع بين القسوة والشفقة ، فبينما كانت حالات المرض والفقر والجنون هى أكثر الحالات التى تدعو للشفقة ، كانت تعامل تلك الحالات فى الوقت نفسه بقسوة غير

---

(١) عاطف وصفى ، ص ١٣ .

(٢) عاطف وصفى ـ مرجع سابق ص ص ١٣ ـ ١٤ .

معقولة .

ويذهب هايزينجا الى أن رجال هذا العصر كانوا دائماً يتذبذبون بين الخوف من جهنم والفرح الشديد وبين القسوة والرقة وبين الزهد الشديد والتمسك بمباهج الدنيا وبين الحقد والطيبة ، أى أن الإتجاه السائد فى عواطفهم كان الانتقال السريع من النقيض الى النقيض ، وقد توصل «هايزينجا» لتلك النتيجة العامة فيما يتعلق بالسمات المشتركة فى شخصيات حاملى ثقافة العصورالوسطى فى زمان ومكان محددين عن طريق دراسة بعض الانماط الثقافية والمواعظ الدينية والرسومات والفنون الشعبية وشواهد القبور (١) .

وما هو جدير بالذكر أن كل من بوكخارت وهايزيجا قد أشارا الى حقيقة هامة وهى تكامل الثقافة وإمكانية وجود صيغة كلية للثقافة الواحدة ، إلا زن هايتزينجا يمتاز على بوركخارت فيما يتعلق بالعلاقة بين الثقافة والشخصية التى هى الموضوع الرئيسى فى الأنثروبولوجيا السيكولوجية بأنه إنتقل صراحة من مجرد وصف ثقافة مجتمع ما الى تحديد السمات المشتركة ·تركيب السمات) فى شخصيات الأفراد حاملى تلك الثقافة ، ثم تأكيده أن تلك السمات فى شخصياتهم مردها الى ثقافتهم وعملية التأثير والتأثر فيما بينهما .

٣ - شبنجلر:

وتعد دراسة شبنجلر فى فلسفة التاريخ عن «إنهيار الغرب» من الدراسات القيمة ، ويشبه شبنجلر الثقافات بالكائنات الحية ، وأن الثقافة مثل الكائن البيولوچى تولد وتموت ، ولقد سبقه ابن خلدون الى هذا بقرون طويلة ، ومع ذلك فقد تعرض هذا الإتجاه البيولوچى فى تفسير تطور

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

الثقافات للنقد الشديد .

ولقد كان شبنجلر اول من بحث ظاهرة ثقافية هامة وهى «الإستعارة الانتقائية» للعناصر الثقافية ، وشرح كيف تنتقل العناصر الثقافية من مجتمع الى آخر ، وما يطرأ على تلك العناصر من تغيرات لكى تلائم الثقافة الجديدة ، كإنتشار البوذية من الهند الى الصين وما صاحبها من تغيرات فى المجتمع الجديد .

كما يرى شبنجلر ان الاساليب التى يطبقها مجتمع ما فى تعديل وتغيير العناصر الثقافية المستعارة من مجتمع لآخر تعكس الاتجاهات والقيم السائدة فى ثقافة ذلك المجتمع ، ولا تقتصر تلك الاساليب على تعديل العناصر الثقافية المستعارة وانما تشمل كذلك عمليات رفض بعض العناصر المستعارة ، وبناء عليه فإن «اسلوب النظر إلى الحياة» السائدة فى ثقافة ما كما ذهب شبنجلر هو المسئول عن عمليات التغيير والرفض التى تجريها تلك الثقافة على العناصر الثقافية المستعارة من ثقافة اخرى (١) .

ومما لاشك فيه أن شبنجلر محقاً فى ذلك حيث يثبت الواقع والدراسات الامبيريقية أن اقتباس أو استعارة بعض العناصر الثقافية من ثقافة الى اخرى يمر بمرحلة رفض أو قبول أو تعديل فعندما تداخل هذه السمات الجديدة الى المجتمع فقد يحدث ثمة تعديل لسمة أو تحديث للسمة الثقافية فى المجتمع ، أو مكوث السمة الثقافية الجديدة الى جانب السمة القديمة ، كإستخدام البدو فى صحراء مصر للاوانى الالومنيوم والبلاستيك الى جانب الاوانى النحاسية والخشبية واستخدام موقد الغاز الى جانب الفرن لتقليدى وهكذا .

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :
- عاطف وصفى ، مرجع سابق ص ص ١٤ - ١٦ .

ولقد قام شبنجلر بعقد عدة مقارنات بين الثقافة الاغريقية والفرعونية حيث توصل الى تحديد اختلاف واضح فى «اسلوب النظر الى الحياة» فى الثقافتين وحدد كل من خصائص الثقافية والفرعونية والاغريقية بصفة خاصة لعنصر الزمن واهميته وانعكاس ذلك على شخصية الاغريق والفراعنة .

وهكذا فعل عند تحليله لشخصية حاملى الثقافة الغربية وتحديده لخصائص الثقافة الغربية مثل اهتمام الشخصية الفرعونية بأهمية الزمن وليس أدل على ذلك من انتشار ساعات الابراج وساعات الحائط ، إلا انه ميز الثقافة الغربية عن الفرعونية بالاهتمام بمفهوم المكان حيث يرى أنه الآلات الموسيقية الغربية هى تعبير عن الرغبة فى شغل المكان اللانهائى للصوت وميل الثقافة الغربية نحو التأمل والتصور والتخطيط للمستقبل [١] .

وبناء عليه قدم شبنجلر فى عرضه وتحليله للقيم الثقافية الغربية إسهاماً عظيماً فى مجال الانثروبولوجيا السيكولوجية بتقديه لمبدأ «الصيغة الكلية» فى الثقافة ويقصد به تكامل الثقافة حول مجموعة من القيم والاتجاهات ، هذا فضلاً عن إهتمامه بعملية «الاستعارة الانتقائية» للعناصر الثقافية ، حيث ان تلك العملية من اهم العمليات التى تحدث فى كل الانماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة عن طريق الاتصال الثقافى وعمليات الانتشار الثقافى وما يتخلل ذلك من عمليات إقتباس واستعاره وإنتقاء ، إلا ان ما يعيب شنجلر هو محاولته قصر وجود عمليتى التكامل الثقافى والصيغة الكلية لا يوجدان إلا فى المجتمعات المدنية والثقافات المعقدة الكبرى دون الثقافات البسيطة وهذا ما ثبتت عكسه نتائج البحوث الانثروبولوجية القديمة والحديثة فى هذا الصدد وخير دليل على ذلك هو تفرد كل من الشخصية البدوية والريفية والحضرية بمحددات ثقافية وسمات ثقافية ونفسية وإتجاهات رئيسية نحو القيم والاتجاهات العامة السائدة فى كل نمط ثقافى من انماط تلك المجتمعات المتباينة ثقافياً .

---

(١) انظر:
- عاطف وصفى ، مرجع سابق ص ص ١٥ - ١٦ .

٤ - مالينوفسكي ودراسته للتروبرياند:

تعد دراسة مالينو فسكى *Malinovski* لجزر "التروبرياند" من أهم الدراسات الانثروبولوچية التى مهدت لظهور الانثروبولوچيا السيكولوچية لانها اشارت الى أهمية مرحلة الطفولة فى تكوين الشخصية وهى بذلك تلتقى مع ركيزة مدرسة التحليل النفسى التى يتزعمها فرويد من حيث إهتمامها هى الاخرى بأهمية هذه المرحلة من مراحل نمو الانسان ومدى تأثيرها فى تكوين شخصيته ، وبناء عليه تلتقى تلك النظرتان فى أهمية هذه المرحلة برغم اعتراض مالينوفسكى على بعض تفاصيل نظرية التحليل النفسى فى ضوء الواقع الامبيريقى .

لقد حاول مالينوفسكى فحص تصوير مدرسة التحليل النفسى لعملية تأثير مرحلة الطفولة على الشخصية وبصفة عامة عقدة أوديب ، ويدأ دراسة لجزر التروبرياند من تساؤل مؤداه هل ننظر الى "عقدة أوديب" كما حددها فرويد على انها ظاهرة انسانية عالمية توضع فى كل الثقافات أو على انها من نتاج شكل معين لنظم الاسرة؟

ويبدو واضحاً أن فرويد تصور عقدة أوديب كظاهرة عالمية وخاصية أساسية للحياة البشرية حيث أنه أرجع جذورها للبيولوچيا ولعمليات التنشئة الاجتماعية ، فالطفل عندما يرضع من صدر امه لا يشتقبل فقط الغذاء وإنما يستقبل كذلك أول احساساته الشبقية ، وتتمركز تلك لاحساسات حول الفم ، حيث ان الفم هو اول واسطة يستخدمها الطفل فى اتصالاته مع العالم الخارجى ، ويرتبط المشاعر الشبقية للطفل بعد فترة متأخرة من نموه بمنطقة الشرج . ثم ترتبط أخيراً بالاعضاء التناسلية ،

وبناء عليه تصبح الام عن طريق عملية الرضاعة أول شخص أوشىء يحبه الطفل ، فى حين يستمر الوضع كذلك بالنسبة للولد الصغير تحول الفتاة حبها نحو الاب .

ويرى فرويد أن الانسان الحديث يتزثر فى سلوكه برواية «سوفوكليس» الشهيرة ، وهى الرواية التى تمثل وجود رغبة ممنوعة عند الابن وهى رغبته فى قتل ابيه والزواج من امه ، كما يرى فرويد أن تلك الرغبة تظل مكبوتة فى نفس الابن ولكنها بالرغم من ذلك تبقى فى اللاشعور عند كل انسان ، وتظهر بقوة عند العصابيين والذهانيين الذين يخفقون فى حل «عقدة أوديب» بنجاح [1] .

ومما لاشك فيه أن تعارض مالينوفسكى مع بعض تفاصيل نظرية فرويد واتباعه من مدرسة التحليل النفسى مرده أن مالينو فسكى قد أرى دراسته لجزر التروبرياند على مجتمع امومى يختلف تبعاً لذلك وورم الام والاب فى هذا النمط الذى اجرى فيه فرويد ابحاثه كما يختلف نسق الادوار فى المراحل العمرية المختلفة وكذلك إختلاف النظرة لقيم الذكورة والانوثة وكذلك عمليات التنشئة الاجتماعية فى كلا النمطين المجتمعين .

ويمكن إجمال بعض النقاط التى أوردها مالينوفسكى فى دراسته لخصائص الاسرة فى مجتمع التروبرياند وهو بصدد إختبار نظرية فرويد فى إيجاز شديد فى النقاط التالية :

١ - أن التسلسل القرابى فى مجتمع التروبرياند يسير فى خط الاناث وليس الذكور ومن ثم يصبح المولود عضواً فى عشيرة الام ولا يرتبط بأية علاقة قرابة مع عشيرة الاب .

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ص ١٨ ـ ١٩ .

٢ - تعيش الزوجة فى عشيرة الزوج ، حيث تسكن مع والد الزوج ، وتطبق القبيلة نظام وحدانية الزوجة فيما عدا الزعماء الذين يتزوجون عدة زوجات .

٣ - عدم إعتقاد التروبرياندبون فى وجود علاقة بين الإتصال الجنسى والحمل ، وإنما يعتقدون أن الطفل يوضع فى رحم الأم عن طريق إحدى قريباتها من الموتى ، وبناء عليه لا يعد الأب شريكاً للأم فى الإنجاب ، كما ينظر للطفل على أنه من صنع الأم فقط ويرتبط بأسرتها فى خط الإناث .

٤ - ينتقل الميراث من الخال إلى ابن أخته ولا يرث الابن أبيه ولذا ينظر الطفل الى خاله على أنه صاحب السلطة الرئيسية فى الأسرة و وذلك لأنه العائل للأسرة ، إذ يعطى الرجل منتجات حديقته لأخته على الرغم من أنه عادة يقطن فى قرية أخرى وأحياناً تبعد القرية التى يقطن بها الخال ستة أو ثمانية أميال عن مسكن أخته .

٥ - مسئولية تربية تقع على عاتق الأخوال ، فالخال هو المربى والمؤدب للأطفال ولا يقوم الأب بتلك الوظيفة التربوية . حيث ينتقل الأبناء بعد بلوغ السابعة من عمره الى تربية خاله يتعلم منه فنون الزراعة وتقاليد عشيرته .

٦ - يتلخص الوضع الاقتصادى ونظام السلطة فى أن الخال هو عائل الأسرة وهو الرئيس الشرعى لها ، وتليه أخته فى المركز حيث أنها لها ملكياتها الخاصة ولا يحدث أن يشاهد الأطفال أمهم وهى فى حالة خضوع لزوجها .

٧ - الأب لا يهمل أطفاله برغم تلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية حيث يعيش فى قريته ويمتلك البيت الذى يعيش فيه ، ويهتم بأطفاله ويلعب معهم خصوصاً قبل ذهابهم لعشيرة خالهم ويعطيهم من الوقت أكبر مما يعطيه الأب الغربى لأطفاله .

٨ - ينمو الأطفال فى مجتمع التروبرياند متمتعين بحرية كبيرة فى جميع المجالات بما فى ذلك مجال الجنس ، إذ يؤدى الأطفال ألعاباً جنسية بصورة علنية يقلدون فيها الإتصال الجنسى عند الكبار وتقابل تلك الألعاب بتسامح الكبار وتبادل الضحكات ، إلا أن تلك الحرية الجنسية تسود فى فترة الطفولة والبلوغ فقط وتتوقف بعد الزواج ، ولا يحد تلك الحرية إلا نظام المحارم الذى يمنع العلاقات الجنسية بين الاخوة وبين الأصول والفروع ، كما يلاحظ أنه يوجد تباعد اجتماعى بين الأخ وأخته عند إقتراب مرحلة البلوغ وما بعدها ، ويطبق هذا التابو لدرجة أقل على الأولاد والبنات المنتمين لعشيرة واحدة .

٩ - يعيش الأولاد خلال مرحلة المراهقة فى بيوت العزاب وهى أكواخ يقيمونها فى الغابة بعيداً عن القرى السكنية ، ويمارس الأولاد والبنات العلاقات الجنسية مع بنات العشائر الأخرى ، ويلاحظ أنه عند معيشة الولد فى بيت العزاب يستمر فى تناول طعامه عند والده أو عند خاله إذا كان قد إنتقل للمعيشة فى قرية خاله ، وبعد سنوات قليلة من الإنغماس فى إتصالات جنسية متعددة يختار الولد إحدى الفتيات ويتزوجها ، ويحضر عروسه الى بيت والده فى الفترة التى يبنى فيها كوخاً مستقلاً لنفسه ، وهكذا يعيش العروسان فترة شهر العسل فى بيت والد العريس .

١٠ - إختفاء الإباحية الجنسية بعد الزواج ويحل محلها نظام صارم يشجع على إنتشار إتجاه الإخلاص فى العلاقات بين الزوجين ، ويجعل من الخيانة الزوجية أمر نادر الحدوث ، كما أنه من المحرمات تبادل نظرات الحب أو الضحكات أو تماسك الأيدى بين الأزواج بصورة علنية .

١١ - يذهب مالينوفسكى أن سكان جزر التروبرياند يعيشون فى سعادة وهناء ويسود الوفاق بين الأزواج ولا يوجد بينهم حالات من الأمراض النفسية أو الذهانية أو حالات الجنسية المثالية ، ولم يقابل خلال إقامته أى فرد مصاب بالهستيريا أو اللوازم العصبية أو الأفعال القهرية والأفكار المتطرفة [١] .

وهنا نأتى إلى التساؤل الرئيسى ، ألا وهو ما وضع "عقدة أوديب" فى هذا المجتمع الذى يعيش تلك الثقافة التى تجعل الفرد من الجنسين يعيش حياته فى حرية وتحدد ثمة القيود فى مراحل معينة دون أخرى ، فضلاً عن كون المجتمع أموى ، فكيف إذن توجد رغبات شبقية مكبوتة نحو الأم ؟

ويصل مالينوفسكى من دراسته لسكان جزر التروبرياند الى عدة حقائق هى :

١ - عدم وجود رغبات شبقية فى تلك القبيلة .

٢ - ندرة الأحلام فى حياة أبناء هذه القبيلة برغم إقتناعه بوظيفة الأحلام فى تخفيف التوترات المكبوتة كما ذهب فرويد ، وتدل ندرة الأحلام

---

(١) أنظر : عاطف وصفى ـ مرجع سابق من ١٨ - ٢١ .

الجنسية وخلوها من أى رمز يدل على الرغبة فى علاقة جنسية مع الأم ، بناء عليه فإن أعضاء تلك القبيلة يتمتعون بشخصيات سوية .

٣- وجود حالات نادرة للإتصالات الجنسية بين بعض الأولاد وأخواتهم ولم يعثر على أى أثر لعقدة أوديب عند تحليله للقصص الشعبية والاساطير ولكنه لاحظ أن نظام المحارم بين الأخ والأخت يعد موضوعاً رئيسياً فى الأساطير الشعبية .

٤ - وجود بعض الدلائل التى تؤكد أن الأبناء يحملون مشاعر طيبة نحو آبائهم .

٥ - إظهار بعض الأبناء مشاعر عدوانية نحو أخوالهم برغم المكانة التى يحتلها الخال فى تلك القبيلة .

٦ - ندرة حدوث جريمة القتل فى تلك القبيلة ، ولم يعثر على أية حالة من حالات قتل الأم أو الاب أو الخال أو الاقارب بصفة عامة .

٧ - إنتشار عقدة الخال فى المجتمعات ذات التسلسل القرابى الأمى ، ومرد ذلك كثرة الاساطير الخاصة بالزنى بالمحارم أى بين الأخ والأخت فى تلك المجتمعات وبصفة خاصة مجتمعات الباسيفيك التى تنتشر فيها كذلك بعض القصص التى تعبر عن مشاعر العداء بين الرجل وخاله ، وأعتقد أن عقدة أوديب التى تمركزت حول مشاعر العداء الخفى بين الإبن والأب قد تكون إستبدلت عقدة العداء للخال نظراً لإحتلاله مكانة الأب فى تلك المجتمعات أو لأهمية دوره ولتمركز نمط السلطة والثروة فى يده وإنتقال الثروة بالميراث من الخال لإبن الأخت .

ومما يؤكد تصورى لعقدة الخال هو إصرار أحد علماء مدرسة التحليل النفسى فى رده على مالينوفسكى بأن عقدة أوديب موجودة فى مجتمع التروبرياند ودليله فى ذلك عدة نقاط هى :

١ - إنكار هذا المجتمع لدور الأب فى عملية الإنجاب يدل على وجود إتجاه كراهية نحوه .

٢ - إعتقادهم فى عدم مشاركة الأب فى الإنجاب لرفضهم العلاقة بين الإتصال الجنسى والحمل ، حيث يذهبون وكما سبق القول إلى أن الطفل يوضع فى رحم الأم عن طريق إحدى قريباته الموتى .

٣ - إنحراف الإتجاه العدوانى نحو نحو الخال بدل الأب كما أوضحت سلفاً .

ولقد وافق مالينوفسكى فيما بعد على رأى جونز وتفسيره لتحول كراهية الأب نحو الخال ، وإذا كان مالينوفسكى برفض تفسير فرويد لوجود إتجاه كراهية الأب فى الثقافة الغربية لإرجاعه ذلك لمشاعر التنافس الجنسى بين الاب والابن بينما يرجعها مالينوفسكى للدور التسلطى الذى يلعبه الأب فى الثقافة الغربية (الأبوية) والذى استبدل بالدور التسلطى للخال فى مجتمع التروبرياند حيث أن مالينوفسكى يرفض التنافس الجنسى فى تفسير الإتجاهات العدائية نحو الأب أو نحو الخال [١] .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الدراسة لها أهميتها الانثروبولوجية من حيث إبرازها لأهمية المنهج الميدانى وإن كانت قد غلب عليها الطابع الوصفى السردى دون أن تقدم تحليلاً لأثر ثقافة التروبرياند فى شخصيات

---

(١) أنظر : عاطف وصفى ـ مرجع سابق ص ٢٢ - ٢٣ .

حاملى تلك الثقافة ، وتحديد سمات الشخصية ودور الثقافة فى وجود بعض هذه السمات دون غيرها .

فضلاً على ذلك فإن أهمية الدراسة تكمن من الناحية الأخرى فى أنها أول دراسة أنثروبولوچية تحاول إختبار نظرية التحليل النفسى فى لب موضوعها "عقد أديب" فى مجتمع بدائى وقد ألقت الدراسة الضوء على حقيقة هامة وهى أن الجنس يمكن أن ينظر اليه ويعبر عنه بصور مختلفة فى الثقافات المختلفة ، فهو ليس ظاهرة بيولوچية عالمية ، وإنما ظاهرة متغيرة تخضع لثقافة المجتمع .

وإستكمالاً لجهود علماء الأنثروبولوچيا الذين توصلوا فى دراساتهم للثقافة والشخصية أن المحددات البيولوچية لا تحدد وحدها نمط الشخصية كما أن الصفات السيكولوچية لا تشكل وحدها الشخصية وإنما تتكون الشخصية بتفاعل كل الموروثات البيولوچية والقدرات السيكولوچية والثقافية التى يعيش فيها الفرد ، ولقد وجد الانثروبولوچيون فى دراساتهم للشخصية فى المجتمعات المتباينة ثقافياً أن معايير الشخصية تختلف من مجتمع الى آخر . حيث أن الثقافة هى العامل السائد فى تكوين أنماط الشخصية الأساسية بالنسبة لهذه المجتمعات . وفيما يلى نعرض لبعض الدراسات الأنثروبولوچية التى توضح الإهتمام الأكاديمى وتبرز بوضوح موضع الأنثروبولوچيا السيكولوچية وإستخدام طرق البحث العلمى وكيفية تطبيقها فى دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية .

١) دراسة روث بيندكت *Bendict* عن قبائل الهنود الحمر :

مما لا شك فيه أن دراسة بيندكت لقبائل الهنود الحمر تعد من الدراسات الأولى المتكاملة فى ميدان الأنثروبولوچيا السيكولوچية ، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هذه الباحثة الحقلية والعالمة القديرة تعد بجدارة مؤسسة الأنثروبولوچيا السيكولوچية .

ويمكن إرجاع أهمية دراسة "بيندكت" وتحليلاتها لثقافات القبائل التى عكفت عليها إلى أنها حددت العلاقة بين الثقافة والشخصية وطبيعة عملية التأثير والتأثر المتبادلة بينهما وحددت كيف يؤدى تأثير الثقافة الى وجود نمطين مختلفين تماماً للشخصية وأهمية الثقافة كعامل محدد للشخصية ، كما أنها حددت منهج الانثربولوچيا السيكولوچية حيث قررت أن الدراسة الميدانية للثقافات والدراسات العلمية للشخصيات هى منهج الأنثروبولوچيا السيكولوچية أما إستخدام المنهج الفلسفى الخاص بفلاسفة التاريخ كما سبق ونوهت فلا يمكن إدخاله ضمن إطار الأنثروبولوچيا السيكولوچية لأنهم لم يتتبعوا المنهج الأنثروبولوچى .

ومما يؤكد أهمية دراسة بيندكت والتى أفردت لها كتاباً بعنوان الأنماط الثقافية *Patterns of Calture* هى تقييم علماء الأنثروبولوچيين لهذا الكتاب ، فتقول مرجريت ميد أن كتاب نماذج من الثقافة يعد واحداً من أعظم الكتب التى ظهرت فى الربع الثانى من القرن العشرين فى العالم .

كما ذهب جورير الى أن كتاب العالمان "فرويد" ، و"برويز" عن «الهيستريا» هو تاريخ ميلاد علم نفس الشخصية فى عام ١٩٨٥ ، كما أن كتاب انماط الشخصية لبيندكت عام ١٩٣٤ هو تاريخ ميلاد الدراسة

العلمية للشخصية القومية [1] .

ولقد إستمدت بيندكت خبراتها الميدانية فى مجال دراسة الثقافة والشخصية من خلال دراستها عن قبائل «بيما» ولقد كانت تهدف من وراء هذه الدراسة أن تفهم الناس من خلال تحليل خصائص الأنماط الثقافية التى يتميزون بها ، وقد ضمنت هذه الفكرة فى بحثها الذى يحمل عنوان «الأنواع السيكولوچية فى ثقافات الجنوب الغربى» عام ١٩٢٨ ، ثم بلورت هذه الفكرة فى صورة جلية فى كتابها «الأنماط الثقافية» ١٩٣٤ ، هذا بالإضافة الى دراساتها للهنود بالجنوب الغربى فى العشرينات ، ودراساتها الميدانية فى الأربعينات من هذا القرن عن الأنماط الثقافية فى أسيا وأوروبا ، ولقد إستعانت فى هذه الدراسة بالإخباريين الذين إكتسبوا هذه الثقافات وعاشوا فى المناطق الحضرية بالولايات المتحدة ، ويعتبر كتابها « زهرة الإقحوان والسيف » ١٩٤٦ أشهر ما كتبته فى هذا المجال [2] .

ويمكن القول بأن النظرة الشمولية والمتكاملة التى إشتهرت بها "روث بيندكت" فى دراساتها الميدانية أثر كبير فى الفهم العميق والشامل للثقافة ، حيث تبين لها أن التحليل المنفرد للسمات الثقافية لم يساعدها إلا قليلاً فى محاولة تفسير الثقافة ، وهذا جعلها تؤكد مع الوظيفين من أمثال "مالينوفسكى" على ضرورة دراسة الثقافات كوحدات متكاملة على قدر الإمكان ، إلا أنها تختلف عن مالينوفسكى فى كونها تبدأ بدراسة

---

(١) أنظر : عاطف وصفى ، مرجع سابق ص ٢٤ .

(٢) محمد حسن غامرى ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، المكتب العربى الحديث ١٩٨٩ ص ص ٨١-٨٢

«الصيغ الثقافية» *Calture Configurations* وتنظر الى السلوك الفردى على أنه متطابق بدرجة كبيرة مع المتطلبات الثقافية ، بينما يبدأ مالينوفسكى بدراسة الفرد ، وينظر الى الظاهرة الثقافية على أنها مشتقة من حاجات الفرد .

ولقد أوضحت روث بيندكت فى كتابها «النماذج الثقافية» أن الثقافة تتكون من صيغ ثقافية تتكامل تحت سيطرة نمط رئيسى وعام ، وأن أى ثقافة إنما تشبه الكائن الفردى من حيث تكوينه على أنه «نمط من الفكر والفعل» ولذلك فهى ترى ان الثقافات عبارة عن سيكولوچية الفرد قد طُرحت بصورة مكبرة على الشاشة ، وأُعطيت أحجاماً ضخمة ومسافات زمنية طويلة(١) .

وبناء عليه ، فقد حددت بيندكت منطقة الجنوب الغربى من أمريكا الشمالية كمنطقة ثقافية لدراسة بعض نماذج من المجتمعات التى يمكن فيها دراسة التناقض السيكولوچى عند أبناء هذه الشعوب ، ولقد وجدت أن معظم هذه الأنماط المجتمعية يسودها «نمط مسيطر» *Dominat Drive* يعمل على تنظيم الظواهر الانسانية ذات الطابع التكرارى كالميلاد والوفاة وطلب الطعام والمأوى .

ونجد أن بيندكت قد إختارت ثلاثة نماذج من هذه المجتمعات يتميز كل منها بنمط ثقافى يختلف عن الآخر وهي قبائل بيبلو *Pueblo* و"دوبو" *Dobu* ، وكواكيوتل *Kwakiutl* وإستخدمت فى مقارنتها بين تلك الثقافات وتأثيراتها فى الشخصية مفهومين هما الأسلوب

(1) R. Bendict, Patterns of Culture, penguin Books, N.Y, 1946, p.p: 41 - 42

الديونيزيانى* *Dionysian* والأسلوب الأبوللونيانى* *Appollonian* .

ولقد لاحظت بيندكت أن إتجاهات معظم قبائل الهنود الحمر نحو الحياة تقترب من الأسلوب الديونيزيانى ، إذ يعطى الهنود الحمر قيمة كبيرة للخبرات العنيفة والحالات الإنفعالية المتطرفة ولكل الوسائل التى يستطيع الإنسان عن طريقها تحطيم الروتين الحسى العادى ومن أمثلة تلك الوسائل الصيام وتعذيب الذات وتعاطى المخدرات فى إحتفالات معينة وإدمان الخمور ، ويستخدمون تلك الوسائل كطقوس دينية تصل بالإنسان لحالة من فقدان الوعى ، وبالرغم من إنتشار تلك الإتجاهات فى معظم قبائل الهنود الحمر ، فلقد لاحظت أن أعضاء قبائل "بيبلو" ومن فروعها قبيلة "هوبى" وقبيلة "ذوني" يرفضون ذلك الأسلوب فى الحياة ولا يتعاطون المخدرات والخمور والسموم بالرغم من إنتشارها فى القبائل المحيطة بهم [1] ويتضح ذلك من عرض دراستها فى القبائل الثلاثة "بيبلو" و "الدوبو" و "كواكيوتل" لتحليل أثر النمط الثقافى فى تكوين الشخصية فى تلك القبائل فى المعالجة البسيطة التالية :

---

(١) عاطف صدقى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ - ٢٦ .

* الأسلوب الديونيزيانى : وتصل الشخصية التى تتبع ذلك الأسلوب إلى أكثر اللحظات قيمة فى الوجود عن طريق إلغاء الحدود العادية للوجود وإلغاء القيود المفروضة عليها من خلال الحواس الخمس وتهدف هذه الشخصية إلى تحطيم القيود والدخول فى تجارب ذاتية جديدة تتصف بشحنات إنفعالية عالية ومتطرفة مثل ما يحدث فى حالات السكر والإنفعالات الشديدة والعنف .

* الأسلوب الأبوللونيانى : ولا تثق الشخصية التى تتبع هذا الأسلوب فى الأفعال السابقة لتحقيق قيم الوجود وإنما تبعد عن حالات العنف والإفراط وتحافظ دائماً على البقاء فى حالة إنفعالية متوسطة ، تحتفظ فيها بالوعى وإدراك الواقع المحيط ، وحتى فى حالات الرقص فإن تلك الشخصية تحتفظ بوعيها ولا تفقده عن طريق السكر ، أى هى شخصية متزنة من الناحية الإنفعالية ولا تدخل فى تجارب نفسية عميقة ممزقة ، شخصية تتمسك بأن

١) النمط الثقافى لقبيلة "بيبلو" ودوره فى تكوين الشخصية:

وتذهب روث بيندكت إلى أن ثقافة "بيبلو" *Pueblo* تتميز بعمل الوقار والإتزان والمحافظة على السلوك وهذا هو النمط المسيطر على العناصر الثقافية التى تشكل الصيغة الثقافية لمجتمع "بيبلو" وقد أدى سيطرة هذا النمط الى إعاقة إنتقال العناصر الثقافية الديونيزيانية كما سبق وأشرت والتى تتميز بتعذيب النفس فالصيغة الثقافية لمجتمع "بيبلو" تنهض على سمات إنسانية متميزة وتعمل على التخلص من السمات الأخرى التى تتعارض مع طبيعتهم التى تتصف بالهدوء والمسالمة ، ويبدو هذا واضحاً فى إستغراقهم الكلى فى الحفلات الشعائرية وحفلات الرقص وطريقة تأديتهم لعباداتهم وإعتقادهم فى السحر وبصفة خاصة فى ربطهم بين نزول المطر وخصوبة الأرض وكذلك عدم وجود رقصة الشبح وما يصاحبها من حالات الإغماء الشامانية ، وعدم وجود عادات التفاخر والتباهى والمنافسة على الشهرة ، وخلو ثقافتهم من العقوبات القاسية على إقتراف جريمة الزنى ومن حالات الحزن المسعورة فى الجنازات ومن حالات اللجوء للإنتحار كوسيلة للهرب من مواجهة المشاكل الواقعية ، ومن المغالاه فى الشعور بالذنب ، وبالرغم من وجود طقوس الضرب بالكرباج فى إحتفالات بلوغ الرشد فإنه يمارس بلطف وبصورة رمزية لا تسيل الدماء أو تترك أثر على الجسم ، ويؤثر هذا النمط الثقافى على صيغتهم الثقافية فى تكوين الأسرة وطبيعة العلاقات الأسرية ، فتتميز الأسرة فى ذلك المجتمع بالاستقرار ، وتتسم العلاقات الفردية بالوئام دائماً ويكرهون العلاقات التى يسودها الخصام (١) .

---

(1) Bendict, op, cit, p.p. 43 - 45.

ومن الملاحظ أن الفرق الأساسي بين "البيبلو" وبين ثقافات أمريكا الشمالية الأخرى هو نفس الفرق الذى وضعه الفيلسوف "نيتشه" وأطلق عليه التسمية التى إختارها فى دراسته للمأساة اليونانية ، وهما "الديونيزيانى" ، "والأبوللويانى" ويهدف الأسلوب الديونيزيانى الى إزالة الحواجز والقيود والمضادة للوجود وذلك بسعيه إلى الهروب من القيود التى تقترحها حواسه الخمس حتى ينفذ من عالمه إلى عالم آخر يسوده حالة نفسية معينة توصله إلى منتهى الفيض الروحى ، أما الأبوللونيانى فإن وسيلته إلى ذلك هو الإلتزام بالطريق الوسط المعتدل ، ولا يدخل فى حالة نفسية تسبب له التصدع ، ويذكر "نيتشه" أن الأبوللونيانى عندما يصل إلى منتهى التجلى أثناء شعائر الرقص فإنه يحتفظ بإسمه وشخصيته أى يكون دائماً واعٍ بكيانه وواقعه الذى يعيش فيه [1] .

وتذهب "بيندكت" إلى أنه لكى نفهم إتجاهات أبناء مجتمع "بيبلو" نحو الحياة يجب أن نتعرف على الثقافة المحيطة بهم ، تلك الثقافة التى تسود باقى أجزاء أمريكا الشمالية وتتصف بالديونيزيانية وتقوم على قهر الروتين الحسى المعتاد ، كما أن لديهم القدرة على تحمل الخبرات العنيفة التى يمر بها الفرد ، ومن أبرز المظاهر هى محاولة الأفراد الحصول على قوة خارقة للطبيعة عن طريق الأحلام أو الرؤيا ، حيث يحاول بعض الرجال فى السهول الغربية التى يسودها الإتجاه الديونيزيانى بلوغ هذه الرؤية عن طريقة ممارسة أنواع قاسية من التعذيب ، ويركزون أذهانهم فى الرؤية المنتظرة التى يتقرر وفقها حياة الجماعة والنجاح الذى يترقبونه ولذلك فهم يتعاطون بعض المخدرات وأعشاب نباتية لكى يتمكنوا من الإستغراق الكلى فى الرؤية ، وعلى العكس من ذلك نجد أن قبائل "بيبلو" يمارسون الصيام من أجل الطهارة الشعائرية خصوصاً أثناء الخلوات الكهنوتية ،

محمد حسن غامرى ، مرجع سابق ص ٨٤ .

وأيضاً قبل الإشتراك فى حفلات الرقص الشعائرى ، ولكن لا يوجد فى هذه الحفلات أى مظاهر للديونيزيانى [1] .

وقد نجد بعض السمات الثقافية المشتركة بين "بيبلو" وبين القبائل الأخرى المحيطة بهم والتى تسكن الشمال مثل عادة الضرب بالسياط إلا أن وظيفة هذه السمة تختلف بين تلك القبائل فبينما تكون هذه العادة الأخرى من أجل التعذيب النفسى نجدها عند "البيبلو" تهدف إلى رفع وإبعاد الإحداث السيئة ، كما أنها من الشعائر الموثوق بها لطرد الجان ، كما أنهم يقضون وقتاً طويلاً فى الرقص مثل القبائل الأخرى ولكن ليس بهدف الوصول إلى حالة من فقدان الوعى كما هو سائد فى تلك القبائل .

وتذهب "بيندكت" إلى أن قبائل "الزونى *Zuni*" أحد فروع قبائل "البيبلو" يرفضون العنف وتتميز ثقافتهم بعدم ممارسة السلطة ويحرصون على إذابة الفوارق الإجتماعية ، فهم دائماً يوزعون المسئولية والسلطة ، وتشكل الجماعة الواحدة العاملة ولذلك يشترك جميع أفراد الأسرة فى الوفاء بحاجات المعيشة ، فالفرد ليس له الحق فى الإستدلال الذاتى سواء فى أمر دينى أو فى الشئون الإقتصادية ولهذا فإن الجماعة هى التى تتولى كافة الأمور ، وفى ضوء ذلك يكون مفهوم الرجل المثالى فى ثقافة الزونى هو الشخص الذى يساهم فى نشاط الجماعة ولا يدعى لنفسه أى سلطان ، كما لا يتسم بالعنف أبداً .

بناء عليه تقرر "بيندكت" أن ثقافة "بيبلو" ثقافة أبوللونيانية وغير ديونيزيانية ويظهر ذلك من حيث إتصافهم بالإعتدال فى نظرتهم الثقافية

---

(1) Ibid. p.p. 44 - 45

إلى العواطف ، ويشكل الإعتدال بالنسبة لهم الفضيلة الأولى سواء فى مشاعر الغضب أو الحزن أو الحب ، كما أنهم قوم لا يشربون ولا يستخدمون الكرباج فى تربية أطفالهم ولا يبحثون عن الوظائف ولا يلهثون وراءها وربما يطلب منهم القيام بها [1] .

ويمكن القول أن أبناء تلك القبائل إستطاعوا أن يقيموا لأنفسهم ثقافة موحدة فى أمريكا الشمالية تستوحى أشكالها من مختارات مثالية من الإتجاه الأبوللونيانى الذى يتمثل فى الدقة والإتزان والإعتدال فى الحياة ، وهذا هو طابع النمط المسيطر على مكونات الصيغة الثقافية لمجتمعهم ، ومن ثم تشكلت شخصية قبائل "بيبلو" تبعاً لهذه الصيغة الثقافية .

٢) النمط الثقافى لمجتمع "الدوبو" ودوره فى تكوين الشخصية :

وتقدم بيندكت نموذجاً آخر من النماذج الثقافية التى تضمنها كتابها النماذج الثقافية لمجتمع "ديبو *Dobu*" (الذى قام بدراسته ديوفورتشن ويقع فى جزيرة ضمن مجموعة جزر قريبة من الساحل الجنوبى لغينيا الجديدة) ويشكل النموذج الثقافى لهذا المجتمع الصيغة الثقافية السائدة فيه بطابع معين يختلف عن النماذج الثقافية الأخرى .

ويتصف سكان "دوبو" بالتشكك والريبة والميل إلى المشاحنات والمنازعات ، وليس لهم روساء ولا تنظيم سياسى ولا قانونى ، ويسود الشعور العدائى كل علاقاتهم الإجتماعية سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، وقد يمتد الشعور العدائى إلى الأفراد الذين يعملون فى وحدة عمل واحدة ، ويدمر كل منهم محصول الآخر ، وهذا الشعور العدائى لا

(1) Bendict, R., op, cit p.p. 46 - 47.

يقتصر فقط على الأفراد وحدهم بل يسود الأسرة أيضاً وطبقاً للتقاليد الصارمة فى مجتمع "الدوبو" يقوم الزوج بتمثيل دور المذلة والخضوع حين يعيش فى قرية غير القرية التى ينتمى إليها وذلك فى العام الذى تحدث فيه عملية التبادل .

كما يظهر الشعور العدائى بوضوح عندما يعيش الزوجان فى مسكن مشترك لأن الزوجة ترغب أن يكون لها حديقة خاصة بها ولأبنائها فالملكية فى مجتمع "دوبو" تقوم بدور كبير فى تشكيل العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ، فهى نظام متوارث وينحدر من العشيرة . ويؤدى حرصهم على الملكية الخاصة التضحية بالآخرين والشك المتبادل وسوء النية . كما يسود بينهم الإعتقاد فى السحر والتعاويذ التى تُؤدى بمصاحبة حركات رمزية [1] .

ويشكل التبادل الذى يحدث بين إثنى عشر جزيرة تقع تقريباً فى شكل دائرة محيطها نحو مائة وخمسون ميلاً أهم عنصر فى حياة هذه الجزر التى تولف حلقة "الكولا" التى وصفها "مالينوفسكى" عند دراسته لجزر "التروبرياند" شركاء "الدوبو" فى الشمال ، وتتوقف مكانة الفرد وعائلته فى الحياة الإجتماعية على نوع السلع التى يحصل عليها أثناد عملية التبادل وبصفة خاصة حين يحصل على الأصداف النادرة النقية . ولا تكون عمليات التبادل التى تحدث فى "الكولا" جماعية وإنما يتبادل كل رجل بمفرده مع شريك واحد ، ويلاحظ أن "الدوبو" بحارة غير مهرة ، وبناد عليه فإن أفضل الفصول لديهم التى يطول فيها هدوء البحر ويظهر إتجاه

---

(1) Bendict, op cit, p.p. 146 - 147.

الخيانة والغدر بين زملاء التاجر فى الكولا . ويقومون بالإنتقام منه إما بقتله أو بتخريب وإفساد تجارته ، ويتضح من ذلك أن طبيعة ومكونات ثقافة "دوبو" تؤثر فى تشكيل الشخصية ولذلك فهى تتصف بالعداء والشك والريبة والغدر ، وهنا يكون الأسلوب السائد فى تلك الثقافة هو الأسلوب الديونيزيانى وليس الأبوللونيانى .

٣) النمط الثقافى لمجتمع "كواكيوتل *Kwakiutl*":

إعتمدت بيندكت فى تحليلها ودراستها لثقافة كواكيوتل على دراسة "فرانز بواس" *Boas* عن ثقافات الهنود الحمر والتى منهم تلك القبائل وتعيش على الساحل الشمالى الغربى لأمريكا الشمالية ، وقد توصل بواس من خلال تلك الدراسة الطويلة لتلك القبائل إلى المفهوم الأنثربولوجى الهام "الصيغة الكلية" [١] .

ويتميز أفراد تلك القبائل بالتطرف والنزوع الى الإنزواء والميل إلى التنافس ولهم ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة القبائل المحيطة لهم ، ويعتمدون فى حياتهم على البحر ومستخرجاته ولا يهتمون بالزراعة ، وتقوم ثقافتهم المادية على صناعة الأخشاب الذى يشكل عنصراً أساسياً فى حياتهم ، وبناء عليه فإن حمل الأخشاب تعتبر مهنة أساسية عند الرجال بعد مهنة صيد الأسماك [٢] .

كما يحتل الرقص فى ثقافة "كواكيوتل" مكانة هامة إذ يتولى إقامتها جمعيات دينية . وينضم إليها الأفراد بعد الحصول على تأييد من الرئيس

(١) عاطف وصفى مرجع سابق ص ٢٦

(2) Bendict op p.p. 155 - 156

الأعلى للجماعة ، وينتظم الأفراد داخل إحدى الجمعيات الدينية تعرف باسم "الكانيبال" *Cannibal* وهى عبارة عن "جمعية آكلى لحوم البشر" ويتميز أعضاء هذه الجمعية بميلهم نحو أكل لحم الإنسان إلا أنهم لا يأكلون فعلاً لحم البشر بطريقة شائعة ، وإنما هو تعبير عن ميولهم "الديونيزيانية" العنيفة التى يتميزون بها ويشكل هذا العنف الصيغة الثقافية لمجتمعهم ، وتقوم جمعية "الكانيبال" بإقامة حفل لتخريج "الراقص الكانيبالى" الذى يأكل لحم البشر وذلك من خلال إقامة بعض الشعائر والطقوس يفقد الفرد أثنائها وعيه تماماً ويصل إلى حالة من الإنجذاب التام [1] .

وجدير بالذكر أن "جمعية آكلى لحوم البشر" تعتبر من أرقى الجمعيات الدينية فى "كواكيوتل" وغيرها من قبائل الساحل الشمالى الغربى ، إذ يخصص لأعضائها مقاعد الشرف فى حفلات الشتاء ، وينسحب الجميع بعيداً عنهم عندما يبدأون فى تناول الطعام .

وتذهب "بينِدكت" إلى أن نموذج ثقافة "كواكيوتل" خصوصاً عن الملكية التى هى عبارة عن المتاع المنقول والموروث وإحراز الثروة ، وتشتمل الملكية عندهم على أشياء مادية وأخرى غير مادية مثل الأساطير والأغانى والإمتيازات وألقاب السيادة التى يكون لها دور كبير فى تحديد المركز الإجتماعى للفرد ، ولذلك يعتبر السعى وراء الإمتيازات ووراثة الألقاب النبيلة من العناصر الأساسية التى تكون الصيغة الثقافية التى تسود مجتمعهم ، ويعتقدون أن قوة الفرد تزداد كلما زادت حصيلته من الألقاب والإمتيازات ، فالقوة هى التى تشكل كل علاقاتهم ونظمهم

---

(١) أنظر محمد حسن غامرى ، مقدمة فى الأنثروبولوچيا العامة ، المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٩ ، ص ٨٨ .

الإجتماعية .

كما يعد الموت عندهم إهانة كبيرة سواء كان نتيجة المرض أو القتل وبناء عليه فإنهم يدفعون هذه الإهانة عنهم بإستخدام طريقة "صيد الرؤوس" وتتلخص هذه الوسيلة فى أن يقتل شخص آخر بدلاً من الذى أصابه الموت ويكمن الهدف من وراء ذلك هو نقل الحزن إلى أسرة أخرى ، وتقيم هذه الأسرة الحداد بدلاً من الأسرة الأولى ، ويشترط فى الشخص الذى يقتل أن يكون فى مرتبة إجتماعية تعادل المرتبة الإجتماعية للشخص الذى مات ويمكن بذلك المحافظة على مركز الشخص الأول ومكانته [1] .

وبناء عليه نجد أن "روث بيندكت" لها أهمية كبيرة فى إبراز مجالاً جديداً فى الأنثروبولوجيا الثقافية وهو الأنثروبولوجيا السيكولوجية حيث كشفت عن مدى تأثير الثقافة فى تشكيل الشخصية من خلال دراستها للنماذج الثقافية المتعددة والمتنوعة سالفة الذكر ، وخروجها إلينا بنمطين من أنماطها الشخصية وهما : الشخصية الديونيزيانية والأخرى الشخصية الأبوللونيانية ، ولمسنا كيف أن الشخصية الأولى تتسم بالعنف والإنفعال بينما الشخصية الثانية تتسم بالهدوء والمسالمة .

وعلى الرغم من الإسهام الكبير الذى قدمته "روث بيندكت" فى هذا الفرع الحديث والمتميز للأنثروبولوجيا ، إلا أنها لم تسلم من الإنتقادات التى يمكن إجمال أهمها فى النقاط التالية :

١ - لجوء روث بيندكت إلى التعميمات الكثيرة غير الدقيقة ، وقد

---

(1) Bendict, op, cit, p.p. 155 - 157.

إعترض عليها بارنو *Barnouw* من إطلاق مثل هذه التعميمات فى غير موضعها كقولها «إن كل الهنود الحمر الأمريكيين وكذلك المكسيكيين يتبعون الأسلوب الديونيزيانى بدرجة كبيرة» وهى بهذا قد جمعت ثقافات عديدة ومختلفة من بعضها كثيراً مثل ثقافات جماعات الصيد فى "الإبرادور" وجماعات الصيد فى الساحل الشمالى الغربى والثقافات المعقدة لجماعة "أزتيكس" فكيف تجمع مثل هذه الثقافات المتباينة والمتعددة تحت نمط الشخصية الديونيزيانية . واتفق مع "بارنو" فى هذا خصوصاً وأن البحوث الأنثروبولوجية القديمة بصفة عامة والحديثة بصفة خاصة التى إهتمت بالبحث فى العلاقة بين الثقافة والشخصية . خلصت إلينا بأن أنماط الشخصية قد يختلف فى المجتمع المحلى الواحد الذى يتضمن ثقافات فرعية . برغم إلتقاء مثل هذه الثقافات فى بعض العموميات الثقافية لذلك المجتمع ، ودليل اخر هو إختلاف أنماط الشخصية البدوية عن القروية عن الحضرية فى المجتمع الواحد تبعاً للعوامل الوراثية والبيئية والثقافية والإقتصادية .. إلخ ، وهذا ما دفع بعض الباحثين الأنثروبولوجيين للخروج إلينا بإصطلاح "الشخصية القومية" حيث يتضمن هذا المفهوم الرؤية العامة للشخصية داخل سياق نمط مجتمعى واحد له ثقافة واحدة أو حتى ثقافات فرعية إلا أن هناك سمات عامة للشخصية فى مثل هذه الأنماط المجتمعية .

٢ - لقد تجاهلت "روث بيندكت" مبدأ "التكامل الثقافي" التى حذرت من الوقوع فيه نفسها كما وقع فيه "جيمس فريزر" ويتمثل هذا المبدأ فى محاولة الباحث الأنثروبولوجى جمع أكبر عدد يمكن من العناصر الثقافية ، إذ يقوم بإقتلاعها من المحيط الثقافى بغرض إثبات فكرة معينة ، ولكى

تثبت أن معظم ثقافات الهنود الحمر تتضمن إتجاه "ديونيزيانى" أخذت تجمع أكبر عدد من العناصر الثقافية وإقتلاعها من جذورها ومن بيئاتها المتباينة لكى تصل إلى صيغة كلية للثقافة الديونيزيانية داخل تلك النماذج الثقافية المختلفة .

وأود أن أؤكد حقيقة هامة هى أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال فهم محددات الشخصية إلا فى بيئاتها الثقافية .

٣ - لم تعالج وتشرح وتوضح الوسائل والأدوات والميكانيزمات التى عن طريقها يصبح الأفراد لهم صيغة ثقافية كلية سواء أكانت "ديونيزيانية" أو "أبوللو نيانية" فمثلاً كيف يصبح أعضاء قبيلة "الهوبى" فرع من قبيلة "بيبلو" خاضعين لطافاً ، فى حين نجد العكس فى قبيلة "كواكيوتل" ، وكان يجدر عليها ـ من وجهة نظرى ـ أن توضح إختلاف عمليات التنشئة الإجتماعية والثقافية فى تلك القبائل المتباينة ثقافياً والدور الذى تلعبه فى خلق "الصيغة الكلية الثقافية" . وأثر ذلك على محددات شخصية الرجل والمرأة من مختلف الفئات العمرية وإختلاف طبيعة الأدوار والمراكز تبعا لذلك (١) .

ثانيا: دراسة "مارجريت ميد" *M. Mead* فى مجتمع مانوس:

وتعد "مارجريت ميد" هى الأخرى من أهم المساهمين فى بحوث الثقافة

See :

1 - Barnouw, v., Culture and Personality, The Dorsey, press INC, 1963, p.p. 41 - 44..

٢ - عاطف وصفى ، مرجع سابق ، من ص ٢٨ - ٣٠ .

٣ - محمد حسن غامرى ، مرجع سابق ، من ص ٨٩ - ٩٠ .

والشخصية وذلك بفضل أبحاثها الشهيرة "مرحلة المراهقة فى سموا" و"النمو فى غينيا الجديد" و "النوع والمزاج فى ثلاث مجتمعات بدائية" وكان من نتائج تلك الأبحاث الأنثروبولوچية المتميزة أن أضافت نمطاً جديداً فى المدرسة الأنثروبولوچية الامريكية ذات المنهج الكلاسيكى ورائده "فرانز بواس" الذى يتميز بالإسلوب الكلى الشمولى فى تسجيل الوقائع والأحداث فى البحث الميدانى ، وبناء عليه إبتعدت ميد عن هذا المنهج الكلى فى دراسة ثقافات المجتمعات البدائية وإهتمامها ببحث موضوعات محددة وأسئلة معينة لها أهميتها فى حياة المجتمعات المتمدينة ودراستها فى المجتمع البدائى (١) .

ولقد درست ميد فى بحثها الأول العلاقة بين سمات الشخصية فى مرحلة المراهقة وثقافة المجتمع ، وبدأت بحثها بالتساؤل التالى : هل ترجع الإضطرابات والتوترات التى تصاحب المراهقين فى الثقافة الغربية إلى طبيعة مرحلة المراهقة ذاتها أو إلى المدنية الغربية ؟؟ يميل الغربيون إلى النظر إلى مرحلة المراهقة على أنها فترة تتميز بالصراع العاطفى والثورة على السلطة ، فهل ترجع هذه الاتجاهات وسمات الشخصية إلى تغيرات فسيولوچية تصاحب مرحلة الحلم ، أو أنها ترجع إلى ظروف اجتماعية وثقافية معينة فى المجتمع الغربى . وذهبت إلى أنه إذا كان الرأى الاول صحيحاً يجب أن تتوحد خصائص مرحلة المراهقة فى كل الثقافات ، واذا لم يكن الامر كذلك تكون العوامل الثقافية والاجتماعية هى المسئولة عن خصائص مرحلة المراهقة فى المجتمع قيد الدراسة .

---

(١) أنظر : عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص.ص ٣٠-٣١ .

وتمكنت "ميد" بعد ملاحظتها المباشرة لعدد من الفتيات فى سن المراهقة فى مجتمع سموا التوصل إلى عدة نتائج منها أن فتيات تلك الجزيرة لا يشعرن بالتوتر والإضطراب أثناء مرحلة المراهقة ، وينقص أهل الجزيرة بصفة عامة المشاعر العميقة ومشاعر التورط ، وتخلص إلى أن مرحلة المراهقة فى هذا المجتمع سهلة وليست صعبة ، حيث أن الأطفال يولدون وينمون فى وحدات عائلية كبيرة الحجم ، يكثر فيها الكبار ، ولذلك لا يتركز علاقات الأطفال العاطفية حول شخصين بالذات هما الأب والأم ، وإنما تصبح منتشرة غير مركزة ، لأنها توزع على عدد كبير من الأقارب الكبار ، وهى تتصف كذلك بالسطحية بصورة نسبية ، ويتحدث الكبار مع الصغار فى سن مبكرة فى موضوعات الولادة والجنس والموت ، ولا تغلف تلك الموضوعات بالسرية والغموض والتشويه ، ويعيش الأطفال فى مناخ من الحرية الجنسية فى ألعابهم ، عندما يصلون لمرحلة المراهقة يشتركون فى علاقات جنسية متعددة ، ويعد هذا السلوك أمراً مقبولاً وعادياً على أنه شىء طبيعى قبل الزواج (١) .

ولما كانت هذه العلاقات تتم بصورة علنية ، فقد لاحظت أن تلك العلاقات تصاحبها شحنة عاطفية ضعيفة عند المشتركين فيها ، أى أنها لا تتميز بالإنفعلا والتوتر اللذان قد يصاحبا تلك العلاقات فى نمط المجتمع الغربى خصوصاً الامريكى الذى تنتمى إليه ميد ، ويرجع ذلك إلى خلو مجتمع سموا من كثير من المتغيرات الاجتماعية والثقافية المتعارضة والمتناقضة التى تسود فى المجتمع الامريكى بصفة خاصة والمجتمع الغربى بصفة عامة ، كالأيديولوجيات المتعارضة والمتعددة والأحزاب السياسية

---

(١) أنظر : عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

المتصارعة والمذاهب الدينية المختلفة والقيم الأخلاقية المتناقضة ، والمهن المتنوعة والمتمايزة ، ولقد ترتب على مثل هذه الأمور خلو مرحلة المراهقة فى مجتمع سموا من الصراع والتوتر والانفعال وتميزها بالهدوء وعدم وجود صراع بين الاجيال والثورة على تقاليد المجتمع كما يحدث فى المجتمع الغربى .

أما عن دراسة "ميد" فى مجتمع "مانوس" (١) *Manus* وهو مجتمع بدائى يعيش فى عزلة عن الثقافة الغربية ولم تصل إليه وسائل المدنية الحديثة ، وقد سجلت ملاحظاتها عن الأطفال فى مراحل نموهم فى تلك؛ الجزيرة التى يعتبر سكانها هم جماعة من البشر يعتمدون على صيد السمك والتجارة ويسكنون أكواخاً من البوص ترتكز على دعائم أقيمت فى أعماق البحيرة الواسعة ويعيشون بنفس الطريقة التى عاش بها أجدادهم منذ مئات السنين ، ولم يحدث أن وفد عليهم بعض من أفراد البعثات التبشيرية ، كما لم يفد إليهم تجاراً أجانب .

وحاولت "ميد" فى دراستها أن تربط بين سلوك الأطفال وشخصياتهم وسلوك الكبار وكذلك بين قيم هؤلاء الاطفال بين الطرق التى يتبعها الكبار فى تربية الاطفال ، وأن الصيغة الثقافية العامة فى المجتمع والتى تتحدد بالدور والمركز الاجتماعى تؤثر فى تكوين شخصية الطفل .

وتذهب "ميد" إلى أن مجتمع مانوس يتميز بأنه يعطى لأطفاله الحرية المطلقة ، وأن طرق التربية التى تمارس فى تنشئة الاطفال تساهم فى تكوين شخصيات متميزة ، ويظهر هذا التمايز فى شخصيات الاطفال فى

(1) Mead, M., Growing up in new guinea, N. Y. 1930, p.p. 123-129.

سن مبكرة خصوصاً بالنسبة لبعض السمات الأساسية للشخصية مثل الميل إلى المشاغبة أو الميل للإنطواء .

ولاحظت "ميد" وجود علاقة بين شخصية الآباء وشخصية الاطفال ، وذلك عندما درست شخصية مجموعة من الاطفال وشخصية آبائهم حيث تبين لها أن بعض الرجال ذوو المراكز الاجتماعية يتبنون اطفالاً صغاراً ، ويقومون بتربيتهم كأبنائهم تماماً ، وتبين لها مدى تأثر هؤلاء الأبناء الحقيقيين أو بالتبنى بشخصيات هؤلاء الآباء ، وتؤكد ميد على حقيقة هامة وهى أن التشابه لم يقتصر على شخصيات الأبناء الحقيقيين وآبائهم بل وبين الآباء الأبناء بالتبنى كذلك مما لا يرجع تأثير العوامل الوراثية كعوامل لها دخل فى تفسير هذه التشابه فى الثقافة .

وتدلل "ميد" بمثالاً من مجتمع "مانوس" يوضح تأثير شخصية الأب فى تكوين شخصية الأبناء ، فلقد تابعت تباين السمات الشخصية لطفلين لرجل يدعى "بواكاتون" *"Pwakton"* من سكان جزيرة مانوس ، ولقد كان هذا الرجل يتصف بالإنحراف فى سلوكه وسوء علاقته مع غيره من الناس ، وكان له بنتاً وولداً ، وقد نشأت البنت وتربت معه ، بينما الولد تبناه زعيم القرية ، وتبين لميد أن الفتاه نشأت على شاكلة ابيها منحرفة سيئة العلاقات ، بينما الإبن قوى الشخصية مقلد لأباه بالتبنى فى كل تصرفاته وسلوكه ، وبناء عليه ترى ميد أن نمط شخصية الطفل تتكون للثقافة التى تسود المجتمع الذى يعيش فيه والتى تنتقل إليه عن طريق اساليب التنشئة الاجتماعية التى يستخدمها جيل الكبار فى تربية الأجيال الصغرى [١] .

---

(١) محمد حسن غامرى ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، المكتب العربى الحديث ، ١٩٨٩ ص.ص ٧٥-٧٦ .

أما عن الدراسة الثالثة التى قامت بها الأنثروبولوچية ميد بصدد محاولتها التعرف على العلاقة بين النوع والمزاج فى ثلاث مجتمعات بدائيـة ، وتحديد تأثير الثقافة على الأدوار والاتجاهات الخاصة بالذكور والإناث ، حيث أن الفكرة التى بدأت منها فى محاولة لإثباتها ترتبط بأن سمات الشخصية التى تعرف بإسم الرجولة وسمات الأنوثة هى من ثقافة المجتمع اكثر من كونها إختلافات بيولوچية بين النوعين (١) .

ويمكن أن أؤكد ذلك من واقع دراساتى وأبحاثى الميدانية فى الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة ، حيث لمست أن قيم الذكورة والأنوثة والنظرة لطبيعة دور ومركز الرجل والمرأة يختلف بإختلاف الثقافات البدوية والقروية والحضرية وأن إختلاف المضامين الثقافية تلعب دوراً بارزاً فى تحديد تلك النظرة وطبيعة تلك الأدوار والمراكز أكثر من كونها إختلافات بيولوچية بين نوعى الذكر والأنثى ، وسيرد ذلك تفصيلاً عند عرضى لنتائج بحوثى الميدانية بصدد العلاقة بين الثقافة والشخصية .

ولقد تبين لميد أن سمات الشخصية (سمات الرجولة والانوثة) هى سمات مرتبطة بصورة ضعيفة بالنوع شأنها فى ذلك شأن الملابس وأساليب التعامل وشكل غطاء الرأس التى تفرضها المجتمعات فى فترة معينة على كل نوع ، ولقد لاحظت ميد أن إتجاهات الرجال والنساء تتصف فى معاملاتهم لبعضهم البعض باللطف والهدوء والتعاون ، وهى نفس السمات التى تتصف بها النساء فى تعاملاتهن مع الرجال فى الثقافة الغربية ، فى حين أنها وجدت عكس ذلك فى قبيلة "موندوجومور" الذين يتعاملون مع

---

(1) Mead, M . Sex and Temperament in three Primitive Societies. 1955, p.p.256-258.

بعضهم البعض بالخشونة والعداء ويتوحش وتشبه تلك الاتجاهات بما هو متوقع فى سلوك الرجال فى الثقافة الغربية ، وجدير بالذكر أن تلك المادة الميدانية لا تؤيد الفرض القائل بوجود إختلافات مزاجية بيولوچية بين النوعين ، بينما الحال كذلك فى تلك القبيلتين نجد إختلافات حاسمة فى سمات الشخصية بين الجنسين فى قبيلة "تشامبولى" إلا أنها فى صورة متناقضة للإختلافات الموجودة فى الثقافة الغربية ، حيث أن المرأة فى تلك القبيلة هى عائلة الأسرة وتمدها بالطعام وتتميز بالقوة وصلابة الجسم وبالمهارة والحماس ، وتسود بين النساء روح الزمالة والتعاون ولا يستخدمن الزينة ، ويحلقن شعورهن ، ويجلسن فى جماعات لفترات طويلة ، يتبادلن الأحاديث والضحكات . أما الرجال ، فيتركز إهتمامهم حول الاعمال الفنية وتسريحات الشعر وعلاقاتهم بالنساء ، ولا يقومون بأى عمل إقتصادى لتوفير الطعام للأسرة عكس الحال تماماً بالنسبة للنساء .

وعلى الرغم من الإعتراضات التى وجهت إلى الأنثروبولوچية مارجريت ميد من كثيرين من علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثروبولوچيا وكان إعتراض علماء الاجتماع ينحصر فى تحيزهم للمنهج السوسيولوچى وكذلك تحيز علماء النفس من عدم إستخدامها لإختبارات الشخصية خصوص إختبار "روشاخ" وإختبار تفهم الموضوع برغم أن هذه الإختبارات لم تكتشف بعد أثناء الدراسة الميدانية لمرجريت ميد وتركزت إنتقادات الانثروبولوچيين من أنها لم تهتم بالتغيرات التى حدثت على الثقافات التى درستها ، ومهما يكون من أمر الإنتقادات لا يمكن لأحد أن ينكر فضل مرجريت ميد وإسهاماتها الميدانية الرائدة فى نمو وإزدهار بحوث الثقافة والشخصية [1] .

(١) أنظر : عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص.ص ٣٠-٣١ .

ثالثاً: دراسة هونيجمان على قبائل كاسكا:

توصل "هونيجمان" *"Honigman"* من خلال تحليله للدراسات الأنثروبولوچية التى أجريت على قبائل "كاسكا" الهنود الحمر فى الإقليم الشمالى لكولومبيا بأمريكا الشمالية إلى أن العوامل الثقافية تؤثر فى تكوين شخصية الفرد ، وبناء عليه حدد السمات الشخصية التى تتميز لها شخصية الفرد فى تلك القبائل ، ومن أهم الصفات التى يتميزون بها الإتجاهات الإستقلالية فى حياتهم ، حيث أن الفرد فى تلك القبائل لا يطيع ولا يخضع لأى قيادة أو سلطة ، سوى سلطةالأب على إبنه بالرغم من أن الفرد متحرر من السلطة إلا أنه يشعر فى نفس الوقت ومن تلقاء نفسه بإحساس المسئولية عن كل أعماله ونجاحه أو فشله .

ولاحظ "هونيجمان" أنه بالرغم من عدم وجود رقابة من الشرطة أو نظام رئاسى إلا أن أعضاء قبيلة كاسكا يعتبرون الأعمال العدوانية والخصومة الشخصية سلوكاً مكروهاً ، والإلتزام بشعور الكراهية من أجل العداوة يعتبر أيضاً غير مقبول ، ويحاول الفرد دائماً أن يتجنب إثارة الغضب ، ويحرص على أن يعالج أموره الإجتماعية بالسياسة والتفاهم ، كما يعمل الفرد إعتباراً للإستقلال الشخصى للغير (١) .

ما هب "هونيجمان" إلى أن الفرد فى تلك القبائل يتصف سلوكه بالمرونة ويقصد بكلمة المرونة انه متسامح ويتسم موقفه فى بعض الأحيان بالتردد نحو الحياة ويعمل الفرد دائماً على كبت شعوره فى كل علاقاته مع والديه وأولاده وزوجته ، ويتميز تفكيرهم بالسببية ويحتل التخطيط للمستقبل مكاناً صغيراً ، بينما تحتل المواقف السببية مكاناً بارزاً فى حل مشاكلهم ،

See :
(1) Honignan, J. Culture And Personality, N.Y, 1954, p.p. 8-9

وتثير المشـاكل البسيطة عندهم إحساساً كبيراً مما يجعل الإستجابة لها قوية [1] .

رابعاً: دراسة رالف *R. Linton* لينتون فى مجتمع الماركيز:

ويوضح "لينتون" من خلال دراسة أنثروبولوچية لسكان جزر "الماركيز" تأثير الثقافة فى تكوين شخصية سكان تلك الجزر الذين يتصفون بالقلق والإضطراب العصبى ، وقد قام بتحليل ثقافتهم لكى يتوصل إلى الأسباب والعوامل التى تفسر مظاهر القلق والإضطراب العصبى عندهم ، وتبين "للينتون" أن التفسير الفرويدى للقلق والإضطراب العصبى الذى أرجعه فرويد للدافع الجنسى لا يتفق مع مكونات ثقافة الماركيز حيث أن سكان تلك الجزر لا يهتمون بالنواحى الجنسية ولا يوجد فى لغتهم كلمة تعطى معنى «العذرية» . وعندما درس لينتون النظام الاقتصادى لديهم وجد أن السكان يعانون من ندرة الطعام ، ويسمح فى ظروف القحط الموسمى بممارسة أكل لحوم البشر ، وبناء عليه يشعر كل فرد بالخوف وعدم الطمأنينة مما ينعكس على شخصيته كثير من مظاهر القلق والإضطراب العصبى .

خامساً: دراسة "إبرام كاردينر" *Kardiner* عن الشخصية الأساسية:

ولقد توصل "إبرام كاردينر" من خلال تحليله للدراسات الميدانية التى أجراها رالف لينتون عن ثقافة قبائل "التنالا" و "الماركيز" إلى ما أسماه الشخصية الأساسية *Basic Personality* ، ويوضح من خلال هذا المفهوم تأثير الثقافة فى تكوين الشخصية حيث تتبع علاقة التدريب فى الطفولة

---

(1) Honigman, J. Culture And Personality, N.Y., 1954, p.p. 8-10.

المبكرة بشخصية البالغ فى ثقافات خاصة ، وتوصل إلى أن الشخصيات الأساسية تتشكل بواسطة القيم الثقافية الأولية .

ولقد قام كاردينر بدراسة النظم التكاملية التى تتكون عند الطفل نتيجة خبراته المباشرة خلال مراحل نموه ، وتبين له أن النظم الدينية كانت صوراً طبق الأصل لخبرات الطفل التى توفرت له من والديه وأكتسبها من عمليات التدريب (التنشئة) .

ولقد وجد أن إسلوب إلتماس العون الإلهى يختلف عند هاتين القبيلتين ، ومرد ذلك إختلاف خبرات الطفل الخاصة وأهداف الحياة التى حددها كل مجتمع لنفسه حسب ظروفه وتقاليده الخاصة ، فبينما فى أحد الثقافات كان إسلوب إلتماس العون الإلهى هو الصبر والجلد ، نجد الأسلوب الثانى فى إلتماس العون الإلهى كان العقاب الذى يفرضه الفرد على نفسه حتى يحظى برحمة الإله بعد أن فقدها نتيجة لإنحرافه عن الأصول المرعية فى حياة مجتمعه ، ويفسر الباحثون أن تباين أساليب إلتماس العون الإلهى من ثقافة إلى أخرى يرجع إلى أن العوامل المؤثرة فى تكوين شخصية الفرد تختلف من ثقافة إلى أخرى [١] .

كما تبين من خلال تحليل النظام الدينى فى هذين المجتمعين أن الأساليب التى تستخدم فى تنشئة الطفل قد حددت له مواقف أساسية بالنسبة للوالدين ، وتميزت بالثبات والدوام فى الجهاز العقلى للفرد ويطلق "كاردينر" على هذه المواقف الأساسية إصطلاح «النظم الأولية» ، ويتحدد

(١) رالف لينتون ، الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٧ ص.ص. ٢٠١-٢٠٢ .

مسئولية النظم الاولية فى إبراز النظم الاجتماعية التى تتفق مع الخبرات التى يتلقاها الطفل الذى ينشأ داخل المواقف الأساسية ، ويتطور من «النظم الأولية» نظم أخرى تعرف بـ «النظم الثانوية» .

وبناء عليه يرى كاردينر أن بناء الشخصية الأساسية هو مرحلة تتوسط بين ما يسمى بالنظم الأولية (النظم الابرازية) ، والنظم الثانوية ، أى أن النظم الإبرازية هى التى تكون بناء الشخصية الأساسية .

وهنا يطرح "إبرام كاردينر" تساؤل مؤداه هو كيف يمكن التوفيق بين فكرة أن لكل فرد شخصية تختلف عن الأخرى ؟؟ وبين فكرة الشخصية الأساسية ؟؟ [١] .

ويشير كاردينر فى هذا الصدد إلى مثال إفتراضى ويتمثل فى محاولة دراسة تركيب الشخصية عند مائة من أفراد الشعب الأمريكى ، لوجدنا أن شخصية كل واحد من هؤلاء لها تركيب خاص أسهمت فى بنائه عوامل مختلفة ، ولا تقتصر هذه العوامل على الإستعدادات والنزعات الفطرية عند الولادة ، وإنما تشتمل أيضاً على المؤثرات الخاصة التى تعرض لها الفرد خلال عملية النمو ، وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن تمييز تشكيلات معينة من المواقف والميول ، مثل عقدة "أوديب" وعقدة "الخصاء" تلك العقد التى عمل فرويد على إبرازها ، ولم يدرك فرويد أن هذه التشكيلات الشائعة فى المجتمع الأمريكى تختص بثقافته عكس إعتقاده بأنها ظاهرة عامة فى جميع المجتمعات البشرية وأن الكثير منها يعود إلى أصول نشوئية ونوعية ، وأن بناء الشخصية الأساسية عند هؤلاء الأفراد تحدد وفق أوضاع تأثروا بها ، ونشأت أساساً من الخبرات المتصلة بالنظم

(١) أنظر : لينتون ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الاجتماعية .

وبالرغم من أن كل فرد يستجيب للمؤثرات بطريقته الخاصة فإن بناء الشخصية يتشكل ضمن مجال معين من الإمكانيات والإستعدادات ، وهذا المجال هو الذى نجد فيه «الشخصية الأساسية» .

ولقد توصل «كاردينر» من خلال تحليله بأن هناك مواقف معينة تتكون عند الأطفال إزاء الوالدين نتيجة للنظم الثقافية التى تسود المجتمع ، وتستمر هذه المواقف مع الأطفال فى مختلف مراحل النمو ، مما يؤدى إلى تكوين نموذج «الشخصية الأساسية» للمجتمع ، وتؤثر الشخصية الأساسية بعد ذلك فى النظم الاجتماعية الكبرى كالدين والحكومة والاقتصاد وغيرها ، فتؤثر الثقافة فى أحد مراحلها على نمط الشخصية الأساسية وتشكلها ثم عندما تخرج الشخصية إلى المجتمع تؤثر بدورها على الانماط الثقافية الأخرى .

ولقد أوضح كاردينر هذه الفكرة عند دراسته للنظام العائلى فى مجتمع "آلور" فى إحدى جزر الهند الشرقية ، فتبين له أن النمط الثقافى الذى يسود النظام العائلى هو سيادة المرأة وضعف شخصية الرجل وإعتماده عليها أنها حيث تشكل العامل الإقتصادى فى القبيلة ، وبتحليله لهذا النمط الثقافى أرجعه إلى ما أسماه «النظم الأولية» فى تربية الطفل عند قبيلة «آلور» فوجد أن الطفل يعامل من والديه معاملة قاسية ولا تجاب له رغباته بسهولة بل يحصل عليها بعدما يعانى من مواقف قاسية ، كما أنه يعالج عند مرضه بوسائل خشنة ، ولا يحظى بمشاعر العطف والحنان ، وبناء عليه تقف "النظم الأولية" عائق أمام تكون الذات عند الطفل ،

وينشأ الطفل نشأة غير سوية لفقده العطف والحنان فى مرحلة الطفولة ، ويؤدى هذا فى النهاية إلى ضعف الأنا والذات الاجتماعية ، وينشأ الطفل ضعيف الشخصية ويستمر معه طوال حياته ، وبذلك يكون مركزه فى الأسرة ثانوى وتحتل المرأة المكانة الأساسية .

ويرى كاردينر أن نمط تنشئة الطفل فى ثقافة "آلور" والمؤثرات التى يتعرض لها تتفق تماماً مع الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية ، فنظام توزيع العمل بين الرجل والمرأة يعطى للمرأة العبء الأكبر فى ممارسة العمل الزراعى ، ولا تتلقى من الرجل إلا مساعدات عرضية ، وبناء عليه يؤثر نظام العمل فى ثقافة آلور على عناية الأم بأطفالها ويجعلها تترك أطفالها طوال النهار ولا تعتنى بهم إلا قبل ذهابها إلى الحقل صباحاً وبعد عودتها فى المساء .

ويخلص كاردينر إلى أن أى تغير فى نظام تقسيم العمل عند ثقافة آلور سيؤدى إلى حدوث مقاومة عنيفة من جانب الذكور وحتى إذا ما تحقق تغيير النظام الاقتصادى فإنه يتطلب تغيراً جذرياً فى نظام التكيف السيكولوجى عند الذكور والإناث على حد سواء .

الفصل الثانى

العلاقة بين الثقافة والشخصية

العلاقة بين الثقافة والشخصية

لما كان موضوع الانثروبولوچيا النفسية الرئيسى هو الثقافة والشخصية فنجد من الأهمية بمكان قبل أن نعرض لأثر الثقافة فى الشخصية وأثر الشخصية فى الثقافة أن نوضح بعض التصورات والمفاهيم والتعريفات المرتبطة بالثقافة والشخصية فى ضوء الرؤية الانثروبولوچية والعلاقة بين الثقافة والمجتمع والدور الذى يلعبه الإنسان كحامل وناقل وملقن ومتلقى للتراث الثقافى فى الأنماط المجتمعية المتباينة مما يؤدى إلى إختلاف المقومات والمحددات الشخصية للإنسان فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

١ - مفهوم الثقافة :

مما لا شك فيه أن مفهوم الثقافة أكثر المفاهيم التى حظيت بالعديد من التعريفات التى إختلفت فيما بينها بناء على تخصص العلماء والباحثين الذين إنكبوا على دراسة وتوضيح مفهوم ومعنى الثقافة ومن الطبيعى أن تختلف رؤية كل من علماء الإجتماع وعلماء النفس والإقتصاد والسياسة والجغرافيا والأنثروبولوچيا لهذا المفهوم وأبعاده وإختلاف الرؤية التحليلية لأبعاد ومضامين هذا المفهوم .

ولقد صنفت الدكتورة سامية الساعاتى تعريفات الثقافة إلى سبعة أقسام أساسية ، ويتضح ذلك من المعالجة التالية [١] :

---

(١) سامية الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماعى الثقافى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ ، ص ص ٣٤-٣٧.

أولا التعريفات الوصفية للثقافة :

ولقد غلبت على هذه التعريفات حصر محتويات الثقافة ، ولقد تأثرت هذه التعريفات فى معظمها بتعريف "تايلور *Tylor*" الشهير للثقافة .

ولقد عرف تايلور الثقافة بأنها «ذلك المركب المعقد الذى يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التى يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً فى مجتمع ما» (١) .

كما عرفها "ويسلر *Wissler*"بأنها «كل الأنشطة الاجتماعية فى أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والإتيكيت والصناعات والفن» .

وعرفتها "روث بيندكت *Bendict*" بأنها ذلك الكل المركب الذى يشمل العادات التى يكتسبها الإنسان كعضو فى مجتمع .

ويذهب "فرانس بواز *Boas*" بأن الثقافة تضم كل ماهر العادات الاجتماعية فى جماعة ما . وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التى يعيش فيها وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التى تتحدد بتلك العادات (٢) .

ويرى "لينتون *R. linton*" أن «الثقافة هى ذلك المجموع الكلى للأفكار والإستجابات العاطفية المشروطة ونماذج السلوك المعتاد الذى إكتسبه أعضاء المجتمع من خلال التوجيه أو المحاكاه والذى يشتركون فيه

(1) Tylor E., Primitive Culture, john murray, London, 1913, p. 1.
(2) Boas F., Anthropology in Encyclopoedia of Social Scince, Vol. 2 p. 73.

بدرجة كبيرة أو قليلة [١] .

ويقول "روبرت لوى *Lowie*" الثقافة بأنها «ذلك المجموع الكلى لما يكتسبه الفرد فى مجتمعه . تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية وعادات الطعام والحرف التى لم يعرفها الفرد نتيجة نشاطه الإبتكارى . بل عرفها كتراث فى الماضى ينتقل اليه بواسطة التعليم الرسمى والتعليم غير الرسمى» .

ويرى "بانزيو *Panuzio*" الثقافة بأنها «ذلك المجموع الكلى لذلك النسق الكلى من المفهومات والاستعمالات والتنظيمات والمهارات والأدوات التى تتعامل بها البشرية مع البيئة الفيزيقية والبيولوجية والإنسانية لإشباع حاجاتها» .

بينما يرى "مالينوفسكى *Malinoviski*" الثقافة هى «ذلك الكل المتكامل الذى يتكون من الأدوات والسلع والخصائص الجنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات والأعراف» .

ويُعرف "كروبر *Kroeber*" الثقافة بأنها «مجموع ما أنتجه البشر فى إجتماعهم كما أنها قوة هائلة تؤثر فى البشرية جمعاء أفراد وجماعات على المستوى الفردى والإجتماعى» [٢] .

وبناء عليه نرى أن التعريفات الوصفية إتسمت بالنظرة الكلية

---

(1) Linton R., The Study of Man. Appleton. century crofts N.Y 1936. p 77

(٢) سامية الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الإجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ ، ص.ص. ٣٥-٣٧.

الشمولية للثقافة كوحدة متكاملة دون النظر إليها كوحدات منفصلة ، هذا من الناحية الأولى ، كما أن هؤلاء العلماء إهتموا بتعداد الأشكال أو المظاهر المختلفة لمحتوى الثقافة ، هذا من الناحية الثانية . فضلاً على ذلك فإن هؤلاء العلماء قد تأثروا بالتعريف الجامع الشامل "لتايلور" بصورة مباشرة كتلميذه "فرانس بواز" أو عن طريق تلاميذ "بواز" من أمثال "ويسلر وبنديكت وكروبر" هذا من الناحية الثالثة .

ثانيا التعريفات التاريخية للثقافة :

تتميز تلك التعريفات بأنها جعلت التراث الإجتماعى أو التقاليد فى بورة إهتمامها .

فنجد "سابير" يعرف الثقافة بأنها «مجموعة الممارسات والمعتقدات المتوارثة إجتماعياً والتى تحدد جوهر حياتنا» .

ويرى مالينوفسكى أن التراث الاجتماعى هو المفهوم الرئسى فى الانثروبولوجيا الثقافية وغالباً ما يطلق عليه إصطلاح الثقافة ، وتضم الثقافة الصناعات الموروثة .

وجير بالذكر أن التعريفات التاريخية تتميز بأنها تنتقى أحد ملامح الثقافة أو أوجهها وهو التراث الاجتماعى أو التقاليد الاجتماعية وتركز عليه بدلاً من أن تحاول تعريف الثقافة بشكل واسع وشامل كما هو الحال فى التعريفات الوصفية .

كما نجد أن إصطلاح «الوراثة الاجتماعية» عند "رالف لينتون" هو نفس ما يعنيه إصطلاح «التراث الاجتماعى» ، وكذلك "براون" الذى كان

يعارض إستخدام مفهوم الثقافة وإنما يذكره دائماً بالبناء الاجتماعى .

ويعد كل من "رالف لينتون ، مارجريت ميد" أول من حاولا التمييز صراحة بين الثقافة بوجه عام *Culture* وبين ثقافة معينة *A Culture* والتى قصد بها إما ثقافة تخص ما نطلق عليه نحن الانثروبولوچيون "المنطقة الثقافية" أى ثقافة تتشابه إلى حد كبير فى مجموعة من المجتمعات أو "ثقافة فرعية" تخص مجموعة أو جماعة من أبناء مجتمع ما تميزهم عن الجماعات الأخرى بنفس المجتمع ، وبناء عليه نجد إختلافاً واضحاً بين النظرة للثقافة كمفهوم عام وبين ثقافة مجتمع أو جماعة من الجماعات داخل المجتمع الواحد اوثقافة تنتمى إلى منطقة معينة "كالثقافة العربية" أو "ثقافة البحر الابيض المتوسط" .

كما أن هذه التعريفات قد أقرت حقيقة هامة وهى أن البشر لهم تراث اجتماعى إلى جانب التراث البيولوچى وهذا التراث ينبع من عضويتهم فى جماعة معينة لها أهداف وإتجاهات عامة محددة وسمات مشتركة وتاريخ واحد .

وتذهب د. سامية الساعاتى إلى أن ما يؤخذ على هذه التعريفات التاريخية بوجه عام هو أنها تصور الثقافة على أنها إستاتيكية جامدة بينما نجد إصطلاح التقليد *Tradition* ذاته يتضمن الدينامية والنشاط الدينامى . والبضائع والسلع والعمليات التكنولوچية والأفكار والعادات والقيم (١) .

وينظر لينتون *Linton* إلى أن الوراثة الإجتماعية هى الثقافة حيث أن

---

(١) د. سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨-٣٩ .

الثقافة كمصطلح عام تعنى الوراثة الاجتماعية للبشرية بينما يعنى الإصطلاح النوعى ثقافة *A Culture* صفة معينة من الوراثة الاجتماعية .

وتذهب مارجريت ميد إلى أن الثقافة تعنى ذلك الكل المركب من السلوك الذى طوره الجنس البشرى والذى يتعلمه جيل بعد آخر دون توقف أما إصطلاح ثقافة فهو أكثر تحديداً لأنه يمكن أن يعنى أشكالاً من السلوك الخاصة بمجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات أو جنس معين أو منطقة معينة أو زمن بعينه .

أما "بارسونز" فيرى أن الثقافة تتكون من تلك النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنسانى التى يمكن أن تورث معنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجينات الوراثية .

بينما يرى "راد كليف براون" *"Brown"* أن الحقيقة التى يتضمنها إصطلاح الثقافة من وجهة نظره تتبلور فى عملية إكتساب التقاليد الثقافية وهى العملية التى تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأفكار والذوق الجمالى والمعرفة والمهارات والاستخدامات فى مجموعة إجتماعية معينة أو طبقة اجتماعية ، ومن شخص إلى آخر ومن جيل إلى آخر [1] .

ولما كانت مثل هذه التعريفات تصور الثقافة على أنها إستاتيكية

---

(1) See :

- Linton, The Study of Man, Appleton-century crafts, N.Y. 1936 p.p. 78-79.
- Mead, M., Cooperation and Comptition Among Primitive Peoples, McGraw Hill, N.Y., 1937 p.p. 17-18.
- Parsons, T., Essays in Soiological Theory. op. cit., p. 11.
- Brown, R., White's View of a Science of Culture, American Anthropology, vol., 51, 1959, p.p. 502-506.

وبذلك جعلت فيها دور الإنسان سلبياً تماماً بعكس ما أثبته وتثبته البحوث والدراسات الأنثروبولوجية قديماً وحديثاً فى مختلف الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة وكان من نتائجها أن الإنسان ليس حامل سلبى للتقاليد الإجتماعية أو الموروثات الثقافية بل أنه بقدر ما هو حافظ وناقل للتراث الثقافى إلا أنه مبدع ومعدل ومبتكر له ، وخير دليل على ذلك عمليات الإقتباس والإستعارة والإنتقاء للسمات الثقافية المادية وغير المادية بين الجماعات وبعضها نتيجة عمليات الإتصال الثقافى وما يتبع ذلك من إنتشار لسمات ثقافية معينة أو تعديل وظيفة سمات قديمة أو إدخال سمات جديدة .. إلخ .

ثالثاً: التعريفات المعيارية للثقافة :

وتنقسم التعريفات المعيارية إلى فئتين فرعيتين هما [١] :

١ - فئة تهتم بالثقافة كقاعدة وطريقة أو أسلوب .

٢ - فئة تبرز أهمية المثل والقيم .

ونوضح أهم الآراء التى تمثل الفئة الأولى فى المعالجة التالية :

* فينظر "ويسلر *Wissler*" للثقافة كأسلوب حياة تتبعه الجماعة أو القبيلة وهو يضم كل الإجراءات الإجتماعية المقننة ، وثقافة القبيلة ، تتضمن مجموعة المعتقدات والإجراءات التى تتبعها القبيلة .

* ويرى "بوجاردس" "*Bogardus*" الثقافة على أنها المجموع الكلى

---

(١) أنظر:

- سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠ ـ ٤١ .

لأساليب الفعل والتفكير الماضية والحاضرة لجماعة إجتماعية وهى تمثل مجموعة التقاليد والمعتقدات والأعراف والإجراءات المتوارثة .

ويعرف "هيرسكوفيتس" "Herskovits" الثقافة بأنها طريقة حياة الناس بينما المجتمع هو جمع منظم من الأفراد الذين يتبعون طريقاً معيناً للحياة ، وبمعنى آخر فإن المجتمع يتكون من أفراد ، أما الطريقة التى يسلكون بها فى حياتهم فهى ثقافتهم .

ويذهب "كلاكهوهن" "Kluckhon" بأن الثقافة تشير إلى الاسلوب المتميز لحياة مجموعة من الناس ، أو إلى خطة حياتهم .

أما عن فئة التعريفات المعيارية التى تبرز أهمية مفهومى المثل والقيم فنجمل أهمها فيما يلى :

يذهب "توماس" "Thomas" بأن «الثقافة هى القيم المادية والإجتماعية لأى جماعة من الناس سواء أكانت متوحشة أو متمدينة وهى نظمهم ، وأعرافهم وإتجاهاتهم وردود أفعالهم .

ويرى "بدنى" "Bidney" أن «الثقافة تتكون من السلوك المكتسب ومن لأفكار التى يكتسبها الأفراد من خلال المجتمع هذا إلى جانب المثل الفكرية والفنية والإجتماعية التى يؤمن بها ويقرها أفراد المجتمع ويكافحون من أجل إطاعتها » .

بينما يرى "سوروكن" "Sorokin" بأن «المظهر الإجتماعى للكون فوق

---

(١) أنظر:

- سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠ ـ ٤١ .

العضوى يتكون من أفراد متفاعلين ومن أشكال من التفاعل من مجموعات منظمة وغير منظمة ومن علاقات بين الأفراد وبين المجموعات .

أما المظهر الثقافى للكون فوق العضوى فيتكون من المعانى والقيم والمعايير وتفاعلات هذه العناصر والعلاقات بينها فى المجموعات المتكاملة وغير المتكاملة ، لأن هذه العناصر تجسد من خلال الأفعال الظاهرة فى الكون الإجتماعى الثقافى .

وجدير بالذكر أن التعريفات المعيارية تتميز فى مجملها بأنها إهتمت بالثقافة كقاعدة وطريقة وأسلوب يتبعها الناس فى أعمالهم وأفكارهم ، بل وفى حياتهم بصفة عامة ، فضلاً على أنها تحيى من جديد فكرة الأعراف الإجتماعية التى إتسمت بها التعريفات الوصفية .

ويعد "كلارك ويسلر" رائداً لهذه التعريفات خصوصاً فى عبارته الشهيرة «الثقافة هى أسلوب حياة الجماعة» وقد إقتفى الكثيرين من العلماء أثر هذه العبارة الشهيرة وتعنى تلك التعريفات بكلمة الطريقة أو الأسلوب النقاط التالية :

* نماذج مشتركة أو شائعة .

* جزاءات معينة إذا فشل البعض فى إتباع القواعد .

* أسلوب للسلوك .

* مخططات أو برامج للفعل .

فضلاً على ذلك فإن التعريفات المعيارية التى تبرز أهمية المثل والقيم ترى أنها تشكل وحدها أهم نماذج السلوك ومخططات الفعل .

رابعاً: التعريفات السيكولوچية :

وتنقسم التعريفات السيكولوچية للثقافة فى محورين هما :

أ - الثقافة كعملية تكيف وتوافق وأداة كل المشكلات:

ونجمل اهم التعريفات فى هذا المحور فى التعريفات التالية : [1] .

يعرف "سمنر وكيلر" *Sumner & Keller* «الثقافة بأنها مجموع الأساليب التى تكيف الناس لظروف حياتهم وهذا التكيف لا يمكن الوصول اليه إلا من خلال أفعال تجمع ما بين التنوع والإنتقاء والإنتقال .

كما يعرفها يونج *Young* بأنها الأساليب الشعبية المستمرة لمعالجة المشكلات والنظم الإجتماعية ، كما أنها تتكون من ذلك الكل من السلوك المتعلم أو نماذج سلوك أى جماعة التى تتسلمها من جماعة سابقة أو جيل سابق لها ثم تسلمها بدورها بعد أن تضيف إليها إلى جماعات لاحقة أو جيل لاحق [2] .

وينظر فورد *Ford* للثقافة فى شكل قواعد تحكم السلوك الإنسانى تعطى حلولاً للمشكلات الإجتماعية .

ويرى "بدنجتون *Pidington*" أن «الثقافة هى ذلك المجموع الكلى للأجهزة المادية والفكرية التى يشبع الأفراد عن طريقها حاجاتهم

(١) أنظر:

- سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ص ٤٣ ـ ٤٧ .

(2) Young, K., Sociology. A study of society and culture, American book, N.Y, 1949 .pp 18-20.

البيولوجية والإجتماعية ويتكيفون لبيئتهم» [1] .

ب - الثقافة وعنصر التعلم الإنسانى:

ونجمل أهم أنصار هذا الإتجاه وتعريفاتهم فى النقاط التالية :

ينظر "ويسلر" *Wissler* للظواهر الثقافية على أنها تحتوى على كل أنشطة الإنسان التى يكتسبها عن طريق التعلم ، كما أنها مركبات من السلوك المكتسب من قبل الجماعات الإنسانية .

ويرى "لا بيير" *La Piere* الثقافة بأنها هى تجسيد من العادات والنظم إلخ ومما إكتسبته أى جماعة إنسانية على مدى الأجيال أنها مجموعة ما أكتسبته الجماعة عن المعيشة معاً تحت ظروف فيزيقية وبيولوجية معينة وجدت نفسها فيها .

كما ترى "روث بيندكت" *Bendict* الثقافة هي الإصطلاح السوسيولوجى للسلوك المكتسب وذلك السلوك الذى لا يكتسبه الإنسان بالميلاد والذى لا تجدده خلاياه الوراثية مثلما هو الحال عند الدبابير أو النمل ، لكنه سلوك لابد أن يتعلمه من جديد ، الأجيال الصغرى من الأجيال الأكبر منها [2] عن طريق (عمليات التنشئة الإجتماعية والثقافية) أى تلك العمليات التى تختلف بإختلاف الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة وكما سيتبين فى مواضع كثيرة فى متن الدراسة التى بأيدينا .

---

(1) Piddington, R., An introduction to social anthropology Edinlurgh, 1950 pp 6-8.
(2) Benedict, R., Race, Sciece and Politics, 1947, p. p. 13-14

وينظر دافيز *A. Davis* بأن «الثقافة تشمل كل مظاهر السلوك التى يتعلمها ويكتسبها الفرد فى تكيفه مع المجموعة» .

ويشير هوبل *Hobel* بأن الثقافة هى «المجموع الكلى لنماذج السلوك المكتسب وهى شىء يتميز بع أعضاء المجتمع دون غيرهم ولذلك فهى ليست نتيجة الوراثة البيولوجية» .

كما يرى "روهيم" *Rohem* عالم النفس التحليلى بأن الثقافة تعنى «مجموع عمليات الإعلاء والإبدال أو تكوين الردائد وإنها بإختصار كل ما يؤدى فى المجتمعات إلى كف الدوافع أو الحيلولة دون إشباعها إلا بعد تحريفها» .

ونجد من لأهمية بمكان ابراز اهمية تلك التعريفات السيكولوچية والتى فى أحد محوريها تركز على أهمية الثقافة كعملية تكيف وتعلم وتوافق للشخصية فى ضوء المحيط الثقافى الذى يختلف من نمط مجتمعى إلى اخر ، هذا فضلاً عن كونها أداة لحل المشكلات المختلفة أو الوقاية أو الحد من خطورتها ، خصوصاً وأن المشكلات تختلف فى الثقافات المختلفة وتختلف تبعاً لذلك سبيل مواجهتها والحد منها أو حلها .

وإذا كانت معظم هذه التعريفات خصوصاً فى هذا المحور الأول كانت متأثرة بعالم الإجتماع الأمريكى "سمنر" حيث نجد أن يونج قد إستخدم مصطلح سمنر المفضل "الأساليب الشعبية" *Folkways* الذى يقترب من مفهومه كثيراً من مفهوم الثقافة عند "سمنر".

كما تبدو تأثير نظرية التعلم السيكولوچية فى محاولة لتقريب بين علم الإنسان وعلم النفس ، خصوصاً أن رؤية الثقافة من زاوية سيكولوچية

مرتبطة بشخصية سيكولوچية مرتبطة بشخصية الفرد وعلاقته بالثقافة من حيث كونه حامل وملقن ناقل ومعلم ومتوارث للثقافة بما تتضمنه من عرف وعادات وتقاليد وقواعد سلوكية تؤثر تأثيراً واضحاً فى شخصية الفرد وبالعكس فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وهذا ما ستوضحه الدراسة التى بأيدينا عند تحليلنا لعناصر التكوين النفسى للشخصية وتأثرها وتأثيرها بالثقافة فى الأنماط المجتمعية المختلفة محل الدراسة فى جنيه .

وجدير بالذكر أنه قد أخذ على التعريفات السيكولوچية فى محورها الأول كأداة محل المشكلات وللتكيف أو التوافق أنها أحياناً تخلق مشكلات حيث أنها قد تخلق حاجات متعددة للإنسان تتطلب الإشباع فى حين قد تعجز فى بعض الأحيان فى تقديم وسائل أو سبل إشباع الحاجات ، كما أنها تحاول أن تفسر وجود الثقافة دون أن تعرف ما هى ، وتحاول إعطاء تعريفاً تفسيرياً دون أن تجهد نفسها بإعطاء تعريف وصفى أولاً [1]

وإذا كان "كلارك ويسلر" رائداً للتعريفات المعيارية ، فإنه أيضاً له السبق والريادة فى مجال التعريفات السيكولوچية وبخاصة تلك التى إهتمت بعنصر التعلم الإنسانى ، وقد تأثر فى ذلك بموجة المزج بين الأنثروبولوچيا وعلم النفس .

كما نجد "لابيير" يمثل محاولة لمزج بين التعريفات التايلورية والمدرسة

---

(١) أنظر:
- سامية الساعاتى، ص ٤٦ .

السيكولوجية الحديثة المتأثرة بنظرية التعلم ، فضلاً عن ذلك يعد "روهيم" يعد من أوائل علماء التحليل النفسى الذى أعطى تعريف منظم للثقافة مستخدماً مصطلحات التحليل النفسى ، وجدير بالذكر أن فرويد قد إستخدم مصطلح "الثقافة" ولكن فى غير معناه الأنثروبولوچى ، ومرد ذلك أنه إهتم أكثر بالأشياء على المستوى العام والعالمى ولم يعط إهتماماً كبيراً للتباين الثقافى ، بينما نجد الفرويديون الجدد أمثال "هورنى" و"كاردنير" و "وفروم" كثيراً ما يستخدمون كلمة ثقافة بشكل غير محدد فمثلاً "هورنى" تستخدم لفظ "ثقافي" كثيراً كمرادف للفظ "إجتماعي" (١)

خامساً: التعريفات البنيوية للثقافة:

وتتميز تلك التعريفات بوضوح فكرة النموذج أو التنظيم فيها ويتضح ذلك من خلال عرضنا لاهم التعريفات التالية :

يرى "دولارد" *Dollard* أن "الثقافة إسم يطلق على العادات المجردة عن حامليها أو المرتبطة بعضها بعضاً لمجموعة إجتماعية" (٢) .

ويرى "أوجبرن ونيمكوف أن "الثقافة تتكون من المخترعات أو السمات الثقافية المتكاملة فى نسق بدرجات مختلفة من الإرتباط بين أجزائه ، وتنتظم السمات المادية وغير المادية على السواء حول إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية وبناء عليه تمدنا بالنظم الإجتماعية التى هى قلب الثقافة ، وتصل النظم الإجتماعية فيما بينها لتكون نموذجاً فريداً فى كل مجتمع (٣) .

---

(١) أنظر:
- سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(2) Dollard op cit, p 63.

(3) *Ogburn & Nimkoff, Sociology*, Houghton mifflin, N.Y, 1946, p 191.

ويشير "ريد فيليد" *Red field* إلى أن «الثقافة هى تنظيم من المفهومات التقليدية التى تظهر فى العقل والمصنوعات والتى تميز أى جماعة إنسانية من خلال إستمرارها من خلال التقاليد» .

ويذهب "لينتون" إلى أن الثقافة ليست أكثر من إستجابات منظمة متكررة لأعضاء المجتمع (١) .

بينما يرى "چلن" *Gillin* أن الثقافة تتكون من عادات منمطة ومرتبطة وظيفياً ومنتشرة بين مجموعات بعينها من البشر تكون مجموعات إجتماعية معينة (٢) .

وينظر "كوتو" *Couto* إلى أن «الثقافة أحد التكوينات الأكثر شمولاً والتى تطلق عليها مجالات التفاعل الإجتماعى أنها أسلوب حياة شعب بأسره مثل الشعب الصينى أو شعب غرب أوروبا أو الولايات المتحدة أن الثقافة بالنسبة لشعب من الشعوب هى الشخصية بالنسبة للفرد ، وروح الجماعة *Ethoo* بالنسبة للثقافة هى كالأنا *Self* بالنسبة للشخصية أى أنها لب كل أنواع السلوك المحتملة (٣) .

وجدير بالذكر أن التعريفات البنيوية تتميز بسمتين أساسيتين هما :

١ - تأكيدها على العلاقات التنظيمية المتبادلة بين مظاهر الثقافة المختلفة .

٢ - إبراز الصفة التجريدية للثقافة .

---

(1) Linton, R., op cit, p 533.

(2) Gillin, J.P., op cit, p 191.

(٣) سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

وبناء عليه نجد "دولارد" يفصل الثقافة عن حامليها ويرى أنها نموذج من المفهومات التى يفسر السلوك ، فالثقافة هى خطة عمل للحياة أو نسق من برامج العمل للحياة لكنها ليست الحياة نفسها أنها تحدد ردود أفعال الناس ، لكنها ليست فى ذاتها ردود أفعالهم ، وتمكن أهمية هذا الفهـــم فى تحرير الثقافة كثقافة من السلوك ويجردها من النشاط الانسانى .

كما ينفرد تعريف "كوتو" عالم النفس الإجتماعى بأنه تعريف أصيل ومبتكر لربطه بين التنظيم وأسلوب الحياة كما أنه يمزج فى أصالة ما بين الثقافة والشخصية [1] .

سادساً: التعريفات التطورية للثقافة:

وتتميز هذه التعريفات بأنها تحاول أن تفسر أصل الثقافة ، وتوضيح كيف نشأت الثقافة ، وما هى العوامل التى أدت على نشأتها ؟

وتتضمن هذه التعريفات ثلاثة إتجاهات نوضحها فى إيجاز كما يلى :

أ) الثقافة كنتاج *As Product*:

فيرى "جروفز" *Groves* أن «الثقافة هى نتاج التفاعل الإنسانى» .

بينما يرى هيرسكوفيتس *Herskovits* أن «الثقافة هى ذلك الجزء من البيئة الذى صنعه الإنسان» [2] .

أنظر:

(١) سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(2) Herskovit, op. cit, pp. 384-385.

ب) الثقافة كأفكار *As Ideas*

ويرى "ويسلر" *"Wissler"* أن الثقافة هي رابطة محددة ومركبة من الأفكار [١] .

بينما يقصد "تايلر" *"Taylor"* بالثقافة كمفهوم وصفي كل تلك الأبنية العقلية أو الأفكار التي يكتسبها الفرد أو يخلقها بعد مولده ، وتشمل الأفكار كل من الاتجاهات والمعاني والعواطف والمشاعر والقيم والأهداف والإهتمامات والمعارف والعلاقات والإرتباطات والمعتقدات [٢] .

ويذهب فورد إلى أن الثقافة هي نهر من الأفكار الذي يمر من فرد إلى آخر بوسائل الرموز والألفاظ والمحاكاه .

جـ) الثقافة بوصفها رموز *As Symbols*

يرى "بين" *"Bain"* أن الثقافة هي «كل أنواع السلوك التي تنتقل بواسطة الرموز» .

ويذهب "دافيز" إلى أن الثقافة هي كل أساليب التفكير والسلوك التي تنتقل من جيل إلى آخر بالتفاعل الإتصالي ويقصد به الإنتقال عن طريق الرموز وليس عن طريق الجينات الوراثية . كما يذهب "ليزلي هوايت" إلى أن الثقافة هي تنظيم خاص من الرموز [٣] .

بناء عليه نجد أن التعريفات التطورية تؤكد شأنها أن التعريفات

---

(1) Wissler, C., op. cit., p.p. 192-200

(2) Taylor, E., op. cit., p.p. 109-110 .

(٣) سامية الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

التاريخية على جانب التقاليد والتراث الاجتماعى ، ولكن هذا الإتجاه ينحو إلى التأكيد على الثقافة بوصفها نتاج أو نتيجة بدلاً من وضع عملية الفواصل والإنتقال فى بؤرة إهتمامه كما تفعل التعريفات التاريخية

بينما يحاول الاتجاه الثانى إبراز الجانب غير المادى من الثقافة ، كما يحاول إختزال أهم مفهومات الثقافة الفضفاضة مثل مفهوم العرف ..الخ ، ويذهبون إلى أن ما يطلق عليه «الثقافة المادية» شيء غير ذى وجود فالوعاء مثلاً ليس ثقافة ، ولكن الفكرة وراء الشيء المادى أو المصنوع ، وما الصلاة أو الإحتفالات فى ثقافة من الثقافات إلا تعبير خارجى مرئى عن فكرة ثقافية معينة .

كما يرى معظم من ينظرون إلى الثقافة كرموز أن الإنسان ليس حيواناً مفكراً . كما أنه ليس حيوان يصنع ثقافة ويرون أن السمة الأساسية التى تميز الإنسان هى أنه حيوان يستخدم الرموز .

سابعاً: التعريفات الشمولية للثقافة:

تتميز هذه التعريفات بعدم تركيزها على جانب واحد وإنما تحاول قدر الإمكان أن تتناول الظاهرة من أكثر من زاوية ، بل وتفسير الثقافة من وجهات نظر مختلفة .

فيرى "كارل ماركس" أن الثقافة هى كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها وإستخدامها ونقلها فى المجتمع من خلال سير التاريخ . ويُقصد من ذلك أن الثقافة ظاهرة تاريخية يتحدد تطورها بتتابع النظم الاقتصادية

(١)أنظر : سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص.ص ٥١-٥٢ .

والاجتماعية وتتخذ الثقافة فى أى مجتمع طبقى طابعاً طبقياً سواء فيما يتعلق بمضمونها الأيديولوجى أو أهدافها العميقة [١].

بينما يرى كل من "كروبر" و "كلاكهوهن" أن الثقافة تتكون من نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمنتقل بواسطة الرموز والتى تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية والذى يظهر فى شكل مصنوعات ومنتجات ، أما قلب الثقافة فيتكون من الافكار التقليدية المتكونة والمنتقاه تاريخياً وبخاصة ما كان متصلاً منها بالقيم ، ويمكن أن نعد الأنساق الثقافية ، نتاجاً للفعل من ناحية ، كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل [٢].

وجدير بالذكر أن التعريفات الشمولية للثقافة تتميز بعدة سمات نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١) محاولة تناول الثقافة من أكثر من جانب ، لذا فقد جمعت بين النظرية الوصفية والتاريخية والمعيارية والتطورية فى آن واحد

٢) محاولة تحليل الثقافة وتبيين مكوناتها وما هيتها وطبيعتها .

٣) محاولة تفسير نشأة الثقافة .

بناء عليه يحدد التعريف الماركسى بوضوح أهم مكونات الثقافة من حيث كونها ظاهرة تاريخية ومحاولة ربطه بين الثقافة والنظم الثقافية

---

(١) لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٠ .

(2) Kroeber, A., DKluckhohn, C., Culture, Arctical Review of Concepts and Definitions, Vintage books, N.Y. 1952, p. 357.

والاجتماعية ، كما أنه يعطى تفسيراً مادياً تاريخياً لنشأة الثقافة وتغيرها مع إهتمامه ببعد الطبقة الاجتماعية ومحاولة ربطه بين الطبقة والثقافة .

إلا أن رؤية كل من كروبر وكلاكهوهن أكثر شمولاً حيث أنهما أضافا البعد السيكولوجى والبنيوى للثقافة ويظهر ذلك من قولهما بأن الثقافة مكتسبة هذا من ناحية ، ثم إبرازهما للثقافة كنماذج من السلوك ، هذا من ناحية أخرى ، فضلاً عن إهتمامهما بدينامية الثقافة وكيفية إنتقالها ويفسر نشأتها ، كما أنهما أبرزا الصلة الوثيقة بين الثقافة والشخصية وبصفة خاصة فى نظرتهما إلى الأنساق الثقافية كنتاج للفعل وأنها شرطية محددة بسلوك مقبل ، وهذا يعنى أن الثقافة من خلق الإنسان من ناحية ، كما أنها تحدد سلوكه وأفعاله من ناحية أخرى ، فضلاً عن ذلك فإن تعريفهما لا يهمل الجانب التاريخى فى الثقافة .

وبناء عليه يؤكد التعريف الماركسى وتعريف كروبر وكلاكهوهن على أهمية القيم عند تعريف الثقافة [(١)] .

بعد هذا العرض الواضح التفصيلى للرؤية المختلفة للثقافة ، نجد من الأهمية بمكان أن نعرض للرؤية الأنثروبولوجية للثقافة لما تمتاز به هذه الرؤية بالشمولية والنظرة الكلية القائمة على الوصف والتحليل والتفسير معاً وهذا ما سيتضح فى المعالجة التالية :

---

(١) انظر : سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص.ص. ٥٣-٥٤ .

١) مفهوم الثقافة من وجهة النظر الانثروبولوجية :

مما هو جدير بالذكر أن علماء الأنثروبولوجيا يختلفون فيما يتعلق بمستوى الحقيقة المتضمنة فى العادة ف إستعمالهم لمفهوم الثقافة ، فالبعض يتضمن كل المستويات والبعض الآخر معيارى أو إفتراضى ، كما يختلف البعض الآخر فى مجال العادة ويرجع البعض منها فقط إلى تلك الدراسات أو المجموعات من العادات المميزة للمجتمعات التى فيها الدراسات الأنثروبولوجية الحقلية ، كما نجد البعض الآخر يتضمن كل العادات التى تشارك فيها تلك المجتمعات متضمنة ما فيها من عادات عالمية .

كما نجد بعض الكتاب لا يضمنون مفهوم الثقافة فقط العادات ولكن أيضاً المنتجات المادية لمثل تلك العادات أى أنهم لا يعنون بها فقط كطريقة لتشكيل رأس الحربة ولكنها أيضاً تضم الحربة ذاتها كنوع من الثقافة المادية [١] .

كما نجد فى معظم تلك الإستعمالات لمفهوم الثقافة أن العادات التى تأتى فى ثبت لمكونات مفهوم الثقافة إنما تتضمن العادات المكتسبة عن طريق التعلم ، ولعل هذا يكون إفتراضاً معقولاً مثلاً فى معظم الخطوات المتبعة فى عملية صناعة الفخار أو العرافة ، ولكن ماذا عن تلك التكوينات من العادات التى تتمثل فى التفاعل الإجتماعى المتضمنة فى إلقاء المسئولية على الآخرين أو الخير فى مواقف معينة ، وإذا كانت الثقافة تحمل فقط على العادات المكتسبة بالتعلم فعلى المرء إذن أن يتأكد

---

(١) محمد عبده محجوب ، مقدمة فى الأنثروبولوجيا ، المجالات النظرية والتطبيقية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٩١ - ١٩٢ .

من العادة إنما تنتمى فى الواقع إلى تلك الفئة من العادات قبل أن يضمها ذلك الكل المعقد الذى يعبر عنه بالثقافة ، وهو قرار ليس دائماً من السهل أن ننتهى إليه .

كما يعتبر مفهوم المنطقة الثقافية من أكثر الإستعمالات الأنثروبولوچية إنتشاراً وهو يشير إلى تلك السمات التى تتمثل فى العادات والمنتجات المعتادة أو التكوينات بين السمات المميزة لمجال جغرافى يتفاوت مداه ، وهى تضم صيد الجاموس وإستخدام الخيل والملبس والمسكن المصنوع من جلود الحيوانات والتصميم الهندسى وإتحادات لمحاربين وغيرها [1] .

ولما كان بكل مجتمع من المجتمعات مهما إختلفت درجة تحضره أو تقليديته ثقافته الخاصة به ، تلك الثقافة لتى ورثتها الأجيال السابقة إلى الأجيال الحاضرة ، وهذا الإرث يختلف من حيث المحتوى من مجتمع إلى آخر ، إلا أن هذا التراث الموروث يمكن تعديله إما بالإضافة أو الحذف أو التحكم فيها طبقاً لمجموعة العوامل الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والتربوية فيمكن على سبيل المثال للشعوب البدائية أو التقليدية أن تتغير ثقافياً بفعل عوامل معينة كالهجرة والإحتكاك الإجتماعى والثقافى .

فى ضوء ذلك نجد أن الموروثات الثقافية يمكن تعديلها بعكس الموروثات البيولوچية والتى لا يمكن بأى حال من الأحوال تعديله أو تغييرها ، وهذا ما أكده "هاولز" فى كتابه ماوراء التاريخ من أن الثقافة هى كل تلك الأشياء التى لايمكن أن تورث بيولوچيا وإنما هى كل ما يعلمه الإنسان

(١) محمد عبده محجوب ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

لإنسان بأى طرق التعلم المعروفة والمتنوعة كالإرتباط الشرطى ، المحاولة والخطأ والإستبصار .

وإذا كان هذا يعنى من الناحية الأخرى أن الثقافة كم متراكم من العادات والفولكلور والتقاليد والآداب الشعبية .. إلخ ، تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الإكتساب والتعلم ، فليس كل كائن يتعلم ذا ثقافة ، فالحيوانات تتعلم أنماطاً متعددة من السلوك للتأقلم مع البيئة التى يعيشها ولكنها مع ذلك ليست ذات ثقافة ، حيث أن تعلم الإنسان للثقافة يختلف تماماً عن تعلم الحيوان لسلوك ما ويسوق "وليم هاولز" مثالاً فى كتابه "ماوراء التاريخ" لتوضيح هذه المسألة من أننا قد نجد لدى القردة العليا عصا الحفر ، تلك التى يستخدمها الإنسان فى إقتلاع الحضروات البرية بقصد أكلها ، فضلاً على ذلك فقد ترتدى الجلود طلباً للدفء شأنها شأن الإنسان تماماً ولكن يجدر بنا هنا توضيح أمر فى غاية الأهمية فبينما تعد عصا الحفر وإرتداء الجلود ثقافة بالنسبة للإنسان ، لأنه لم يستخدم العصا لكونها عصا وإنما لادراكه أنها نمط للسلوك حيث أن النمط الذى ينتج عنه الحفر بالعصا هو العنصر الثقافى الحقيقى لاسيما وأن الإنسان لديه القدرة الفائقة على حفظ هذه الأفكار وتعديلها أما بالحذف أو بالإضافة بينما لا نجد مثل هذا الاسلوب لدى الشمبانزى ينشأ عمداً كما لا يحتفظ به أو يورث [1] .

ويجعلنا هذا نتساءل لماذا يختلف الإنسان على هذا النحو مع الحيوان؟

---

(١) وليم هارلز ، ما وراء التاريخ ، ترجمة أحمد ابو زيد ، دار النهضة ، ١٩٦٥ ، ص.ص ٦٠-٦١ .

مما هو جدير بالذكر أن الإنسان يمتلك وحده حاجزاً إضافياً يفصل بين دوافعه الفطرية وبين أفعاله ، هذا الحاجز أصبح بمثابة وسادة تقوم بين الإنسان وبيئته ، وهذه الوسادة ترق وتتضخم طبقاً للبناء الثقافى نفسه ، وهذا يعنى أنه كلما رقت الوسادة أو ضعف الحاجز كان الإنسان أقرب إلى مباشرة دوافعه الفطرية بطريقة تلقائية كما هو الحال فى المجتمعات البدائية والى حد ما فى المجتمعات التقليدية .

ونجد عكس ذلك تماماً بالنسبة للمجتمعات المعقدة التى تفرض حاجزاً سميكاً أو وسادة متضخمة تعبر عن بيئة الإنسان . ولقد ظهرت أخيراً إتجاهات تنادى برفض الحواجز والأقنعة الحضارية لتطبيق عملى للفلسفة الوجودية المعاصرة والتى يتزعمها "سارتر" حيث أنها تنادى أن الوجود سابق للماهية وأن الإنسان فى رأيهم صانع مصيره وخالق قدره وليس هو شيئاً آخر غيرنا يصنعه بنفسه ، وعليه أن يؤكد وجوده بما يراه هو لا بما يملى عليه من قوالب أو حلول ثقافية جاهزة (١) .

وبناء عليه فعندما نشير إلى ثقافة المجتمع المحلى التقليدى سواء أكان هذا المجتمع المحلى قرية أو نجع أو تجمع ، فلايهمنا فى هذا الصدد أن نشير إلى حجم المجتمع سواء أكان كبيراً أم صغيراً ، بسيطاً أم معقداً ، مجتمعاً تقليدياً أم متقدماً أو على درجة عالية من الحضارة أو غير ذلك ، ولكن ما يهمنا أن جميع الأفراد يشاركون فى نفس نمط الحياة والموجهات القيمية للسلوك داخل المجتمع وأن جميع الناس يتصرفون فيما بينهم ، ويتميزون عن إعضاء المجتمعات الأخرى و هذا وقد وصف بعض العلماء

---

(١) زكى اسماعيل ، انثروبولوجيا التربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٠ ص ٢٤٩ .

الاجتماعيين ثقافة تلك المجتمعات المحلية بقولهم ، أنها الثقافة التى لا تحتاج إلى قدر من التفكير عندما يقبل على ممارستها أعضاء نفس المجتمع ، لأنها تكون متطابقة تطابقاً تاماً مع إتجاهاتهم وميولهم [1] .

وإذا كان لنا من تعقيب على ذلك ومع إعترافنا الكامل بأن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به والتى تختلف مع الثقافات الفرعية للشعوب المختلفة ومع إشتراك كل هذه الثقافات في النهاية فى سمات مشتركة (عموميات الثقافة) وإن إختلفت فى بعض الخصوصيات (خصوصيات الثقافة) ، وأن الإنسان عندما يولد يجد تراثاً ثقافياً متراكماً يستجيب له بصورة أو بأخرى ، ولكن يجدر بنا أن لا ننسى حقيقة فى غاية الأهمية وهى أن لكل مجتمع ظروفه المتجددة بصورة مستمرة تبعاً لظهور متغيرات جديدة قد يكون لها شأن فى غاية الأهمية فى تغيير ما هو كائن كلية أو النيل منه بقدر ما .

ولهذا السبب نجد أن توجهات الثقافة بشأن كافة انماط السلوك الحياتية وما يترتبط بها من أنماط السلوك والتوجيهات القيمية تجاه الأسرة والعمل والإستهلاك والإدخار لا تحتاج إلى قدر من التفكير حيث أن أفراد المجتمع من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية يتلقونها أجيالاً عبر أجيال عن طريق النقل الشفهى وبناء عليه يكون هناك تحديداً قاطعاً وجازماً لكافة الحقوق والواجبات والإلتزامات تجاه مختلف الأمور التى ترتبط بحياة الإنسان فى المجتمع المحلى بأنماطه المتباينة ثقافياً ، كما قد تقبل بعض التغيرات فى بعض السمات الثقافية المادية ولكن بالقدرالذى

---

(١) محمد عباس ابراهيم ، الثقافات الفرعية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الخامس ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ ص.ص ١٤٤-١٤٥ .

يسمح بالإستمرار والتواصل الثقافى وتحديث السمة أو تطور وظيفتها أو الإبقاء على القديم والحديث معاً ، وهذا لمسته بوضوح فى معظم دراساتى الميدانية فى الثقافات المختلفة .

فتقبل الثقافة كتحصيل حاصل لا ينطبق إلا على المجتمعات المنزوية البسيطة التركيب والتى لا يظهر بها أى أثر للتغير البنائى ، وذلك لعدم تعرضها لأى مؤثرات خارجية من شأنها أن تؤثر فى بنائها الإجتماعى بقدر ما ، وهذا نجد عكسه تماماً بالنسبة للمجتمعات التقليدية أو التى تخضع بصورة متكررة أو مستمرة لمؤثرات خارجية تخلق معها ظروف وأوضاع جديدة تحتم التخلى بعض الشيء عن بعض من تلك المورثات الثقافية ، وقد ينتج فى هذه الحالة إزدواجية فى الثقافة ، ويعنى ذلك أن السمات المأخوذة من الجديد قد تعيش جنباً إلى جنب مع ما هو قديم مادام من شأنه أن يجعل عجلة الحياة تستمر (١) .

وبناء عليه نجد أن الإنسان يمتاز عن الحيوان بعاملين هامين فى مجال إكتساب الثقافة هما (٢) :

١) عامل إستخدام اللغة كوسيلة للإتصال السوسيوثقافى وما يصاحبها من تجريدات وترميز فى مجال الإتصال .

٢) القدرة الإنسانية على التعلم بلا حدود أو قيود لإكتساب المعرفة .

ويرى كول وكوكس أنه إذا كانت الحيوانات تستطيع أن تتواصل عن طريق سلوكها وأصواتها ، فإن معظمها يتم تواصله أى تعلمه عن طريق

---

(١) محمد يسرى دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ص ٢٩٢ .

(٢) زكى محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

المحاولة والخطأ وإن أمكن للحيوانات العليا أن تتعلم بوسيلتين هما الملاحظة والتقليد . إلا أن الإنسان وحده الذى يستخدم كل وسائل التعلم بطريقة ينفرد بها عن سائر الكائنات الحية وهذا يعنى أن الثقافة سمة إنسانية فى صميمها .

وإذا إتصفت الثقافة بأنها تعتمد على التعليم المتراكم ، فذلك لأنها تعد مستودعاً هائلاً من الخبرات والتجارب والمعلومات التى تكون ذلك التراكم ، وبالتالى فهى تقدم للإنسان الحلول الجاهزة لما يصادفه من مشكلات يواجهها عند إحتكاكه بالعالم الفيزيقى لا سيما وأن لديه صفة التوقع والتنبؤ . توقع ردود الفعل المقبلة نتيجة النماذج السلوكية التى سبق أن عايشها من قبل ودرسها وإستقرت فى خبرته وميدان تجاربه . ولذلك يمكن له أن يؤلف من مجموعة الإختيارات والبدائل الثقافية المتعددة ما يمكنه فى النهاية من الوصول إلى القرارات والأحكام الاجتماعية (١) .

ويتضح مما سبق كيف أن التعلم والتعليم أساسان هامان لنقل الأنماط والسمات الثقافية عبر الزمان والمكان ، حيث أن التعليم والتعلم هما وسيلتان لإنتقال الثقافة أو الحضارة وهذه خاصية مميزة للإنسان ينفرد بها عن غيره من الكائنات .

فضلاً على ذلك فالإنسان لا يتعلم من التجربة وحدها ، وإنما تترقى قدراته بإحتكاكه لاآخرين على حد قول "رالف لينتون" حيث تعتمد كل مجتمعات الإنسان فى وجودها وبقائها على ذلك الكم الهائل من التعلم

---

(1) Earl, H. Bell, Social Foundations of Human Behavior, Harper & Row, N.Y. 1961, p. 115.

المتراكم الذى ندعوه الثقافة .

ولا تقتصر القدرة الإنسانية على التعلم ، بل تمتد إلى تلقين وتعليم الآخرين وإتصالهم بسائر المكونات العامة للثقافة ، ويتلقى الإنسان من العالم الخارجى كل صنوف الحرمان *Deprivation* وألوان الإحباط *Frustration* من قسوة البيئة الطبيعية ، وما يتخللها من صعوبات أو يعتريها من عقبات فيزيقية كشدة الحرارة أو برودة الطقس ، الأمر الذى يفرض على الإنسان أن يواجه الطبيعة بما يدخره من تعلم متراكم حيث يعود الإنسان دائماً إلى هذا المستودع الثقافى الهائل لكى ينتقى منه مختلف الحلول الجاهزة التى تمكنه من التكيف مع العالم الفيزيقى الصارم [١] .

وجدير بالذكر أن الإنسان عندما ينتقى شيئاً من الثقافة يجد نفسه إزاء "عموميات" *"Universals"* و "خصوصيات" *"Speacilists"* و "بدائل" *"Alternative"*.

وتكون العموميات مفروضة على كل أفراد الثقافة الواحدة إلا أنها مشاركة عامة فى أنماط السلوك والفكر والإستجابة وتحرص عليها الجماعة كل الحرص ، لأنها التعبير الجمعى عن تلك الروح العامة التى تشيع فى جوانب الثقافة ، كما تتصل العموميات بكل ما هو عام كاللغة والدين والشعائر والتقاليد والعادات التى تفرض ويعاقب كل من يخرج عليها .

وتعنى الخصوصيات العناصر الثقافية الخاصة بزمرة أو طبقة معينة ،

---

(١) قبارى محمد إسماعيل ، الأنثروبولوجيا العامة ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧١ ، ص ٥٣١ .

ولذلك كان أغلب الخصوصيات مهنى أو تخصصى ، وإذا كانت العموميات هى التى تعبر عن وحدة الثقافة ، وهى عامل التكامل والتضامن ، فإن الخصوصيات تبعث على التفاضل والتمايز ، حين تتفاوت طبقات المجتمع المجتمع ويتباين تقسيم العمل دون أن يتعارض ذلك مع أنماط الفكر والسلوك الشائعة فى المجتمع ، وإذا كانت العموميات من ناحية أخرى هى التعبير عن التجانس الثقافى العام ، فإن الخصوصيات هى التعبير عن التفاضل واللاتجانس.

أما البدائل الثقافية فتختلف كلية عن العموميات والخصوصيات وينتقيها الإنسان كإستجابة لموقف من المواقف ، وقد يحتاج الموقف الواحد إلى أساليب مختلفة من أنماط السلوك الثقافى، تلك التى تحقق نفس الهدف ، وتشبع نفس الحاجة ، فإذا كان صيد الطير أو قنص الحيوان سمة ثقافية عامة ، فإن ذلك لا يستلزم ضرورة الصيد أو القنص بطريقة معينة دون غيرها ، بل إن الصيد أو القنص قد يتخذ أشكالاً متنوعة تختلف من عشيرة إلى أخرى ، بل ومن فرد إلى آخر ، فهناك فى كل سمة ثقافية عامة نجد عدداً من البديلات أو الأنماط السلوكية البديلة التى يمكن تطبيقها فى نفس الموقف الواحد لإشباع نفس الحاجة وتحقيق نفس الأهداف والأغراض ، ولذلك تخضع هذه البدائل للتغير الدائم ، فقد تندمج البدائل فى صلب الثقافة إذا أثبتت جدارتها فى تحقيق الغرض وإشباع الحاجة ، وقد تزول بزوال تلك الجدارة أو الضرورة وقد تعدل وتهذب كى تصبح أكثر توافقاً مع الثقافة موضوع الدراسة [(١)] .

---

(١) قبارى محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

وإجمالياً فإن هناك سمات عامة للسلوك الإنسانى، إستناداً لأنماط ثقافية محددة بالذات ، يتعلمها الإنسان كى تساعده على حل مشكلاته ، فالثقافة هى «سلوك متعلم» كما تمتاز أيضاً بأنها تتراكم وتزداد بصورة مستمرة خلال حركة التاريخ ، كما أنها تمتاز بخاصية الإنتقال والحركة عن طريق التربية كنظام أو نسق من أنساق البناء الإجتماعى يضطلع بمهمة أو وظيفة نقل التراث الثقافى من جيل إلى جيل وكما سيتضح فى مواضع كثيرة فى نفس متن الدراسة .

٢ - مفهوم الشخصية:

الشخصية تعد من أكثر الظواهر النفسية تعقيداً ولذلك تعددت وتناقضت النظريات التى تحاول تفسيرها وبالتالى تعددت وتناقضت التعاريف حولها ، ومما لاشك فيه أنه من المستحيل أن نعرف الشخصية دون الوصول إلى إتفاق حول الإطار المرجعى النظرى الذى سننظر إلى الشخصية من خلاله وهكذا فإن تنوع وتعدد تعريفات الشخصية يرجع إلى تنوع وتعدد نظرياتها .

ولا يقتصر الخلاف حول تعريف الشخصية على إطار المعرفة العلمية التخصصية وإنما يتجاوزه إلى المعانى الدارجة للشخصية .

ويمكن وضع معظم المعانى الدارجة للشخصية فى فئتين فترى الفئة

• الأولى أن الشخصية تعنى المهارة الإجتماعية والخدمة ، فشخصية الفرد تقدر بماله من فعالية تمكنه من إستثارة إستجابات إيجابية من جانب عديد من الناس فى ظروف مختلفة .

• أما الفئة الثانية فتعتبر أن شخصية الفرد هى أقوى الإنطباعات التى

يخلقها فى الآخرين ويبرزها . وبذلك يمكن القول أن الشخص له «شخصية عدوانية» أو شخصية مستكينة» أو «شخصية طيبة» وهنا يختار الملاحظ صفة أو خاصية مميزة أشد التمييز للمفحوص ويفترض أنها جزء هام من الإنطباع يخلقه فى الآخرين . وتتحد شخصيته بهذه الصفة أو الخاصية

وواضح أن الفئتين تتضمنان عنصراً تقويمياً ، فالشخصيات توصف عادة إما أنها سيئة أو طيبة .

وفيما يتعلق بالتعاريف العلمية للشخصية ، فهى أكثر تنوعاً وتعدداً فقد إستخلص العلامة "البورت" فى مسح شامل للدراسات المتعلقة بالشخصية قرابة خمسين تعريفاً مختلفاً صنفها إلى عدد من الفئات الواسعة وإستخدم فى ذلك عدة أسس للتقسيم وهذه الأسس هى الأبتمولوجيا أو أصل الصطلح والمعانى الفلسفية والمعانى الفقهيه والمعانى الإجتماعية والمظهر الخارجى والمعانى انفسية (١) .

ويرجع إختلاف وتعدد تعاريف الشخصية إلى عدة عوامل ، منها كما سبق ذكره سابقاً ، تنوع وتعدد نظريات الشخصية وذلك لحداثة علم الشخصية ومن تلك العوامل تعقد مفهوم الشخصية . فالشخصية تشمل جميع الصفات الجسمانية والعقلية والخلقية فى حالة تفاعلها مع بعضها من ناحية ، وتفاعلها مع البيئة الطبيعية والإجتماعية من ناحية ثانية وتفاعلها مع المواقف اللانهائية العدد التى يختبرها الفرد منذ الولادة حتى الممات من ناحية ثالثة . ويختلف العلماء فى تأكيد أحد تلك العوامل

---

(١) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

على حساب العوامل الأخرى ومن الأسباب الأخرى لتعدد وتنوع تعاريف الشخصية أهمية موضوع الشخصية لكثير من التخصصات العلمية ، إذ يتفق علماء النفس وعلماء الوراثة وعلماء الحياة وعلماء الإجتماع والأنثروبولوجيا على أهمية موضوع الشخصية فى دراساتهم فالأفراد هم المكونات الأساسية فى ظل الأنساق الإجتماعية والثقافية (١) .

كما ترجع معظم الإختلافات فى التعاريف السابقة إلى تحيز كل فريق من العلماء إلى نظريات فى مجالات تخصصاتهم سواء العريضة أو الدقيقة ، فبعض علماء النفس يهتمون بالجوانب الفردية فى الشخصية ، أى بما يميز شخصية فرد ما عن باقى الشخصيات ، وهى الجوانب العامة فى كل شخصيات البشر ويمكن التعميم بشكل من التحفظ فنقول أن علماء النفس فى تعاريفهم للشخصية يهتمون بإبراز أهمية الإستعدادات الفردية والجوانب البيولوجية والوراثية فى الشخصية ويتخصص بعضهم من علماء التحليل النفسى والأطباء النفسيين فى دراسة الشخصيات غير السوية .

ويهتم علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا بدراسة الشخصيات السوية فى المجتمع وهم وإن كانوا يعترفون بأن كل إنسان لديه تكوينه الموروث أو جهازه البيولوجى إلا أن إهتماماتهم يتركز حول التشابه بين شخصيات أعضاء الجماعة الواحدة سواء كانت جماعة كبيرة أم صغيرة . ولذلك يهتمون بالأسلوب العام بتصرف الشخص نحو الاخرين ونحو العالم أن الشخصية عندهم هى ذلك التنظيم الذى يجمع إتجاهات الفرد وأفكاره وعاداته ورغباته وكذلك قيمه وتصوره لنفسه وخطته العامة فى الحياة.

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

كما يتفق علماء الإجتماع والأنثروبولوچيا كذلك على أن الشخصية تتكون وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين وبدون ذلك التفاعل وقبله لا يكون للفرد شخصيته [1] .

ومن هنا كان تركيزهم فى دراسة الشخصية على الإتجاهات العامة أى التشابه فى تصرفات شخصيات الجماعة الواحدة فالإتجاه هو الوحدة الرئيسية فى التنظيم أى فى الشخصية ، ويقصد بالإتجاه عندهم ميل مكتسب يجعل الفرد يتصرف بصورة معينة نحو شخص معين أو شيء أو معرفة .

ولا يقتصر مفهوم الإتجاه على الأفعال وإنما يشمل أيضاً الميول فى الشعور والتفكير نحو شئ معين . إن إهتمام علماء الإجتماع والأنثروبولوچيا بتشابه شخصيات أعضاء الجماعة جعلهم يوكدون أهمية التنظيم فى الشخصية ، فالشخصية هى تنظيم يجمع إتجاهات الفرد ، ويتكون هذا التنظيم من خلال تفاعل الفرد مع غيره فى الحياة الإجتماعية ، فنحن نعتمد على الاخرين كحوافز للسلوك وكمعلمين للسلوك [2] .

وهذا بالقطع ما تؤكده الدراسات الميدانية التى قمت بها فى مختلف الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة ولذا نجد إختلافاً واضحاً بين مقومات ومحددات الشخصية البدوية عن الشخصية القروية عن الشخصية الحضرية وما يرتبط بذلك من إختلاف فى عمليات التفاعل والتواصل الإجتماعى وإختلاف طبيعة الأدوار والمراكز فضلاً عن تشابه

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) عاطف وصقفى ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

بعض السمات الفيزيقية والنفسية داخل الثقافة الواحدة مع تباينها مع السمات الفيزيقية والنفسية للثقافات الأخرى ويتأصل ذلك مبدئياً فى إختلاف نظرة الفرد لمجتمعه وثقافته وبالعكس فى تلك الثقافات المختلفة لبعضها البعض وإختلاف النظرة لقيم الذكورة والأنثوية فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف النظرة إلى الحياة ومدى إقبال الفرد عليها ونظرة الشخص لذاته من مختلف الطبقات العمرية .. إلخ ، من المحددات السلوكية والإجتماعية التى تطبع الشخصية بسمات ومقومات معينة تقابل داخل الثقافة الواحدة وتتباين بين الثقافات المختلفة .

ونعرض فيما يلى لرؤية العلوم الإجتماعية المختلفة لموضوع الشخصية من حيث طبيعتها والعوامل المؤثرة فى تكوينها ويتضح ذلك فى المعالجة الموجزة التالية :

أولاً: الشخصية من وجهة النظر الانثروبولوجية :

مما لاشك فيه أن علم الإنسان يفيدنا فى دراسة الشخصية من خلال رؤيته الشمولية ومنهجيته المتميزة فى إستخدام المناهج والطرق المتعددة والمتمايزة التى قد تجمع بين المعلومات الكيفية والكمية وهنا ينظر لموضوع الشخصية فى الأنماط المجتمعية المختلفة المتباينة إجتماعياً وثقافياً وسياسياً وإقتصادياً وتكنولوجياً ونفسياً .. إلخ .

وهناك عدة تعريفات لعلماء الأنثروبولوجيا للشخصية نذكر بعض منها على النحو التالى :

يرى رالف لنتون أن «الشخصية هى الجمع المنظم للعمليات والحالات

النفسية الخاصة بالفرد »[1] .

كما يرى كلاكهوهن وموراى أن «الشخصية هى إستمرار الأشكال والقوى الوظيفية التى تظهر من خلال تتابع العمليات وصور السلوك الظاهرى المنظمة والسائدة منذ الولادة حتى الموت»[2] .

ويرى بارنو أن «الشخصية هى تنظيم ثابت لدرجة ما للقوى الداخلية للفرد وترتبط تلك القوى بكل مركب من الإتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشىء والخاصة بالإدراك الحسى والتى تفسر لدرجة ما ثبات السلوك للفرد »[3] .

وحينما نقوم بتحليل تركيب الشخصية يمكننا أن نحدد مختلف جوانبها وأن نشير إلى سائر مكوناتها البيولوجية والثقافية والبيئية وهذه المكونات التقليدية التى تحيل الشخصية إلى تجريد *Abestraction* يستند إلى تركيب صورى . وهذا ما ستؤكده الدراسة الميدانية التى بأيدينا فيما بعد .

ولاشك أن هذه النظرة الصورية للشخصية هى مفيدة حقاً ولها أهميتها فى الدراسة العلمية التى تفرض علينا أن نقوم بعزل مكونات الشخصية ، كما تقتضى طبيعة البحث العلمى أن يحاول الباحث أن يفصل بين سائر جوانبها وأجزائها ، إلا أن عزل مكونات الشخصية على ها النحو هو عزل

(1) LINTON, R., The Cultural background of Personality, Appleton century crofts, INC., N. Y., 1954, p. 84.

(2) KLUCKOHN, C. AND MURRAY. H., Outline of Conception of Personality In, Personality In Nature, Society and Culture, AIFRED, A KNOPH N. Y. , 1959. p. 49.

(3) BARNOUW, V., Culture and Personality, the Dorsey Press, Inc., Homewood, I Llinois, 1963, p. 8.

صورى تستلزمه طبيعة الدراسة .

كما أن الفصل بين محتوياتها هو فصل بين مجردات يعتبر من ضرورات ومقتضيات البحث [١] .

وإذا كانت النظريات التى تبحث فى تكوين الشخصية على أن الشخصية هى نتاج التفاعل بين الچينات الوراثية التى تشكل الخصائص البيولوچية للفرد وخبرات الحياة ، وبالرغم من أنه لم يتحدد بعد أى العوامل التى تعطى للشخصية سماتها فالسمات الوراثية وخبرات الحياة تشكل مجموعة من العوامل المتداخلة التى تعمل على تكوين الشخصية ، فالشخصية هى صيغة للإستجابات التى تكونت عند الفرد ونمت على أساس من الخبرة التى إستمدها من تفاعله مع البيئة ، وتؤثر الصفات الموروثة للفرد بقوة فى نوع الخبرة التى يكتسبها من خلال التفاعل مع البيئة ، فالتأثير الذى تتركه البيئة عن الطفل القوى يختلف عن التأثير الذى ينتج عند الطفل الضعيف ، وكذلك أيضاً يختلف نوع ودرجة هذا التأثير عند الطفل الذكى عنه عند الطفل الذى يتصف بإنخفاض الذكاء [٢] .

وبناء عليه نلمس أن الصفات الوراثية عند الفرد تؤثر على تكوين شخصية الفرد ونموها وتطورها ، وأن نوع التأثير الذى تمارسه تلك العوامل البيولوچية يكون مشروطاً بالعوامل البيئية وهذا ما لمسته بوضوح فى إختلاف تأثير تلك العوامل على تكوين شخصية الإنسان فى الثقافات

---

(١) تبارى محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥ .
(٢) محمد حسن غامرى ، مرجع سابق ، من ص ٧١ - ٧٢ .

المختلفة ، ومرد ذلك أن القدرات الموروثة والعوامل البيئية لا تُشكل كل منها عامل محدد ودائم فى تكوين الشخصية وإنما لابد من التآلف بينهما فى تحديد ملامح عامة للشخصية .

ولقد أكد كلاكهوهن على أن العناصر الإجتماعية والفيزيقية والمكونات البيئية والحضارية التى تسهم فى تشكيل سمات الشخصية ،وهناك أشكال مختلفة من السمات والمحددات وهى المحددات العامة *Universal determinants* والمحددات المشتركة *Communal determinants* والفطرية *Idiosyncratic* ، ومحددات الدور *Role* [1] .

وبناء عليه نجد أن التكامل الوظيفى لكل سلوك يتعلمه الفرد فى ضوء هذه المحددات أثناء قيامه بمختلف الادوار التى تتمايز مع الفئات الاجتماعية مثل الاسرة والمدرسة ومكان العمل ، تلك الأدوار التى تخلق الشخصية المتميزة ، حيث أن الادوار والمقاييس الخلقية ، بالإضافة إلى مزيج مختلط من مجموع الأهداف والآراء والعادات كلها جوانب أساسية تسهم فى تكوين الشخصية ، وذلك بفضل عملية التنشئة الاجتماعية التى هى فى أساسها عمليه سيكو اجتماعية تتكون بفضل النظم التربوية والتعليمية الرسمية وغير الرسمية السائدة فى أى ثقافة من الثقافات والتى يتم نقلها عن طريق المؤسسات الرسمية كالمدرسة أو المؤسسات غير الرسمية كالأسرة وجيل الكبار بصفة عامة ثم عن طريق الوسائط التربوية الاخرى المكملة لتلك العملية التربوية والتعليمية عن طريق المؤسسات الدينية المختلفة والجرائد والإذاعة والتليفزيون وجماعة الرفاق ... الخ .

(١) عبارى محمد إسماعيل ، الأنثروبولوجيا العامة ، منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٧١ ، من ص ٥٢٥ .

حيث نلمس من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية كيف أن الفرد فى مختلف المراحل العمرية يتعلم عادات مجتمعه المختلفة وطبيعة دوره ومركزه ورؤيته لذاته وللآخرين وطبيعة الحقوق والواجبات والإلتزامات التى يتحتم عليه أن يقوم بها وأن ينالها فى مجتمعه .

كما تتضمن الشخصية على قدرات سيكولوجية تتأثر أيضاً بالعوامل الوراثية ، وهذا يعنى أن القدرات السيكولوجية لها أساس فسيولوچى ، وجدير بالذكر أن العلماء حتى الآن لم يتوصلو إلى معرفة الأسس الفسيولوجية التى قد يكون لها تأثير على القدرات السيكولوچية ، وبناء عليه لا تشكل العوامل الفسيولوچية عامل أساسى فى تحديد أنماط الاستجابة التى تكون جوهر الشخصية وإنما مسئولة جزئياً عن القدرات السيكولوجية للفرد ، وقد توصل العلماء من خلال تطبيقهم لإختبارات الذكاء على جماعات تعيش فى ثقافات مختلفة أن إختبارات الذكاء تتأثر بالخبرات التى يكتسبها الفرد من ثقافته والتى تتباين من نمط مجتمعى إلى آخر .

ويتضح أن معظم العلماء الانثروبولوچيين لم يتفقوا على مدى تأثير العوامل البيولوجية والوراثية فى تحديد سمات الشخصية ، فلقد ذهب البعض إلى أن الوراثة تؤثر فى بعض جوانب الشخصية ، بينما أرجع البعض أن التباين فى الشخصيات مرده العوامل الوراثية ، وهنا نجد أن الموقفين المتعارضين لم يرجعا للأبحاث العلمية المتطورة الحديثة فى علم الوراثة ، كما نجد أن الإختلافات التكوينية بين الفرنسيين والألمان ضئيلة جداً ، إلا أنهم يختلفون بدرجة كبيرة فى معايير شخصياتهم ، مما يصعب

معه تفسير التباين في الشخصية على الأساس التكويني [1]

وإذا كان "فرانز بواس" *Boas* قد أدرك أن العوامل الفسيولوجية الوراثية لاتعتبر أساساً للمعايير الشخصية في المجتمعات المختلفة ، وأن التباين في تكوين الشخصية يرجع إلى البيئات التي ينشأ فيها الأفراد ، ويُقصد أن نمط الثقافة سواء في عناصرها المادية واللامادية له تأثير بالغ الأهمية في تكوين الشخصية ، وهذا ما يؤكده "كلاكهوهن" *kluckhohn* من أن النظم الثابتة التي تواجدت قبل ميلاد الأفراد تؤثر عليهم بعد الميلاد ، ويسير الأفراد طوال حياتهم تبعاً للقواعد والمعايير التي تفرضها هذه النظم وهذا يؤدي إلى تنوع سلوك الأفراد في مواجهة المشاكل الإجتماعية التي تصادفهم من خلال الترابط الوثيق بين الثقافة والشخصية [2] .

ثانيا: الشخصية من وجهة نظر علماء الإجتماع :

وجدير بالذكر أن علماء الإجتماع يهتمون بالشخصية بإعتبارها أحد الأسس الجوهرية التي تقيم الحقيقة الإجتماعية ، حيث أن المجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الأفراد ، ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه وثقافته ، لأنه لا يصبح إنساناً إلا من خلال تفاعله وتواصله مع الآخرين في الجماعة ، وهذا

See

(1) LINTON, R. The Cultural Background of personality, N. u, 1945, p.p. 124 - 126.

See ·

(2) KLUCKHOHN, C., and H. MURRAY. Personality in nature, Society and Culture N y, 1953, p.p. 53 - 54.

التفاعل والتواصل والتقارب والتباعد إلخ يخضع لتحريمات الثقافة وقيودها .

ويرى بيسانز *Biesanz* أن لكل شخص شخصيته كما للاخرين ، طالما أنه مر خلال عملية التنشئة الإجتماعية وبصرف النظر عن إتجاهاتها أو الأسس التى قامت عليها ، لهذا فهو يعرف الشخصية بأنها (تنظيم يقوم على أساس من عادات الشخص وسماته ، وهى تنبثق من خلال العوامل البيولوچية والإجتماعية والثقافية [١] .

ويُقصد بيسانز بالتنظيم تكامل العادات والإتجاهات والسمات ويقصد بالعادات الطرق الدائمة نسبياً التى يسير عليها الفرد فى سلوكه ، والإتجاهات هى الميول التى تظهر فى الأفعال الموجهة نحو قيم معينة ، كالأشخاص أو الأشياء أو النظم الإجتماعية أما السمات فهى الصورة العامة للإستجابة [٢] .

وتعنى الشخصية عند وليم أوجبرن ونيمكوف التكامل النفسى والإجتماعى للسلوك عند الإنسان وتعبر عادات الفعل والشعور والإتجاهات والاراء عن هذا التكامل ، وقد يتعارض السلوك الإجتماعى مع السلوك الفسيولوچى على الرغم من الصلة المتبادلة بينهما ، وبناء عليه فإن الجانب الإجتماعى الهام للشخصية يكمن فى أنها تنمو فى المواقف الإجتماعية وتعبر عن نفسها من خلال التفاعل مع الآخرين ،

---

(1) BIESANZ J., & BIESANZ, M., Modern Society, An Introduction to Social Scieneces prentice - Hall, Englewood cliffs, N. J., 1963, p. 178.

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الإجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، صص ١١٧ - ١١٨ .

ولهذا يهتم عالم الإجتماع بمعرفة تكوين الشخصية وبقائها وتغيرها ومختلف العوامل المؤثرة فيها ، وإن كان يركز كل إهتمامه على المؤثرات الإجتماعية [1] .

ويرى جرين أن الشخصية ليست مجرد القيم والسمات بل أن تعريفها يجب أن يتضمن صفة هامة بها . وهى التنظيم الدينامى الذى بدونه تصبح الشخصية عاملاً معوقاً فى النمو والإنتماء إلى جماعات متعددة فى المجتمع ، ويؤكد بذلك أن الإنسان يصبح شخصاً نتيجة للمؤثرات الإجتماعية التى تؤثر فى كيانه التشريحى والفسيولوچى والعصبى ، ولابد له كى يصير شخصاً أن يكتسب اللغة فالشخصية لا تقتصر على ما يميز الشخص . بل تشتمل أيضاً على ما هو مشترك بين الشخص والآخرين .

ويرى سوركن أن الأفراد هم المكونات الأساسية فى كل الإنسان الإجتماعية والثقافية . لذلك فإن شخصياتهم تؤثر من غير شك فى إطار الأنماط الثقافية والإجتماعية . كما أن سوركن لا ينكر أهمية الوراثة البيولوچية فى الشخصية ، ولكنه يذهب إلى الجانب الإجتماعى الثقافى من الشخصية لا يتحدد عن طريق هذه الوراثة لأنه يصب فى قوالب معين من خلال الوسط الإجتماعى الثقافى ، فيتشرب الفرد عالمه الثقافى الإجتماعى ويتمثله وينمو على تربته ، وبناء عليه فالثقافة مرآه أعضائها ، وما يقدمون من تنظيمات إجتماعية ، بينما يعكس البناء الإجتماعى

(1) Ogburn, W., and Nimkoff, A Handbook of Sociology, London, 1960, p. 191.

مكوناته من الأفراد وأنماطهم الثقافية .

كما يرى سوركن أن الدراسات المتعددة التى أجريت فى ميادين علم النفس الطفل ، والتحليل النفسى وعلم الجريمة تؤكد أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة ، فالنمو العقلى ، والذاكرة والتعميم يستحيل دون التفاعل الإنسانى ، ولا يمكن أن تتراكم الخبرات والمعارف أو تتميز معايير الصواب والخطأ دون تفاعل الأجيال ، أو من غير توافر الخبرة الجمعية ، ولم يكن للغة أن تنبثق من غير التفاعل الإجتماعى [1] .

وإجمالياً يمكن القول بأن علماء الاجتماع عند إهتمامهم بدراسة الشخصية يركزون على العوامل الثقافية والاجتماعية التى تكون الشخصية دون الاهتمام بالعوامل الوراثية البيولوجية ، حيث أن الفرد يكتسب شخصيته بإنتمائه إلى جماعة فيتعلم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية انساق السلوك والمهارات المختلفة والعادات ومعايير الجماعة .

ثالثاً: الشخصية من وجهة نظر علماء النفس:

مما هو جدير بالذكر أن تعريفات علماء النفس للشخصية تتعدد وتتمايز فمنها ما يصف الإستعدادات الداخلية والعوامل الخارجية التى تتفاعل مع بعضها فتكون الشخصية ومنها ما يؤكد الصحة النفسية فينظر إلى الشخصية من زاوية نمط التوافق الفردى المتميز فيرى أن ما يحدد الشخصية هو تلك الأفعال التى تقوم بها لتساعدنا على المحافظة

---

(1) Sorkin, p..., Society, Culture and Personality, Their Structure and Dynamics, N. Y. Harper & brothers, 1967, p.p. 343 - 344.

على توازننا وتكيفنا مع الظروف التى تحيط بنا ، ،منها ما يرى أن تعريف الشخصية بالأثر الذى يتركه الفرد فى الآخرين لا يكفى لأنه لا يوضح لنا شيئاً عن الصفات الداخلية الحقيقية فى الشخص إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عدداً من الشخصيات وهى : الشخص كما يراه غيره والشخص كما يرى نفسه والشخص على حقيقته (١) .

ويتناول السلوكيون الشخصية من زاوية الصفات والمظاهر الخارجية للشخص وبناء عليه فإن الشخصية هى مجموع العادات السلوكية للفرد وهى مجموع أوجه النشاط التى يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة تكفى لأخذ فكرة يعتمد عليها عن الشخص ولا شك أن هذه التعاريف غير شاملة لأنها تهتم فقط بالشخص كما يرده غيره ويهمل الناحيتين الأخرتين .

بينما تنظر مدرسة التحليل النفسى للشخصية من زاوية مختلفة تماماً حيث ترى أن الشخصية كقوة مركزية داخلية توجه الفرد تماماً فى حركاته وسكناته ، ويتضح أن هذا التعريف أيضاً غير شامل لأنه يهتم بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه (٢) .

وهناك تعريفات أخرى متعددة كمجموعة من الصفات نذكر منها ما يلى :

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٩ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٩ .

يرى مورتون برنس الشخصية بأنها هى حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوچية الفطرية الموروثة وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة [(١)] .

وهذا التعريف غير دقيق لأنه يحمل فى طياته خطورة التفكير فى هذه الصفات كوحدات منعزلة بعضها عن بعض ، حيث أن الشخصية فى الواقع وحدة لا تتجزأ وهى أكثر من مجرد مجموع أو حاصل جمع صفات فهى كالمركب الكيماوى يحتوى على صفات خاصة به ، تختلف كل الاختلاف عن صفات العناصر المكونة لها .

لقد ظهرت تعريفات تنظر إلى الشخصية بأنها التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية ، العاطفية والترويحية والجسمية للفرد والتى تميزه عن الآخرين كما يتضح فى التعريفات التالية :

يرى ونيس أن "الشخصية هى المجموع الاجمالى لكل الأمزجة والدوافع والميول والشهوات والغرائز الفطرية والبيولوچية وكذلك الميول والإتجاهات المكتسبة عن طريق التجربة" .

ويرى واطسون أن "الشخصية هى مجموع الانشطة التى يمكن إكتشافها عن طريق الملاحظة الواقعية لفترة طويلة تسمح بتوفير مادة يمكن الاعتماد عليها" .

ويرى يوسف مراد أن الشخصية هى الصورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما يشعر بتميزه عن الغير وليست هى مجرد مجموعة من الصفات

---

(١) محمد خليفة بركات . تحليل الشخصية ، دار الفكر العربى ١٩٥٨ . القاهرة ص.ص ٥-٦

وإنما تشمل فى الآن نفسه ما يجمعها وهو الذات الشاعرة وكل صفة مهما كانت ثانوية تعبر إلى حد ما عن الشخصية بأكملها [(١)] .

ويرى أدرنو *Aderno* في كتابة الشخصية المسيطرة بأن الشخصية هى تنظيم ثابت ، بدرجات متفاوتة للقوى الموجودة فى الفرد وتساعد تلك القوى الثابتة على تحديد إستجابة الفرد فى المواقف المختلفة [(٢)] .

ويعد تعريف ألبورت من أهم التعريفات التى ظهرت حتى الآن حيث يرى أن "الشخصية هى التنظيم الديناميكى فى داخل الفرد لتلك التكوينات أو الأجهزة النفسية الجسمية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة" .

ويتجنب هذا التعريف كثير من الصعوبات فى التعريفات السابقة لعدة مميزات نجمل أهمها فى النقاط التالية :

١) يوضح فكرة «الديناميكية» فى الشخصية ، أى التفاعل المستمر بين عناصرها كما أنه يقصد بقوله أن الشخصية هى التظيم الديناميكى أى أنها ثابتة إلى حد ما ، ولكنها فى الوقت نفسه متغيرة وقابلة للتغير نتيجة للتفاعل الدائم بين مختلف العوامل الشخصية والاجتماعية والمادية ، وهو فى الوقت ذاته ، لا يستبعد ما قد يطرأ على الشخصية الإنسانية عند فقدان التنظيم من إنحلال أو تفكك يظهران فى الحالات العقلية والنفسية التى تطلق عليها حالات الإنحراف والشذوذ ، ويأخذ فى إعتباره

(١) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص.ص ١٠٢ - ١٠٣

(2) Aderno, T. Frankel, and others, The Authoritarian personality, Haper, N.Y., 1950, p. 5.

التغيرات الديناميكية التى تتم داخل الفرد (الدوافع) .

٢) يؤكد على فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات وإنما وحدة النتائج منها ، فهى أكثر من مجرد حاصل الجمع .

٣) يشير إلى التكوينات الجزئية الجسمية النفسية الظاهرة والكامنة ويقصد بهذا أن الشخصية تكوين عام تندرج تحته تكوينات جزئية هى جميع ما يتميز به الفرد من عادات وإتجاهات وإنفعالات وعواطف وإستعدادات وقيم ، وهو يشير أيضاً إلى أن هذه التكوينات المختلفة ليست جسمية بحتة ولا نفسية بحتة ولكنها مزيج من الاثنين ، كما يشير إلى التداخل العضوى والنفسى (فى العادات والإنفعال) .

٤) لم يهمل أهمية البيئة وأثر عناصر الشخصية فى تكيف الفرد وتفاعله معها ، ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلاً عن المجموع الذى يحيط به .

ويفهم من ذلك التعريف الذى ساقه ألبورت للشخصية «أنها إستعداد يحدد إستجابة الفرد لمختلف المثيرات التى تحيط به ، بمعنى أن الشخصية موضوع كالموضوعات العلمية يحدد بدقة .

٥) يظهر فكرة التميز التى تجعل كل فرد مختلفاً عن غيره بحيث لا يوجد إثنان متشابهان تشابهاً تاماً ، وفى ذلك إشارة إلى الفروق الفردية .

وتخلص مما سبق إلى فكرتين أساسيتين وهما :

أولاً : أن الشخصية وحدة أو كل أو جشتالت *Gastalt* ، ويجب دراستها كتنظيم كلى عام متكامل .

ثانياً : يجب دائماً إبراز فكرة الاندماج للعناصر المكونة للشخصية واندماجها وتفاعلها المستمر بعضها مع بعض عند تحليلها علمياً إلى عواملها الاولية لتوضيح الحقائق وإبرازها [1]

والواقع أنه مهما إختلفت قوائم العلماء فى ظاهرها وتفاصيلها فإن أغلبها يتفق على أن العناصر الاولية الرئيسية للشخصية هى [2] :

١ – النواحى الجسمية *(Physical)*
٢ – النواحى العقلية المعرفية *(Cognitive)*
٣ – النواحى المزاجية *(Temperamental)*
٤ – النواحى الخلقية *(Character)*

ومن الضرورى بالطبع أن ننظر إلى هذه العناصر الاربعة فى ضوء البيئة الاجتماعية والمحيط الثقافى العام الذى تتكون فيه الشخصية وتنمو .

١ – النواحى الجسمية : ويقصد بها حالة الجهاز العصبى وتأثير الغدد الصماء وحالة الجهاز الهضمى والحواس المختلفة من ناحية حدتها أو ضعفها وكذلك شكل الجسم العام وقوة العضلات وتناسب التقاسيم ورنة الصوت وسرعة الحركات أو بطئها .. إلخ .

٢ – النواحى العقلية المعرفية : وهى إما فطرية كالذكاء والقدرات التحصيلية والمواهب الخاصة ، وإما المكتسبه كالآراء والافكار والمعتقدات والمعلومات المختلفة .

٣ – النواحى المزاجية : ويقصد بها مجموع الصفات الانفعالية

---

(١) محمد خليفة بركات ، مرجع سابق ، ص.ص ٩-١٤ .
(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ص. ١٢٩ .

المميزة للفرد ، وتتضمن تلك الاستعدادات الثابتة نسبياً المبنية على ما عند الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها والتى تعتبر وراثية فى أساسها وهى تعتمد على التكوين الكيميائى والغدى والدموى ، وتتصل إتصالاً وثيقاً بالنواحى الفسيولوچية والعصبية وتظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر والإنفعالات من حيث قوتها أو ضعفها ، ثباتها أو تقلبها ومدى المثيرات التى تثيرها .

٤ - **النواحى الخلقية** : تشمل الصفات الخلقية المختلفة كالأمانة والخيانة والتعاون والأنانية والصدق والكذب والإقدام والتهيب والرحمة والغلظة والظلم والتسامح والتعصب والمسألة والعدوان والكرم والبخل إلى غير ذلك مما يدخل نطاق الاتجاهات النفسية المختلفة .

كما نجد من الأهمية بمكان عند دراسة الشخصية كوحدة واحدة أن نتعرف على تأثير كل من نواحى التكوين النفسى للإنسان فى بعضها البعض ، حيث أن الناحية الجسمية فى الشخصية لا تؤثر على الناحية العقلية للشخص فقط وإنما يمتد تأثيرها إلى جميع عناصر الشخصية ، فمن الثابت علمياً أن لإفرازات الغدد الصماء تأثيراً كبيراً ليس فقط على النمو الجسمى والحركى بل أيضاً على الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الإتزان والإنفعال والنضج الجنسى وكل هذا يؤثر فى الشخصية من حيث إتزانها أو إختلالها النفسى والاجتماعى .

كما أن للعاهات والأمراض خصوصاً المزمنة منها ذات أثر بعيد فى النواحى العقلية والمزاجية والخلقية ، فبعض العاهات لها أثر تعويضى يتضح من المثل القائل : «كل ذى عاهة جبار» وهذا الأثر كثيراً ما يظهر

فى شحذ قدرات الشخص الجسمية والعقلية كما يظهر بشكل بارز فى صفاته وإتجاهاته الخلقية وتعامله مع الناس ، وهناك عاهات يحدث عنها شذوذ بالغ فى الشخصية كالعاهات الناتجة من حوادث الإصابة فى المخ مثلاً (١) .

أما الأمراض المزمنة فلا يقل أثرها عن العاهات اذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدره الشخص على إستغلال طاقته العقلية كما تؤثر فى الناحية المزاجية والإجتماعية من شخصيته فتجعله خاملاً فى تفكيره مثلاً أو سريع التهيج والغضب فى تصرفاته ، أو تجعله ساخطاً متبرماً ينظر الى الدنيا بمنظار أسود (٢) .

ولا يمكن إنكار أن البنية القوية والصحة الجيدة الموفورة تعينان الشخص على الوقوف من الحياة على العموم موقف المتحدى مما لا يقدر علية العليل أو السقيم ، فالصحة الجسمية بلا شك أساس الصحة النفسية، كما أن الضعف العارض قد يورط فى زلة خلقية عابرة فعندما تهجر العافية تفتر الشجاعة ويزداد الكسل ويغل الطبع الحاد أو يغور وقد ننسب هذه التغيرات الى طعام تناولناه أو أرق بلينا به أو سموم فى الدم ، يضاف الى هذا أن بالجسم غدداً صماء تفرز مواد ذات فاعلية شديدة تسمى «الهرمونات» وهى مواد إن لم تفرز بقدر معلوم إختل ميزان الجسم كله وبدت تغيرات ملحوظة فى هيئة الشخص وبنيته ومزاجه وذكائه وغير ذلك من مظاهر شخصيته مما قد يؤثر فى عاداته الاجتماعية وإتجاهاته

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٩ .
(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٣٠

النفسية (١)

ونلمس أثر الناحية العقلية فى نواحى الشخصية الاخرى إذا قارنا بين الشخص الذكى والشخص الغبى ، وضعيف العقل . فالشخص الذكى يستطيع أن يقدر ويفهم معنى وأهمية حياته وكيفية المحافظة على صحته ووقايتها من الأمراض ، كما يستطيع أن يستفيد من الظروف والخبرات التى يتلقنها وأن يستجيب لمن يعلمه أو يربيه ، ويستطيع أن يكيف نفسه للوسط الذى يعيش فيه حيث أنه يكون قادراً على التحكم فى نزعاته ودوافعه غير الاجتماعية وتنمية ميوله وإتجاهاته الاجتماعية وبذلك يسهل إستيعابه وتشربه للثقافة التى يعيش فيها (٢) .

أما الشخص الغبى فإن غبائه يتسبب فى صعوبة تنشئته الاجتماعية المتكاملة ، وتكون شخصيته عرضة للإنحراف والشذوذ الاجتماعى والخلقى وتدل الإحصاءات التى تعمل فى محيط الانحراف والاجرام على أن احتمال أنسياق الشخصية الى الاجرام يتناسب طردياً مع درجة الغباء وعكسياً مع درجة الذكاء (٣) .

ونلمس أثر الضعف العقلى وهو المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء على جميع نواحى الشخصية إذ يصحبه فى الغالب ضعف فى النمو الجسمى والإنفعالى والخلقى وكذلك عدم التوافق والتكيف مع المحيط الثقافى والاجتماعى الذى يعيش من خلاله الفرد ، ولهذا نجد أن الضعف العقلى

---

(١) أحمد عزت راجع ، أصول علم النفس ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص.ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٣١

(٣) محمد خليفة بركات ، تحليل الشخصية ، القاهرة دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ ص ٥٣ .

يؤدى الى عدم النجاح وإنحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول أنهم يتأخرون فى النمو والمشى والكلام وفى سرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفاً فى التوازن الحركى بحيث يبدو ذلك فى تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم كما أن أفكارهم ضئيلة وآراءهم سطحية وفهمهم بطئ جداً وليس لديهم القدرة على التحكم فى دوافعهم النفسية وإنفعالاتهم الغريزية ، وقد ظهر فى البحوث التي تناولت الاسرة المنحلة اخلاقياً أن الضعف العقلى ظاهرة شائعة بين أفرادها ، و قد أدى هذا الكشف الى ربط الاجرام بهذه الظاهرة ربطاً علياً [١] .

كما نلمس تأثير الناحية المزاجية فى نواحى الشخصية الاخرى من ملاحظة ودراسة أثر الانفعالات فى سلوك الفرد وما يطرأ عليه بسببها من تغيرات شاملة عقلية وجسمية ، وقد أجرى كانون *Cannon* بعض التجارب لملاحظة ما يصاحب الانفعال من تغيرات فقد فحص بأشعة اكس قطة بعد أن تناولت غذائها ولاحظ أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة فى عملية الهضم ، ثم أظهر أمام القطة كلباً كبير الحجم ولاحظ بعد إدراك القطة لوجود الكلب أن ظهرت عليها علامات الخوف المعروفة بكل مظاهرها ولاحظ كذلك أن عملية الهضم قد توقفت دفعة واحدة . وإستنتج بملاحظاته الاكلينيكية الى أن الأوعية الدموية إنقبضت فى المعدة وإتسعت فى أطراف الجسم ، وأن ضغط الدم قد زاد زيادة كبيرة فى هذه الاطراف ، وأن تغيرات عدة طرأت على إفرازات الغدد مما أدى إلى زيادة العرق وقلة اللعاب مثل زيادة الأدرينالين مثلاً فى مساعدة الكبد على

(١) حسن الساعاتى ، التحليل الاجتماعى للشخصية ، المجلة الجنائية القومية ، القاهرة ، عدد ١ ، ١٩٥٨ ص ٥٧

إخراج السكر المخزون الى الدم وهذا السكر يحترق أثناء نشاط الكائن الحى ، فيزوده بالطاقة والقدرة على الاستمرار فى نشاطه [1] .

وبناء عليه فالإنفعال إذن حالة نفسية جسمية ثائرة تتميز من الناحية الجسمية بتغيرات وإضطرابات فسيولوچية شتى فى التنفس والدورة الدموية والجهاز الهضمى ، وإفرازات الغدد وغير ذلك من تغيرات الشعور التى تهيئ الشخص للهرب أو الصياح فى حالة الخوف أو القتال أو الدفاع فى حالة الغضب ، أو غير ذلك من أنواع السلوك التى تنصرف بها تلك الطاقة الإنفعالية المتراكمة فى الجسم وأجهزته المختلفة . فإذا أعيقت هذه الطاقة الإنفعالية عن الإنطلاق فى سلوك خارجى مناسب كأن إمتنع الهرب أو الدفاع مثلاً ، زاد تراكمها وإشتدت وطأتها ، وتضخمت إضطرابات الأجهزة الجسمية والأحشاء ، وقد يحدث للفرد أعراضاً من عسر الهضم أو الصداع أو القيئ أو الأمساك أو الإسهال . الخ ويعنى ذلك أن كبت الإنفعالات لأى سبب من الأسباب يؤدى الى إضطرابات عضوية خطيرة ، ومن المشاهد المعروفة أن الحقد أو الغيظ حين يخزن مدة طويلة فى النفس يؤدى الى حالة من إرتفاع ضغط الدم ليس لها أصل عضوى واضح ، وهى تسمى «إرتفاع ضغط الدم الجوهرى» أو إنفعال القلق المتكرر أو المزمن يخل توازن الكالسيوم فى الدم مما قد يؤدى الى تلف الأسنان ، وأن مرضى السل الذين يعانون أزمات نفسية يسير المرض فيهم أسرع من سيره فيمن لا يكابدون هذه الأزمات ، فإذا كانت حالة الغيظ المكظوم الوقتية تؤدى الى إرتفاع عارض فى ضغط الدم فليس من الغريب أن يؤدى الغضب أو

---

(١) عبد العزيز القوصى ، أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ص.ص ٣١-٣٢ .

الكره المزمن الى إرتفاع مستمر فى ضغط الدم . وإذا كان القلق الوقتى يصيب الفرد بعسر مؤقت فى الهضم ، فليس من الغريب أن يحدث القلق أو الخوف المزمن الموصول قرحة فى المعدة (١) .

وهناك بعض الأمراض الجسمية ترجع فى المقام الاول الى عوامل نفسية سببها مواقف إنفعالية ترجع الى ظروف إجتماعية وتعرف هذه الأمراض بالأمراض السيكوسوماتية ومن أظهر الأمراض السيكوسوماتية : الضغط الجوهرى ، قرحة المعدة ، الاثنى عشر والربو وطائفة من أمراض القلب والجدرة وإلتهاب المفاصل الروماتزمى ونوع من الصلع وكثير من حالات السكر والبدانة واللمباجو وعرق النسا وبعض إضطرابات الولادة عند النساء وأغلب أمراض الجلد التى لا تنشأ عن التلوث (٢) .

كما نلمس أن الناحية الخلقية وتداخلها مع النواحى العقلية والمزاجية وترابطها مع تلك النواحى فى تكوين الشخصية ، إلا أنها أقرب الى عوامل البيئة والوسط الاجتماعى والثقافة المهيمنة على الفرد ، فالنواحى المزاجية والعقلية هى المواد الخام التى تبنى عليها الصفات الخلقية ، ولذا فإن الأخلاق السائدة فى المجتمع ، هى المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية .

وهذا يعنى أن كل ثقافة يسرى منها تيار أخلاقى خاص ينساق الفرد فيه متأثراً بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز والمعايير أمور نسبية تختلف فى معناها

---

(١) أحمد عزت راجح ، مرجع سابق ، ص.ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(٢) أحمد عزت راجح ، مرجع سابق ، ص ٤٥٣ .

وحدودها من مجتمع الى آخر ، ولذلك فالجنوح عن صراط تلك المعايير أمر نسبى والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافة أخرى (١) وهذا ما أثبتته الدراسة التى بأيدينا فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث

كما نجد أن التوجهات النظرية المختلفة بصدد العلاقة بين الثقافة والشخصية تعطى وزناً فى عمومها وإختلاف محاورها لأثر الثقافة كأداة للتكيف والتوافق مع الظروف المجتمعية فضلاً عن كونها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية تشكل دعامة للتعلم الانسانى وإستثارة للقدرات الانسانية غير المحدودة التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى الإنسان وخصه بها دون غيره من الكائنات الاخرى ، كما أنها تساعد الشخص على إكتساب العناصر المختلفة للثقافة ومن ثم إبرازها والمحافظة عليها وكذلك التعديل فى أنماطها أو نماذجها أو فى بعض سماتها أو تحديث وتعديل السمات التقليدية من جانب الشخص كما يتواءم مع ظروفه الحياتية والمعيشية وهنا نجد الإلتقاء والتداخل والتأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية .

وإذا كانت الثقافة وسيلة لحل المشاكل المجتمعية أو الشخصية إلا أنها من الممكن أن تكون وسيلة لخلق كثير من المشكلات مثل مشكلة الإدمان وتفاوت خطورتها وتنوع مصادرها فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، حيث أنها قد تخلق حاجات ومطالب تتطلب إشباعاً وقد لا تكون هناك الوسائل المتعددة فى السياق الثقافى التى تشبع هذه الحاجات . وبناء عليه

(١) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٢١٧

تتفاوت قدرة الشخص على التواؤم والتكيف والتوافق مع هذه المطالب والحاجات فى ضوء المحيط الاجتماعى والثقافى . كما أوضحت الدراسة فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث .

٣ - إتجاهات تفسير العلاقة بين الثقافة والشخصية :

هناك إتجاهان لتفسير العلاقة بين الثقافة والشخصية نعرض لهما فى إيجاز شديد كما يلى

أ - الإتجاه البيوثقافى *Bio - Cultural* :

ويرى أنصار هذا الإتجاه أن بناء الشخصية الإنسانية ينظر إليه من خلال سلوك الفرد الذى يتميز عن سلوك كثير من الرئيسيات والكائنات الأخرى ، وأن تفسير الشخصية الإنسانية ومحاولة فهمها يأتى فى ضوء معرفتنا لهذا الإتجاه التطورى الذى تأثرت به معظم العلوم الإنسانية فى القرن التاسع عشر ، وبناء عليه فإن فكره الثقافة تشير إلى كل ما تركه الإنسان من رواسب أو مخلفات *Survivals* أمكن التعبير عنها فى صوره سمات وبقايا الثقافة المادية للإنسان .

كما أن هذا الإتجاه ينظر إلى أن تلك الرواسب والإختراعات والمكونات الثقافية قد إرتبطت فى نشأتها بمجتمعات إنسانية فرعية حاول أفرادها التعبير عن أنماطهم السلوكية فى صورة منتجات ثقافية إرتبطت بشكل مباشر بالبيئة الطبيعية والظروف المادية المتاحة ، إلى جانب قدرة الرنسان على ممارسة أساليب معينة من السلوك داخل تلك البيئة [١] .

---

(١) محمد عباس إبراهيم . الثقافات الفرعية . دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ ، صص ٣١٦ - ٣١٧ .

وترجع العلاقة المتبادلة بين الإنسان كمخترع للأدوات وبين الملامح التطورية التى طرأت عليها إلى طبيعة البناء العضوى الخاص بالسمات التكوينية والمورفولوچية للفرد ، ويعود ذلك إلى الحقيقة القائلة «أنه ليس هناك شيء فى الطبيعة أعظم من وجود الإنسان ، وليس هناك شيء فى الإنسان أعظم من وجود العقل» [1] .

وبناء عليه بدأ أنصار هذا المدخل التطورى بدراسة السمات المورفورلوچية أولاً ثم معرفة القدرة على الإختراع وتراكم الثقافة ثانياً ، حيث أنه من خلال المقدرة العقلانية وشيوع السمات الثقافية فى المجتمعات الإنسانية الفرعية ومن ثم إنتشارها وتبادلها فى محيط المجتمع الأكبر فإن العقل يعمل بدوره على تكيف الإنسان مع تلك السمات السائدة والتى تؤثر فى الدرجة الأولى على بناء شخصيته ، كما أنهم ينظرون إلى تلك الدورة الثقافية البنائية بأنها تخضع لمراحل تطورية ذات ميكنيزمات ومعايير خاصة ومحددة والتى ينظر إليها علماء النفس وعلماء التربية بأنها محددات تتصل بإبراز أهمية الدور التربوى الخاص بعملية التنشئة الإجتماعية والخبرة الفردية للشخص خلال فترات أو مراحل النمو التى ينظرون إليها بأنها عادة ما تبدأ مع فترة المراهقة أو الرشد حيث يكون الفرد مستعداً خلالها سيكولوچياً لتقبل عمليات التنشئة الإجتماعية المتقدمة ، وأن البناء المورفولوچى للفرد يمكن أن يسمح له بتقبل سمات الثقافة فى ضوء الأسس البنائية السيكولوچية من ناحية ،

---

(١) محمد يسرى دعبس ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

وفى ضوء مدركاته ككائن عقلانى من ناحية أخرى [1] .

كما بدأ علم نفس الشخصية فى الإهتمام ببعض الجوانب الرمزية التى ترتبط بالدور البنائى السيكولوچى لنمط الشخصية وهى النواحى التى تكمن فى تفسير الإنتباه والإدراك والذاكرة والأحلام والتخيل والقدرات الخاصة والفروق الفردية وغيرها .

إلا أن القضية الأساسية كما ينظر إليها الأنثروبولوچيون تكمن فى تحليل وتفسير تطور السلوك الإنسانى وبناء الشخصية وذلك فى ضوء فهم العمليات المتأخرة لنسق التنشئة الإجتماعية أى التعامل فى بناء الشخصية يتوقف على توحد عمليات التربية الإجتماعية وجوانب التكيف مع الثقافة [2] .

وبناء عليه فإن الإتجاه البيوثقافى وإسهاماته فى تحليل وتفسير بناء الشخصية وعلاقتها بالثقافة المحلية لم يكتب له الإستمرار طويلاً ، ولم يجد قبولاً متزايداً حتى بين أولئك العلماء يقبلون على الإستعانة به فى بداية حياتهم العلمية ، والدليل على ذلك أننا نجد أن عالم الأنثروبولوچيا الأمريكى إرفنج هلويل *Irving Hallowel* قد بدأ إهتمامه بموضوع الثقافة والشخصية مستعيناً بتحليل جانبين هامين هما ضرورة فهم عمليات نضج التكوين السيكولوچى والعقلانى للفرد إلى جانب الإهتمام بالعمليات الأولى لنسق التنشئة الإجتماعية والخبرات المكتسبة للطفل .

See :
1 - Irving, Hallowel, " Personality stucture &The evalution of man in American Anthropologist vol. 52, 1950, p.p. 159 - 173.
(٢) محمد عباس إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ص ٣١٨ - ٣١٩

ب - الإتجاه السيكوثقافى Psycho - Cultural :

مما هو جدير بالذكر أن إصطلاحى الثقافة والشخصية يمثلان مفهومين متوازنين ، حيث يؤكد كل منهما على التكامل النسقى فيما بينهما سواء على المستوى التجريدى لأنماط السلوك المرتبطة بها أم على المستوى الأمبيريقى أو التطبيقى فيما يتعلق بأثر الثقافة بشقيها المادى واللامادى على تكوين الشخصية ، وقد شغلت قضية المطابقة القائمة بين المستويين النظرى والواقعى فى دراسات الثقافة والشخصية كثيراً من جهود الباحثين الأنثروبولوجيين ، حيث نجد أن إدوارد سابير *Sapier* قد أكد على أن الفهم المتكامل لجوانب الثقافة يلزمه بالضرورة فهم أعمق لخصائص وسمات الشخصية . وهذا المنظور قد يبدو فى أحيان كثيرة أنه يشير الى المسببات السيكولوجية التى ترتبط بفهم وتفسير الصيغ الثقافية [١] .

ولقد دفع هذا إدوارد سابير إلى الإستعانة بنظرة التحليل النفسى فى تفسيره لجوانب العلاقة المتبادلة بين الثقافة والشخصية ، ويظهر ذلك من خلال ما قدمه فى مقاله المبكر ١٩٣٨ بعنوان «لماذا تحتاج الأنثروبولوجيا الثقافية إلى عالم التحليل النفسى ؟ ولقد أبرز من خلال هذا المقال أنه لا يمكن أن نتجاهل قيمة تحليل الأنماط الإجتماعية ، والثقافية المرتبطة بأنشطة الأفراد من خلال أنماطهم وأدوارهم السيكولوجية [٢] .

وبناء عليه ينظر هذا الإتجاه إلى الشخصية بإعتبارها نسقاً مفتوحاً فى تفاعلها مع عناصر الثقافة المحلية ، ولقد نظر كلايد كلاكهوهن *Clyde*

---

(١) محمد عباس إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
(٢) محمد يسرى دعبس ، مرجع سابق ، من ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

Kluckhohn إلى أن الدور الذى يقوم به التحليل النفسى فى فهم الظواهر والقيم الثقافية والمعتقدات ومختلف الشعائر والممارسات الأخرى إنما يجعل الأنثروبولويون يصلون إلى فهم أدق للمعانى التى تحيط بمختلف الظواهر الرمزية للسلوك ولهذا فهو ينظر إلى أن مدخل التحليل النفسى فى فهم النواحى السيكوثقافية يكون أجدى بالنسبة للأنثروبولوچيين بدلاً من الإستعانة بنظريات التعلم التى ينظر إليها على أنها تتصل بجوانب التطبيق والتجريب على الحيوانات لا على الكائنات الإنسانية .

كما ينظر كلاكهوهن *Kluckhohn* إلى أن تحليل الشخصية فى ضوء الإتجاه السيكوثقافى وإرتباطه بمناهج وإتجاهات البحث المجتمعية ، وأهمها تطبيق الإختبارات الإسقاطية التى تمثل بؤرة الإهتمام لدى مجال الاثنوجرافيا السيكولوچية . ولقد إعتبر كثير من علماء الأنثروبولوچيا خصوصاً المهتمين بدراسة وتحليل التقابل والإلتقاء الثقافى للآراء الفردية بأنها تمثل فروضاً سيكولوچية فيما يتعلق بمدخلهم الدراسى [1] .

ونجد أن مرجريت ميد من علماء الأنثروبولوچيا الثقافية التى إجتذبها هذا الإتجاه عند فهم الثقافة ذلك عند معالجتها لموضوع الشخصية القومية أو الطابع القومى وأثر الثقافة على بناء تلك الشخصيات النموذجية ، حيث أنها ذهبت إلى أن فهم تلك الموضوعات فرضت على دراستها الإستعانة منهجياً بالتصورات والمفاهيم التى تتصل بنظريات التعلم والتحليل النفسى ، والتصورات السيكولوچية التكاملية كما جاءت لدى

---

(1) Clude Kluckhohn, <u>The Impact of Freud on Anthropology in Irvin Sarason</u>, (ed), <u>Psycho Analysis and The Studyof Behavoir Princelon</u>, New Jersy, 1965, p.p. 88 - 93.

أنصار مدرسة الجشطلت الألمانية وتنظر مرجريت ميد إلى أن هذا يؤدى إلى الوصول إلى فهم متكامل لنواحى العلاقة المتبادلة بين الثقافة والنمط الأساسى للشخصية [1] .

ولما كان الأنثروبولوچيون يتفقون حول الدور الذى تلعبه الثقافة فى تنمية الشخصية ، إلا أنهم يختلفون فى تحديد موقف الفرد بالنسبة للثقافة ودور العملية التربوية فى هذا الموقف ، فيركز إبرام كاردنير *Kardiner* على دور الفرد كعامل دينامى فى الثقافة تتيح له العملية التربوية أن يتفاعل مع ثقافته ويتقبل أنماطها فعلى العكس من ذلك ترى روث بندكت *Ruth Bendict* أن الفرد يولد صفحة بيضاء خالية من كافة الإنطباعات ، وأن الثقافة هى التى تضع بصماتها وتأثيرها على تلك الصفحة لتطبع فيها محددات ومعالم الشخصية من خلال الخصوصيات والعموميات الثقافية ، وعلى هذا تظهر سلبية الفرد طبقاً لهذا وبنفس القدر الذى تبدو فيه إيجابية وقدره التأثير الثقافى فى تكوين وتشكيل نمط الشخصية العامة [2] .

إلا أن ميلفل هيرسكوفيتز *Herskovits* له رأى معاكس لما تراه روث بندكت *Ruth Beddict* . فيشير إلى أن فهم الثقافة والشخصية يتطلب من الباحث ضرورة الإهتمام بتوضيح العلاقة التأثيرية والمتبادلة بين المتغيرين ، وركز من خلال دراساته الميدانية المقارنة على قبائل الأشانتى

أنظر :

1 - Margret, Mead "National Charcter" in A . L Krober, (ed) Anthropology today, The university of Chicago, Press, 1953 p.p. 642 - 647.

(٢) محمد عباس إبراهيم . الثقافات الفرعية . دار المعرفة الجامعية . ١٩٨٥ . ص ٣٢٣ .

الإفريقية وبعض المجتمعات المحلية فى داهومى إلى جانب دراسة بعض الثقافات المحلية للهنود الحمر فى أمريكا على فهم عمليات الإنتقال الثقافى وبناء الشخصية الإنسانية فى تلك الأنماط والأبنية الثقافية عن طريق فهمه لمرحلة الطفولة والشعائر والممارسات الطقوسية والتربوية الشائعة والمطبقة فى تلك الثقافات ، وأوضح هيرسكوفيتز أن الأساليب التربوية تلعب دوراً هاماً فى مدى تقبل الطفل لعناصر الثقافة المحلية التى تنقل إليه بواسطة القائمين على تربيته ورعايته [١] .

ولقد لاحظت عند دراستى المقارنة لأوضاع المسنين فى الثقافات المختلفة كيف أن الدور التربوى للمسنين تجاه الطبقات العمرية الأخرى خصوصاً الأطفال والشباب من الجنسين يختلف فى الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة ، فبينما نجد أن المسنين يلعبون دوراً تربوياً ومهنياً هاماً وواضحاً فى نمطى المجتمع البدوى والقروى خصوصاً فى الأسر الممتدة نجد أن أهمية هذا الدور التربوى والمهنى يقل كثيراً فى نمط المجتمع الحضرى خصوصاً لأولئك الذين لا يتمتعون بحالة صحية جيدة أو بوجود ثروة أو يحتاجون لمن يعولهم .. إلخ .

وكما سيتضح عند تناولنا للتكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة فى الفصول التالية ، وكيف أن هذا التكوين الذى يكون فى مجمله شخصية المسن تتفاوت تبعاً للمحيط الثقافى والتوجيهات والقيم والمعايير الثقافية المتباينة فى الأنماط المجتمعية المختلفة محل الدراسة .

ولذلك نجد أن الإتجاهين سالفى الذكر فى تناولهما العلاقة بين الثقافة

---

(١) محمد عباس ريراهيم ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

والشخصية وتركيز الإتجاه الأول على تفسير تطور السلوك الإنسانى وبناء الشخصية فى ضوء فهم العمليات المتعددة والمتأخرة لنسق التنشئة الإجتماعية والثقافية عبر المراحل التطورية المختلفة فى حياة الإنسان من الدور التربوى والقدرات المختلفة للفرد ككائن عقلانى فى المراحل المختلفة ، بينما يركز الإتجاه الثانى على ضرورة فهم أعمق لخصائص ومكونات الشخصية . وبناء عليه فإن هذا المنظور يشير إلى المسببات السيكولوچية التى ترتبط بفهم وتفسير الصيغ الثقافية عامة .

وبناء عليه كان إستعانة أنصار هذا الإتجاه بنظرية التحليل النفسى من الأهمية بالرغم من عدم الإمكان تجاهل قيمة تحليل الأنماط الرجتماعية والثقافية المرتبطة بأنشطة الأفراد من خلال أدوارهم السيكولوچية والإجتماعية والتفاعل بين الشخصية والثقافة المحلية وهذا ما ستوضحه الدراسة الميدانية التى بأيدينا من إختلاف الأدوار السيكولوچية والإجتماعية بناء على مدى تأثير التكوين النفسى لشخصية المسن فى الثقافات المتباينة البدوية والقروية والحضرية ، وعليه يتم الفهم العميق للمعانى والقيم والظواهر الرمزية للسلوك الخاص بالمسن تجاه الطبقات العمرية الأخرى ورؤية المسن لنفسه وللآخرين وروية الآخرين له وعملية التزثير والتأثر بين الشخصية والثقافة السائدة فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة مع أهمية وضع فى الإعتبار إختلاف المعانى والقيم والظواهر الرمزية للسلوك من ثقافة فرعية إلى أخرى داخل الثقافة العامة للمجتمع المحلى الواحد كما هو الحال فى المجتمع الحضرى

العلاقة بين الثقافة والشخصية :

وإذا كان موضوع الأنثروبولوجيا النفسية يتلخص فى تحديد العلاقة بين الثقافة والشخصية ، وأن هذه العلاقة لا تسير فى إتجاه واحد وإنما فى إتجاهين وهما :

أولاً : أثر الثقافة فى الشخصية .

ثانياً : أثر الشخصية فى الثقافة .

ولنتناول كل جانب على حدة لتبيان طبيعة العلاقة ويختلف العوامل المؤثرة فى ذلك مع محاولة الإستشهاد بالدراسات الميدانية قدر المستطاع لإبراز الرؤية التحليلية والشمولية لأبعاد تلك العلاقة .

أولاً أثر الثقافة فى الشخصية :

تختلف رؤية الأنثروبولوجيين لمفهوم الثقافة عن بقية العلوم الإنسانية الأخرى حيث أنهم يرون الثقافة على أنها أسلوب الحياة الذى يميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات وهذا الأسلوب يتمايز وفقاً للمحيط الثقافي السائد فى كل نمط مجتمعى على حدة ، ومما لاشك فيه أن أهم ما يميز تلك الرؤية الأنثروبولوجية هى النظرة الكلية الشمولية المصبوغة برؤية تحليلية متعمقة وفى ضوء الواقع الأمبيريقى/ومرد ذلك أن الثقافة تشمل كافة أنماط السلوك المكتسبة من حيث إبرازها لعلاقة الإنسان بالمادة هذا من ناحية أوعلاقة الإنسان بغيره من بنى الإنسان هذا من الناحية الثانية أو علاقة الإنسان بالأفكار والرموز هذا من الناحية الثالثة وما يهمنا هنا هو التمييز بين ثلاثة أبعاد أو قطاعات متداخلة ومتشابكة للثقافة وهى

القطاع المادى أو التكنولوچى والقطاع الإجتماعى والقطاع الفكرى والرمزى ، وهذا ببساطة مما يعنيه الأنثروبولوچيون من مفهوم الثقافة دون الدخول فى تفاصيل المدارس والإتجاهات النظرية التى ألقت الضوء على مفهوم الثقافة برؤية تحليلية تمايزت إلى حد ما بإختلاف الإتجاهات الفكرية والتوجهات النظرية .وإذا كان مفهوم الثقافة يتميز بالشمول وتنميط السلوك . فإن مفهوم الشخصية على النقيض يتميز بالتفرد وتخصيص السلوك ، فالشخصية هى تنظيم دينامى ثابت نسبياً داخل الفرد يتمثل فى مجموعه من السمات الجسمية والنفسية ، ويستدل على ذلك التنظيم من خلال ملاحظة سلوك الفرد وإخضاع تلك الملاحظة للقياس الكمى الذى يمكن التعبير عنه بتكوينات متوسطة مثل السمات أو الإتجاهات ، لكل فرد شخصية منفردة ومتميزة ، ولا يشاركه فيها أى شخص آخر ، ومن هنا كان القول بأن الفرد من ناحية معينة لا يشبه أى فرد آخر وبرغم الإختلاف الواضح بين مفهومى الثقافة والشخصية نلاحظ أن العلاقة بينهما علاقة ضرورية وجوهرية ، فبدون الثقافة لا توجد الشخصية ، وبدون الشخصية لا توجد ثقافة حيث أن الثقافة هى مجموعة من أنماط السلوك التى تميز مجتمع ما ، وإذا حللنا أنماط السلوك نجد أنها أكثر الحالات تكراراً لسلوك معين ، وهذا السلوك المعين صادر عن فرد معين أى من شخصية معينة [1] .

وإذا كان الفرد من ناحية معينة لا يشبه أى فرد آخر حيث أن لكل فرد شخصية متميزة ،متفردة لا يشاركه فيها أحد فإن هذا يعنى أنه لا يوجد

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، من ص ٤٧ – ٤٨ .

فردان حتى فى حالة التوائم يتشابهان تماماً فى السمات الجسمية والسيكولوچية . إلا أن هناك حقيقة تشغل إهتمام الانثروبولوچيين بصفة خاصة وهى أن الفرد من ناحية أخرى يشبه بعض الأفراد الآخرين ومرد ذلك أن الفرد كعضو فى جماعة معينة وكحامل وناقل فى بعض الأحيان لثقافة معينة يشبه فى بعض السمات والخصال النفسية الكثير من أعضاء تلك الجماعة ، ونقصد بذلك أنه برغم وجود شخصية متميزة ومتفرة لكل فرد فى المجتمع إلا أن بعض سمات تلك الشخصية الخاصة به يشاركه فيها أفراد آخرون من أبناء مجتمعه ، وبالرغم من تضمن تلك السمات المشتركة لكثير من الإختلافات الفردية إلا أنها تعطينا تصور واضح للإتجاه والاستجابة الجماعية للشخصية فى مجتمع ما نحو كثير من الآداب والتقاليد والعادات والقيم المتأصلة فى هذا المجتمع ، وهذا يساعدنا فى النهاية لصياغة تصور واضح للشخصية القومية لأبناء الثقافة الواحدة .

إذا كان الانثروبولوچيين يتفقون على وجود ثمة إختلافات وفروق فردية فى شخصيات أعضاء المجتمع الواحد ، أنهم يتفقون على وجود تفرع وتعدد لأشكال الشخصية فى المجتمع الواحد ، كما أنهم يتفقون على أن العناصر المشتركة فى شخصيات أعضاء المجتمع الواحد تكون معاً «صيغة كلية متكاملة يمكن أن تسمى «الشكل الرئيسى للشخصية» *Basic Personality Type* هذا بالنسبة للمجتمع ككل . وتمد تلك «الصيغ الكلية» أفراد المجتمع الواحد بالمفاهيم العامة والقيم التى تجعل فى الإمكان حدوث إستجابة عاطفية موحدة لأعضاء المجتمع نحو مواقف تتضمن قيمهم العامة المشتركة ، وبالإضافة الى تلك «الصيغة الكلية» العامة والمتعلقة بالمجتمع ككل ، توجد فى كل مجتمع «صيغ كلية»

إضافية أو أقل عمومية للإستجابة الخاصة بجماعات معينة فى داخل المجتمع . وهكذا ، ففى كل مجتمع توجد «صيغ كلية» مختلفة ومتميزة لكل من جماعات الرجال والنساء والمراهقين والكبار وما الى ذلك ، وفى المجتمع الطبقى توجد إختلافات مشابهة فى الإستجابة المميزة لأعضاء المستويات الاجتماعية المختلفة مثل النبلاء والعامة والعبيد [1] .

ويطلق رالف لينتون "R. Linton" على "الصيغ الكلية "Configuration" الخاصة بالاستجابات المرتبطة بالمراكز الاجتماعية إصطلاح "شخصيات المركز" "Status Prsonalities" ، كما يؤكد على أهمية شخصيات المركز فى نجاح تفاعل اعضاء المجتمع الواحد على أساس المركز وحده ، ويدلل على ذلك بأنه عندما يقابل احد الافراد فرداً آخر غريباً تماماً عنه ، فإن أى تعرف بسيط على الأوضاع الاجتماعية للفردين يجعل فى الامكان أن يتنبأ كل منهما بنوع الإستجابات التى تصدر عن الآخر فى المواقف المختلفة ، ويذهب كذلك أيضاً إلى أن شخصيات المركز لا تتعارض مع الشكل الرئيسى للشخصية وإنما تتكامل معه ، إلا أنها تختلف عن الشكل الأخير من ناحية أنها تتضمن الكثير من الاستجابات الظاهرية المتخصصة ، فى حين يتضمن الشكل الرئيسى للشخصية والقيم العامة .

كما نجد لينتون يفرق بين معرفة نظام قيمة اتجاه معين وبين المشاركة فى هذا النظام ، ويدلل على ذلك بأنه نادراً ما تشمل شخصية المركز اى نظام

أنظر :

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

قيمة - إتجاه يكون غير معلوم أو معروف لأعضاء المراكز الاخرى فى المجتمع الواحد ولكن كثيراً ما تشتمل شخصيات المركز على نظم قيمة - اتجاه لا يشاركها فيها أعضاء جماعات المراكز الاخرى ، فعلى سبيل المثال قد يعرف الرجال الأحرار بقيم وإتجاهات العبيد بل ويسمحون بوجودها ولكن بدون المشاركة الواقعية فيها . أى بدون الاقتناع بتلك القيم ، ويجدر ملاحظة أن الاستجابات الظاهرية المتخصصة ، وليست القيم والاتجاهات هى التى تعطى شخصيات المركز معظم دلالاتها الاجتماعية ، فطالما ان الفرد ينمى تلك الاستجابات فهو يستطيع أن يؤدى ادوار المركز بنجاح سواء أكان الشخص يشارك أم لا فى القيم والاتجاهات ، ويقدم المجتمع أنماط الاستجابة الظاهرية المتخصصة لشخصيات المركز فى صورة بسيطة ومحسوسة تجعلها تعلمها أمراً سهلاً ، ثم يقوم المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية خصوصاً من خلال الضغط الاجتماعى بدفع الأفراد المختصين بالأخذ بتلك الاستجابات بصورة ثابتة مستمرة . فيكافأ الفرد على تعلم الاستجابات ويعاقب من ينحرف عنها ، وقد تظهر صراعات عند الفرد لتعلمه استجابات تخصصية تتعارض مع قيمه وإتجاهاته الخاصة به ، إلا أن هذه الصراعات تأخذ فى الضعف ثم الإختفاء عندما تصبح الاستجابة لا شعورية وآلية [1] .

وبناء عليه فإن لكل مجتمع شكلاً رئيسياً للشخصية خاصاً به ولديه

See :

(1) Linton, R., The Culture Back Ground of Personality, Appleton Century-crofts, Inc, N.Y. 1945, p.p. 128-130.

* يعرف لينتون القيمة بأنها أى عنصر مشترك فى عدد من المواقف بشرط أن يثير هذا العنصر المشترك إستجابة داخلية عند الفرد ، أما الاتجاه فهو إستجابة داخلية تثار عن طريق القيمة ، وتتميز تلك الاستجابات بأنها فى معظمها ذات مضمون عاطفى .

كذلك مجموعة محددة من شخصيات المركز [١] وهذا لمسته بوضوح فى دراستى الميدانية حول اوضاع المسنين فى الثقافات المختلفة وكذلك التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة البدوية والقروية والحضرية ، حيث إتضح لى فى ضوء الواقع الأمبيرقى إختلاف شخصيات المركز بين المسنين أنفسهم فى تلك الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة سواء من ناحية اوضاع المسنين من الجنسين والمراكز التى يشغلونها والأدوار التى يلعبونها داخل المجتمع الواحد ، وكذلك إختلاف أوضاع ومراكز وأدوار شخصيات المركز بالنسبة للمسنين فى تلك البيئات الثقافية المتباينة والطبقات العمرية الأخرى وإختلاف عمليات التواصل والتفاعل الإجتماعى والعلاقات الاجتماعية والرؤية المتبادلة بين المسنين من الجنسين والطبقات العمرية المختلفة من الجنسين ، تلك العمليات المتداخلة والمتشابكة التى يقوم كل نمط مجتمعى على حده بإبرازها وتحديدها تحديداً واضحاً فى ضوء عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وهذا ما ستوضحه جلياً الدراسة التى بأيدينا عند عرضنا لمكونات التكوين النفسى للمسنين فى تلك الثقافات المختلفة وإختلاف مقومات شخصية المسن من جميع النواحى فى تلك الثقافات المتباينة .

ولما كان الانثروبولوچيون النفسيون يهتمون بتحديد سمات الشكل الرئيسى للشخصية وكذلك سمات شخصيات المركز فى المجتمع قيد

See

(1) Linton, R . op cit., p.p. 129-130.

* محمد يسرى دعبس ، أوضاع المسنين فى الثقافات المختلفة ، دار المطبوعات الجديدة ١٩٩١ ص.ص (بصفة خاصة الفصل الخاص بالمسنون والضبط الاجتماعى فى الثقافات المختلفة)

الدراسة ، وبناء عليه يتضح إختلاف ميدان التخصص بين الانثروبولوچيا النفسية وعلم نفس الشخصية وإن كان التعاون بينهما أمراً ضرورياً ، إذ لا يمكن أن نصل إلى تحديد تلك الصيغ الكلية للشخصية بدون معاونة الأطباء والمحللين النفسيين الذين يطبقون الاختبارات الإسقاطية على عدد مناسب من الأفراد وبالتالى يمكن إستخراج المتوسطات التى تحدد الشكل الرئيسى للشخصية وشخصيات المركز ، ويقوم المتخصصون فى الأنثروبولوچيا النفسية بهذا العمل سواء أكانوا من علماء النفس أم من الأنثروبولوچيين ويلى ذلك تحديد أثر الثقافة فى تلك الصيغ الكلية للشخصية وهو الشق الأول من موضوع الأنثروبولوچيا السيكولوچية .

ولقد كان الأنثروبولوچيون الأمريكيون وعلى رأسهم "فرانز بواس" أول من إكتشفوا قصور العوامل الفسيولوچية والوراثية فى تفسير الأشكال العامة للشخصية فى المجتمعات المختلفة ، ولكنهم ـ فى غمرة حماسهم فى التصدى للمذاهب العنصرية ـ غفلوا عن تقديم بديل للعناصر السلالية التى ثبت قصورها والثقافة هى هذا البديل ، وهنا يجب ملاحظة أن قصور العوامل الفسيولوچية والوراثية فى تفسير الأشكال العامة للشخصية فى المجتمعات لا يعنى عدم تأثيرها فى تكوين الشخصية الفردية [١] . وهنا إتجه الباحثون الانثروبولوچيون بعد توفر الدراسات الميدانية إلى إضافة العوامل البيئية وتأثيرها جنباً إلى جنب مع العوامل الفسيولوچية والوراثية وإن كان لها الغلبة فى كثير من الأحيان ويُقصد الأنثروبولوچيون بالعوامل البيئية الناس والأشياء وتعدد وتنوع اشكال سلوك الأفراد فى أى مجتمع وكذلك معظم الاشياء التى يستخدمونها ،

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

وتدخل تلك الأشياء فى إطار الأنماط الثقافية حسب المفهوم الكلى للثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوچية .

وجدير بالذكر أن شخصية الفرد تنمو وتتشكل شخصيته من خلال الخبرات التى يستقبلها من إتصاله بالأنماط الثقافية المختلفة سواء عن طريق التربية الرسمية وغير الرسمية وعن طريق الوسائط التربوية مثل الإذاعة والتليفزيون والمجلات والجرائد وجماعة الاصدقاء والثقافة العملية .. إلخ .

ويذهب رالف لينتون إلى أن الشخصية تنمو وتتشكل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو عملية التثقيف ، وتمثل تلك العمليات التربوية تأثيرات الثقافة على الشخصية ، ويقسم "لينتون" هذه التأثيرات فى العمل منذ اللحظة الاولى للولادة ، وتكون ذات أهمية كبرى أثناء مرحلة الطفولة . وتأثيرات ترجع لإكتساب الفرد وتعلمه بنفسه لأنماط السلوك المميزة لمجتمعه ، ولا تؤثر تلك الأنماط فى الفرد مباشرة ، وإنما تمده بنماذج يحتذيها فى تكوين الاستجابات المعتادة للمواقف المختلفة ، أن هذه التأثيرات الأخيرة لا تكون ذات أهمية فى مرحلة الطفولة المبكرة [1] .

كما يذهب لينتون إلى أن أنماط التربية المبكرة تتميز بما يصاحبها من تدريبات ونظم يخضع لها الأطفال بتأثيرها على المستويات العميقة لشخصيات هؤلاء الأطفال ، ويتفق علماء النفس والأنثروبولوچيون وعلماء التربية على أن السنوات الأولى فى حياة الفرد هى مرحلة حاسمة

---

(1) Linton, R., op cit p.p. 138 - 139 .

فى تكوين القيم والإتجاهات العامة وتمثل تلك الأمور المستويات العميقة من مضمون الشخصية (١) .

ولما كانت التربية لها دور هام فى عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية فنجد أن التربية تختلف بإختلاف الأنماط المجتمعية والثقافات المتباينة وكذا يميز الأنثروبولوجيون بين نوعى من التربية لهما تأثير عميق على عمليات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية وبالتالى على شخصية الفرد فى المجتمع وهما (٢) :

أ) التربية البدائية :

وتعرف من وجهة النظر الأنثروبولوجية بأنها عملية تنشئة اجتماعية وثقافية عبر الاجيال المختلفة فى المجتمعات البدائية من خلال نسق تربوى خاص .

ب) التربية الحديثة :

وهى النمط التربوى الحديث الذى ينتشر من خلال المؤسسات التعليمية سواء أكان ذلك فى مجتمع تقليدى أو متطور .

ويرى "چون فيرى" أن التربية تفوق أهميتها اليوم أى وقت مضى بالنسبة للمجتمع المعقد لأنها تلعب الدور الرئيسى فى حياة أفراد المجتمع وبدونها لا يمكن للسواد الاعظم من أفراد المجتمع المتحضر ان يكسبوا عيشهم (٣) .

---

(1) Linton, R., op. cit., p.p. 139-140.

(٢) محمد يسرى دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دراسة فى الانثروبولوجيا الاقتصادية ، دار ام القرى للطباعة ١٩٩١ ص ٣٠٢ .

(3) Virey, J., Education for Tomorrow, pengium Books, London, 1970, p.p. 1-10.

وبناء عليه فإن التربية بهذا المفهوم ومن حيث هي نظام اجتماعي تعالج من زوايا متعددة عقلية وخلقية وفنية واجتماعية ، وذلك لتكوين وإعداد المواطن الحديث في المجتمع المتطور ، وهي بهذا تؤثر في سائر النظم الاجتماعية الاخرى العائلية والاقتصادية .

ويرى "فيزى" كذلك أن التربية الحديثة تؤثر في النظام الاقتصادي من زوايا متعددة فهي لا تعمل فحسب على زيادة منسوب المهارات الفنية وإنما تساعد كذلك على الوصول إلى تكنولوجيا جديدة ومتطورة ، لذلك فهي تقضى على المواقف التقليدية التي تعوق سير التطور وتضعف من إمكانية الانتاج [1]

فبينما يهم الطفل البدائي منذ صغره في الحياة الاجتماعية . فإن الطفل الحضري لا يتحمل مسئوليته إلا في وقت متأخر ، وهذا يعني أن الدخول إلى الحياة العملية يكون مبكراً في المجتمعات البدائية أو التقليدية ، أما الدخول إلى الحياة العملية في المجتمع الحضري أو المتقدم متأخراً لعدة إعتبارات (كالتعليم وتقسيم العمل) .

وترى "مرجريت ميد" أن جوهر الاختلاف بين نمطي التربية البدائية والحديثة يتضح من خلال حاجة الشخص في المجتمع البدائي ليتعلم شيئاً ما يتفق جميع أفراد المجتمع على تعلمه ، وهذا بعكس الحال في نمط التربية الحديثة والذي يعبر فيه الفرد عن رغبته في دراسة بعض الأشياء التي قد لا يرغب في دراستها فرد آخر [2] .

---

(1) Ibid, p. 11.

(٢) زكي اسماعيل . أنثروبولوجيا التربية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الاسكندرية ١٩٨٠ ص ٢٥٩ .

ويمكن إجمال أهم الوظائف التى تقوم بها التربية فى أى مجتمع إنسانى على إختلاف أنماطه المجتمعية ذات الثقافات المتباينة فى النقاط التالية :

١) نقل التراث الثقافى من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة .

٢) تطبيع الفرد اجتماعياً ، فهى تكسب الفرد صفة الإنسانية التى يتميز بها عن سائر الحيوانات الأخرى .

٣) تساعد الفرد إذا كان يولد ضعيفاً من الناحية الجسمية فهو أيضاً ضعيف من الناحية الإجتماعية ، كما أنه يحتاج إلى عناية الكبار وبتعامله وبتفاعله معهم ينمو الفرد من الناحيتين معاً ، وهنا تكون التربية والحياة شيئاً واحداً بناء على تواصل وإلتقاء وتفاعل الأجيال مع بعضها البعض داخل المجتمع . وكما ستوضحه الدراسة الميدانية التى بأيدينا من إختلاف صور الإلتقاء والتفاعل بين الأجيال المختلفة فى الثقافات المتباينة [١] .

٤) تساعد التربية الفرد على تعلم الأنماط السلوكية المختلفة تلك الأنماط السلوكية التى تتفاوت وتتباين بإختلاف الأنماط المجتمعية هذا من ناحية ، وبإختلاف الإستجابات السلوكية للأفراد أنفسهم من الناحية الأخرى ، تبعاً للبيئة الاجتماعية السائدة سواء أكانت تقليدية أم حضرية وتبعاً لنمط التربية السائدة فى تلك البيئات المتفاوتة والمتباينة والمتمايزة ثقافياً .

---

(١) محمد يسرى ابراهيم دعبس ، التربية والمجتمع ، دراسة فى انثروبولوجيا التربية . دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ ص.ص ٨٤ - ٨٥ .

٥) مساعدة الفرد فى مراحل عمره المختلفة على إكتساب الخبرات الاجتماعية المتفاوتة حسب المرحلة العمرية للفرد نفسه ، حيث أن الفرد منذ الطفولة وهو محتاج للتعامل مع أفراد المجتمع ومحتاج للتعامل والتفاعل مع مختلف جماعات المجتمع بما يحقق له النفع والإنتماء إلى أى جماعة وكما يحدث فى افريقيا بالنسبة لجماعات الطبقة العمرية الواحدة والذين يشتركون فى مصالح وإرتباطات والتزامات وواجبات بين بعضهم البعض داخل جماعة الطبقة العمرية الواحدة ثم تجاه جماعات الطبقات العمرية الاخرى .

وبناء عليه فإن التربية فى ضوء ذلك تكسب الافراد دائما أنماطاً مختلفة من الشخصية نجدها تتفاوت فى كل نمط مجتمعى على حدة بناء على الخبرات الاجتماعية التى أكسبتها التربية إياه ، وبناء على التوجيهات التربوية وأصولها ومناهجها السائدة فى كل نمط مجتمعى على حدة (لذا نجد سمات شخصية المراهق تختلف فى القبائل الافريقية عنها فى الأنماط المجتمعية البدوية عنها فى الأنماط المجتمعية الريفية عنها فى الأنماط الحضرية فى المجتمع المصرى على سبيل المثال [١] .

٦) التربية وسيلة هامة للسيطرة الاجتماعية ، ويتبين ذلك جلياً من حرص الكبار الذين يؤمنون بقيم محددة ويمارسون أنماطاً سلوكية معينة على إستمرارها وبقائها للسيطرة على بيئتهم ولن يتسنى لهم ذلك إلا عن طريق إكساب الصغار هذه القيم وتلك الانماط السلوكية [٢] ، وهذا ما ستوضحه الدراسة التى بأيدينا فى اكثر من موضع تفصيلياً .

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس مرجع سابق ص.ص ٨٥-٨٦

(٢) محمد بيب النجيحى ، الأسس الاجتماعية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص.ص ٢-٣

ويطرح التساؤل التالى نفسه هل هناك فرق إذن بين عملية التنشئة الاجتماعية وعملية التنشئة الثقافية ، أم أنهما يحملان مفهوماً واحداً ؟

تعد التنشئة الاجتماعية وكما يراها عالم الانثروبولوچيا الامريكى "هيرسكوفتز" مجموعة من التكيفات يقوم بها الفرد تجاه زملائه من أفراد جماعته إبتداء من الاسرة حتى يشمل سائر التجمعات الاخرى وحتى يصبح ذا وظيفة كاملة فى المجتمع .

ويرى "هولتكرانس" ان التنشئة الاجتماعية حلت محل اصطلاح التثقيف من الخارج بإعتباره مفهوماً يدل على عملية التغير النفسى التى تجعل الفرد جزء من ثقافته ومجتمعه [1] .

وبناء عليه يعرف "هيرسكوفتز" هذه العملية بإعتبارها عملية واعية أو غير واعية تتم ممارستها داخل الحدود التى يفرضها نظام من نظم العادات ويرى أن هناك فاصلاً بين عمليتى التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية ، حيث أن الأخيرة لا تحقق للفرد التكيف مع الحياة الاجتماعية فحسب ، وإنما تحقق له كل أنواع الإشباع المشتقة من التعبير الفردى وليس من خلال الإرتباط مع غيره من الأفراد فى الجماعة ، وبالرغم من أن هذه الإشباعات بالطبع جزء من الخبرة الاجتماعية كما يراها هيرسكوفتز فإن التنشئة الثقافية لا تنتهى بإنتهاء الطفولة وإنما بنهاية حياة الفرد على إعتبار ان ما إكتسبه الفرد من خبرات وتجارب متعددة فى الطفولة تستمر فى نموها معه حتى الموت ، إذ أن التنشئة فى الصغر تؤدى إلى ما يسمى بالتبث الثقافى فى الكبر ، كما يعتبر أن التربية ليست سوى جزء هام من التنشئة

(١) زكى اسماعيل ، مرجع سابق ، ص.ص ٢٦٠-٢٦١ .

الثقافية وأن التربية يفرضها ذلك الجزء من خبرة التنشئة الثقافية الذى يؤهل الفرد ليحتل مكانة كعضو ناضج فى مجتمعه وذلك من خلال عملية التعلم .

وجدير بالذكر هنا أنه ليس هناك فرق جوهرى بين عمليتى التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية ويرجع ذلك لأن إشباع الفرد للنواحى البيولوجية والنفسية يتحقق من خلال التنشئتين معاً ، حيث أن تكيفات الفرد تجاه الجماعات المختلفة التى يتفاعل معها يشمل ضمناً فى نفس الوقت إشباع الجوانب البيولوجية والنفسية وتلك لا يمكن لها أن تنفصل عن الجوانب الاجتماعية وهذا يعنى ان الفرد حين يحقق تكيفاً مع أسرته والجماعات المحيطة به ، فهذا التكيف يحمل ضمنياً إشباع الجوانب المختلفة البيولوجية والاجتماعية والنفسية لأن تدهور أى عنصر من تلك العناصر يقضى على العنصرين معاً (١) .

وبناء عليه فإن انواع المهارات والمعارف والخبرات المختلفة التى تعد محصلة التفاعل الاجتماعى إنما تكسب من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية معاً ، أى عن طريق عملية نقل الأفراد للثقافة بمظهريها المادى واللامادى وتقبلهم وتمثلهم بالتالى لتلك الثقافة .

وتدلنا البحوث المتعددة فى فرع الانثروبولوجيا النفسية عن بعض الترابطات بين الأنماط المختلفة فى تربية الأطفال والأشكال الرئيسية لشخصية الكبار ، فمثلاً لوحظ أنه فى المجتمعات التى يسود فيها نمط ثقافى يحتم الطاعة المطلقة من الطفل لوالديه كشرط مسبق للحصول على

---

(١) محمد يسرى دعبس ، مرجع سابق ، ص.ص. ٣٠٤-٣٠٥ .

مكافأة ما ، تتسم شخصيات البالغين الأسوياء بالخضوع والتبعية وعدم الخلق ، وهذا بالرغم من أن هؤلاء الأفراد يكونون قد نسوا تماماً خبرات الطفولة التى أدت إلى تكوين تلك الاتجاهات العامة ، وفى تلك المجتمعات ذات السلطة المطلقة للآباء يكون رد فعل الشخص البالغ فى أى موقف جديد هو البحث عن شخص له سلطان أو نفوذ ليطلب منه الدعم والتوجيه ومن الأمور الجديرة بالملاحظة حول هذا الموضوع انه فى بعض تلك المجتمعات ذات السلطة المطلقة للوالدين ، يوجد برامج لتدريب عدد قليل من الأفراد على القيادة ، وذلك لعدم امكانية ظهور قادة من خلال الانماط الثقافية العامة ، ففى قبيلة "تانالا" بمدغشقر ، يعامل اكبر الابناء سناً معاملة خاصة منذ المولد ، وتهدف تلك المعاملة الخاصة إلى تنمية الارادة والمبادأة وتحمل المسئولية فى حين يخضع باقى الاطفال للأنماط الثقافية العامة القائمة على الصرامة والكبت (١) .

كما تشير الابحاث الانثروبولوجية فيما يتعلق بالترابط بين الانماط الثقافية وسمات الشخصية عند الكبار إلى أن الأشخاص الأسوياء فى تلك المجتمعات يميلون إلى تركيز عواطفهم وتوقعاتهم للمكافأة أو العقاب على عدد قليل من الأفراد ، ويرجع هذا التركيز بصورة لا شعورية لمواقف معينة فى مرحلة الطفولة ، وهى المواقف التى يستقى منها الاطفال كل الاشباعات والاحباطات من والديهم فقط أما فى المجتمعات غير الغربية ذات الأسر الممتدة (كما هو الحال فى المجتمعات البدوية والريفية فى المجتمعات العربية) يتصل الطفل بعدد كبير من البالغين وبالتالى لا يركز

(١) عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية ، الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٥٢ .

عواطفه وإتصالاته عند الكبر بعدد قليل من الأفراد ، وتتضمن كل علاقاتهم الشخصية إتجاهاً لا شعورياً يتمثل فى عبارة «حسناً هناك آخرون للتعامل معهم» ولذلك لا تنتشر فى تلك المجتمعات غير الغربية مفاهيم الحب الرومانتيكى التى تركز عاطفة الحب على فرد معين بالذات وبدون الاقتران به تصبح الحياة بلا معنى ، ولكن توجد هذه المفاهيم فى الثقافة الغربية (١) .

وهذا يدفعنا لتساؤل هام وهو ما هى إذن وظائف الثقافة بالنسبة للفرد ؟

لما كانت الثقافة تعتبر أساساً للوجود الإنسانى بالنسبة للفرد والمجتمع الذى ينتمى إليه فنجمل وظائفها للفرد فى النقاط التالية :

١) توفر الثقافة للفرد صورة السلوك والتفكير والمشاعر التى ينبغى ان يكون عليها ، ولا سيما فى مراحله الاولى ، فالطفل فى بداية حياته يتقبل الثقافة التى ينشأ فيها تقبله للهواء ، فالأسرة وجماعة الرفاق أو المسجد أو الكنيسة كلها تقدم له بعض الافكار الثقافية وتقاليدها وأساليبها وتنتظر منه قبولها وتشربها .

٢) توفر للفرد وسائل إشباع حاجاته البيولوچية ، فليس على الفرد أن يتعلم فى بداية حياته كيف يجلب الدفء لنفسه أو يوفر لنفسه الأمن إذ أن الأنماط التى توفر هذه الوظائف الأولية وتوجهها توجد فى الثقافة ويتفاعل معها الفرد منذ طفولته ، وهو يتعلم منها السلوك الخلقى بالنسبة للعلاقات الجنسية ويقدر أهمية الملبس والمركز والملكية وغيرها .

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

٣ - توفر للأفراد تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون وأصل الإنسان ودور الإنسان فى هذا الكون وقد تكون هذه التفسيرات غيبية أو عملية ، وقد يتشبعون بهذه التفسيرات أو تلك فتؤثر على نظرتهم إلى طبيعة الكون وعلاقتهم به وهم إذ يقومون بالتعبير والتفسير فى حياتهم ، إنما يقع مثل هذا كله على هذه التفسيرات والتصورات [١] .

٤ - توفر للأفراد المعانى والمعايير التى يميزون فى ضوئها بين الأشياء والأحداث فما يعتبره الفرد طبيعياً أو غير طبيعى ، منطقياً أو غير منطقى ، عادياً أو شاذاً .. إلخ ، يشتق من معانى الثقافة وأسس التمييز فيها .

٥ - تنمى الضمير عند الأفراد ، فمن المسلم به إجتماعياً أن الضمير غير فطرى فقد يكون صوتاً ضعيفاً ، أو ساكناً داخل الفرد ، ولكنه يتحدد فى ضوء تحديدات الجماعة للصواب والخطأ ، وينمو عند الفرد بتمثيله الداخلى لقيم الجماعة ومعاييرها ، وتشربها وإمتصاصها وإذا ما أخطأ فى أمر من الأمور وخالف ما تنتظره منه الجماعة بحسب مستوياتها الثقافية ، شعر بالخزى والعار ، ويصبح للضمير رقابة قوية على سلوك الأفراد ، وتنظيم علاقاتهم مع بعض فالصوم فى مجتمعنا فى شهر رمضان قيمة إجتماعية وثقافية ، ويحرص الأفراد على إحترامها ، ومن ينحرف عنه يتستر على نفسه ، حتى يتجنب لوم الجماعة ونفورها منه .

٦ - يكتسب الفرد عن طريقها حريته بإعتباره فرداً ، وبإعتباره عضواً

---

(١) محمد الهادى عفيفى ، التربية والتغير الثقافى ، الأنجلو المصرية . ١٩٦٤ ، من ص ٧٩ - ٨٢ .

فى مجتمع خاص وفى مجتمع إنسانى كبير ، فالإنسان يولد قادراً على الإختيار بين بديلات الحياة ومواجهة مشكلاتها . وذلك أن قصوره من الناحية البيولوچية والإجتماعية يحتم قبول ما تفرضه عليه الثقافة من أنماط عامة ، وبناء عليه يصبح الفرد مسلماً أو مسيحياً أو هندياً لنشأته فى مجتمع إسلامى أو مسيحى أو هندى ، غير أن تشكيل الثقافة للفرد على هذا النحو لا يعنى إلغاء فرديته إذ بواسطتها تنمو إمكانياته ، وتتحرر قواه ويكتسب قدراته التى نسميها عقلاً وذكاءً ، ومن ثم يصبح قادراً على الإختيار والتمييز الواعى [١] .

ولقد لمست من خلال دراساتى الميدانية المتعددة فى الأنماط المجتمعية ذات الثقافات المتباينة كيف أن الثقافة البدوية على سبيل المثال بعموميتها وخصوصياتها إستطاعت أن توفر للبدوى فى المراحل العمرية المختلفة كافة صور وأنماط السلوك والمشاعر التى ينبغى أن يقوم بها ويحسها نحو نفسه ونحو الآخرين من مختلف الطبقات العمرية والإجتماعية وإستطاعت الثقافة البدوية أن تحدد له مجموعة من الحقوق والواجبات والإلتزامات الملقاة على عاتقه تبعاً للتقاليد والعادات والأعراف السائدة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالمناسبات المختلفة المتعددة فى المجتمع البدوى ، ونلمس مثل هذه المشاعر بين الطبقات العمرية المختلفة فى المجتمع القروى خصوصاً فى الأسر الممتدة ، بينما تتفاوت وتتمايز هذه المشاعر فى المجتمع الحضرى .

---

(١) محمد الهادى عفيفى ، مرجع سابق ص ٨٢ - ٨٣ .

كما لمست كيف إستطاعت الثقافة البدوية أن تقنن إشباع الفرد من الجنسين لحاجاته البيولوچية وتقنين نظرة كل من الذكر والأنثى لتلك الحاجات البيولوچية ونظرتهم بصفة خاصة للعلاقات الجنسية والتحريمات المفروضة بصددها وتحديد وسائل العقاب المختلفة المرتبطة بالخروج على القواعد والأنماط السلوكية الشرعية والطبيعية . وبناء عليه يُقبل البدو على زواج أبنائهم فى سن مبكرة سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً ، كما أوضحت الثقافة البدوية النظرة لقيم الذكورة والأنوثة وأثرها على طبيعة العلاقات والتفاعل فى المجتمع البدوى عبر الأجيال المتعاقبة ، ومثل هذه النواحى تختلف فى المجتمع الحضرى إلى حد كبير للغاية عن مثيلها فى المجتمع البدوى ومرد ذلك التوجهات الثقافية الحضرية لأنماط السلوك للفرد فى المجتمع الحضرى .

ولمست كذلك كيف أن الثقافة البدوية قدمت للشخص البدوى من الجنسين تفسيرات جاهزة لطبيعة الكون وعوامل البيئة والأحوال الجوية ومعرفة المواقيت المختلفة من خلال النظر إلى السماء . وكذلك معرفة الأحوال الجوية على مدار السنة . ولقد إستطاعت الثقافة البدوية كذلك أن تنقل خبرة البدو من مختلف الأعمار والأجناس على مدار السنين الطويلة بطبيعة العلاقة بين البيئة الطبيعية والعوامل الجوية وإنعكاس ذلك على حياتهم الإجتماعية وطبيعة الإستقرار والرخاء فى مجتمعهم . وهذا ما نلمسه إلى حد كبير فى المجتمع القروى لتشابه الظروف البيئية ، بينما يتخلف الأمر بالنسبة للمجتمع الحضرى .

ونجد فى نصوص ودرايب القانون العرفى والذى يعد نتاجاً حياً وواقعياً للثقافة البدوية موقفاً محدداً وجازماً لكل مجالات الحياة الإجتماعية

والإقتصادية والسياسية والتى يتحدد بناء عليها كافة الحقوق والواجبات المناط بها فى مختلف المواقف والأحداث والقدرة على التمييز بينها ومن ثم تحديد طبيعة التواصل والتفاعل الإجتماعى بين أبناء البدو بعضهم البعض أو حتى بين البدو والغرباء ، وقد تعقد فى المجتمع القروى بعض المجالس العرفية القليلة أسوأ بالبدو ، ولكنها فى الغالب غير منصفة ولكن فى المجتمع الحضرى لا نجد سوى القانون الوضعى الذى يحكم وينظم العلاقات الإجتماعية بين الناس .

وتبين كيف أن الثقافة البدوية إستطاعت أن تنمى الضمير الخلقى لدى زبناء البدو وتصبغ شخصيتهم من خلال عمليتى التنشئة الإجتماعية والثقافية عبر الأجيال المختلفة بالتواصل والتراحم بين الكبار والصغار وتنمى قيم الجماعة وتوضيح ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب وتحديد الصواب والخطأ ويتجلى هذا بوضوح فى حل كافة المنازعات داخل مجتمعهم وفى حدود نصوص ودرايب أولاد على ، وينظرون إلى أن خروج أى مشكلة ووصوها إلى مركز البوليس ومن ثم المحاكم يعد من الأمور المخزية التى تجلب العار لجميع أبناء المجتمع . وبناء عليه نجد القانون العرفى عن طريق العواقل والمشايخ يلعب دوراً هاماً فى ترسيخ وتدعيم القيم الثقافية الأصيلة فى المجتمع البدوى والمحافظة على إستمراريتها من أجل إستقرار وتساند ورخاء المجتمع .

كما نجد أن الثقافة القروية إستطاعت إلى حد كبير تنمية الضمير الخلقى والإحساس الجماعى لدى الشخصية القروية خصوصاً فى الأسر الممتدة من خلال عمليتى التنشئة الإجتماعية والثقافية وتحديد أسس وسبل التواصل والتراحم والتفاعل بين الأجيال المختلفة وتحديد الحقوق

والواجبات المخولة للأفراد ولكن الملاحظ هنا أن السلطة الرسمية تتدخل إلى حد كبير فى حل النزاعات بين الأهالى بعضهم البعض بعكس الحال فى البادية ، وهذا مرده إنشتار الأسر النووية وتفتت الملكية الجماعية وإنتشار الملكية الفردية وزيادة الإتصال بالمدنية وعوامل التحضر بصفة عامة ، وهذا العوامل أثرت إلى حد كبير من تعديل وتبديل كثير من السمات التقليدية للشخصية القروية ، وكما سنرى فى مواضع كثيرة فى متن البحث .

ولمست أيضاً كيف أن الثقافة البدوية أكسبت الشخصية البدوية ذكراً كان أم أنثى مقومات شخصية خاصة فيميل البدوى إلى الحرية والإنطلاق والسعى وعدم تحديد الرزق والقناعة والبساطة والصدق وقول الحق والشجاعة والمروءة والصبر والجلد ، ولقد كان لهذا أثره فى تمييز وتفرد الشخصية البدوية من الجنسين عن الأنماط المجتمعية الأخرى سواء أكانت قروية أو حضرية .

حيث نجد أن الثقافة القروية بعد أن تناولها بعض عوامل التغير والتطور بصورة أو بأخرى إن أكسبت الشخصية القروية بعض سمات الشخصية الحضرية والتى فى أغلب الأحوال تتناقض مع طبيعة الشخصية القروية التقليدية ، ولذا وجدنا سمات بدأت تدخل فى سياج الشخصية القروية مثل القناعة المتغيرة والطموح الجامح ، الإتباط النسبى بالأرض ، البساطة المتغيرة ، الصدق المتغير ، وعدم الإعتماد الكلى على الله سبحانه وتعالى كما كان وضعف مشاعر الإتباط العائلى وعدم الجسارة والشجاعة المعهودة فى قول الحق وعدم الصبر والجلد المعهود فى مواجهة الصعاب والمشاكل .

بينما الحال هكذا فى الأنماط المجتمعية التقليدية نجد أن الثقافة الحضرية ذات الثقافات الفرعية المتباينة والمتصارعة والمتناقضة أحياناً قد أصبغت الشخصية الحضرية بخليط أو مزيج من السمات الشخصية التى تحمل كل خصائص الحياة الحضرية بكل معنى الكلمة مع التفاوت النسبى فى المجتمع القروى من شخصية إلى أخرى ، فتزداد مشاعر عدم الثقة إلى حد كبير وعدم البساطة ، مشاعر القلق والخوف من المستقبل واللاتجانس وعدم القناعة فى أغلب الأحوال ، والطموح المادى الجانح ، وسيادة مشاعر المنفعة أساس التعاون ، والرغبة الملحة دائماً فى التنقل المهنى والإجتماعى وسيادة مشاعر الفردية مثل هذه السمات جعلت الشخصية الحضرية بصفة عامة يعيش قلقلاً ، متوتراً غير متفائل فى أغلب الأحوال غير منبسط ، غير آمن ومطمئن فى أغلب الأحوال ، يحمل هموم الماضى وآلام المستقبل ، غير متوازن إجتماعياً ونفسياً فى أغلب الأحوال ، مثل هذه الصفات كانت من الأسباب النفسية والشخصية وراء دخول نسبة كبيرة من أبناء المجتمع الحضرى فى دائرة الإدمان بصورة أو بأخرى أو فى دائرة الأمراض النفسية والعصبية .

وبالرغم من أن الثقافة لها كل هذا التأثير على افراد فى الأنماط المجتمعية المختلفة ، فإن هذا لا يعنى أن هذا التأثير يتم تلقائياً بغير حساب أو دون وسيط ثقافى ، فالمعروف أنه لا ثقافة بدون مجتمع ولا مجتمع بدون أفراد وأنظمة ومؤسسات ، وهذه الأنظمة تعبيرات ثقافية وحملة الثقافة هم هؤلاء الأفراد وعن طريق كبار السن يتم النقل الشفهى للثقافة للأجيال الصاعدة .

فضلاً عن ذلك فإن القول بأن الفرد يتشكل بالثقافة لا ينفى أنها تتشكل بدورها بالفرد وتنفعل به ، فالعلاقة بين الفرد والثقافة علاقة

عضوية ديناميكية ونمو الثقافة وتطورها لا يأتى جزافاً ، إنما هو من فعل الأفراد أنفسهم [1] .

ويميل رالف لينتون إلى تأكيد صفة التكامل بين الثقافة والشخصية السوية ويرى أن جميع الأنماط الخاصة بثقافة ما تميل إلى نوع من الإنسجام أو التوافق مع القيم والإتجاهات العامة التى تمثل المستويات العميقة فى شخصيات الأفراد الأسوياء ، ولذلك

لا يطلب من الشخص السوىّ فى مجتمع ما القيام بأى عمل غير متلائم مع المستويات العميقة للشخصية ، وفى حالة إستعارة مجتمع ما لبعض الأنماط السلوكية من مجتمع آخر فإنه عادةً تجرى تعديلات فى هذه الأنماط لكى تصبح منسجمة مع الشكل الرئيسى للشخصية فى المجتمع الجديد ، وقد تجبر الثقافة بعض الأفراد بالإلتزام بأشكال سلوكية يكرهونها ، ولكن عندما يصبح هذا السلوك مكروهاً عند معظم أعضاء المجتمع ، فإن الثقافة تتخلى عنه فوراً ، فمثلاً عندما أصبحت عقوبة الإعدام مكروهة عند معظم أفراد بعض المجتمعات ألغتها وإستبدلتها بعقوبة السجن المؤبد [2] .

أما بالنسبة لأنماط السلوك الجديدة التى تنسجم مع القيم والإتجاهات العامة للفرد ، أى مع المستوى العميق للشخصية ، فإن الفرد لا يجد

---

(١) محمد يسرى دعبس ، تنمية الموارد البشرية فى المجتمع البدوى ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ ، ص

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر :

١ - عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٥٣ - ٥٤ .

2 - Linton, R, The Cultural Background of Personality, Appleton Centure - Crofts, INC, N . y , 1963, p.p. 142 - 145.

صعوبة فى إكتساب تلك الأنماط السلوكية الجديدة وكلما إعتاد على تكرارها فإن هذا التكرار يساعد على تقوية وتثبيت قيم الفرد وإتجاهاته العامة ، ولذلك فالفرد الذى يقضى حياته فى مجتمع ذى ثقافة مستقرة نسبياً ، يشعر بأن شخصيته أصبحت أكثر تكاملاً مع مرور الوقت وكلما كبر فى السن فإن شكوكه وتساؤلاته التى تصاحب مرحلة المراهقة والتى تتعلق بقيم وإتجاهات الثقافة تختفى عن طريق إلتزامه وأدائه المتكرر لذلك السلوك المنسجم مع تلك القيم والإتجاهات . وبناء عليه لا يشعر الفرد بأى جبر أو إكراه فى أدائه لتلك الأنماط السلوكية ، وهذا يعكس الحال بالنسبة للفرد الذى يكون مجبراً للإلتزام بأداء أنماط السلوك الظاهرى التى لا تنسجم مع قيمه وإتجاهاته العامة أى مع شخصيته التى تكونت عن طريق خبراته المبكرة ... إلخ .

وبناء عليه فإن الثقافة هى المسئولة عن تكوين الشكل الرئيسى للشخصية فى أى مجتمع . وبناء عليه تختلف أشكال الشخصيات بإختلاف الثقافات فى الأنماط المجتمعية المختلفة ، ويميز "رالف كينيون" فى هذا الصدد بين شكلين للشخصين وهما :

١ - الشكل الرئيسى للشخصية : وهذا النمط يميز معظم شخصيات أفراد المجتمع ويتمثل فى مجموعة القيم والإتجاهات العامة التى تتمركز فى المستويات العميقة من شخصية الفرد تلك التى تتكون أثناء مرحلة الطفولة عن طريق إتصالات الطفل المستمرة والقوية بأعضاء أسرته .

٢ - شخصيات المركز : وتتمثل فى أن الأفراد الذين يشغلون مركزاً إجتماعياً واحداً فى المجتمع يقومون بأداء عدة أدوار متشابهة

ويطبع هذا الأداء شخصياتهم بسمات مشتركة . وبناء عليه نجد إختلافاً واضحاً بين شخصية المرأة والرجل وبين الأطفال والكبار وبين الموظفين الكتابيين والعمال الفنيين .. إلخ .

ويجدر بنا أن ننوه إلى حقيقة فى غاية الأهمية أن الشرح المستفيض سالف الذكر لأثر الثقافة فى الشخصية وتكوين الشكل الرئيسى للشخصية ومن ثم شخصيات المركز فإن هذا لا يعنى بأى حال من الأحوال إلى التشابه الكامل بين شخصيات أبناء المجتمع ، حيث نجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى الفارق الجوهرى بين شكل الشخصية المجتمعية ذات الثقافة الواحدة ، والشخصية الفردية ، حيث أن شكل الشخصية ، وكما سبق القول يعنى وجود مجموعة معينة من السمات التجريدية المشتركة بين عدة شخصيات فردية يتضمنها النسيج الإجتماعى فى المجتمع ذو الثقافة الواحدة وحتى لو كانت هناك فى المجتمع عدة ثقافات فرعية فإننا سنجد عدة أشكال رئيسية للشخصية تخص كل جماعة من تلك الجماعات المتباينة ثقافياً داخل السياج الإجتماعى والثقافى الكلى للمجتمع الواحد ، أما الشخصية الفردية فيقصد بها مجموعة السمات التى يختص بها فرد معين بالذات ، وتختلف من فر إلى آخر ، وكذلك فى التوائم خصوصاً لو أخذنا ، فى الإعتبار الفروق الفردية بين الأفراد وما يتبع ذلك من إختلاف السمات والمحددات التى تخص كل شخصية على حدة ، وهذا ما يؤكده علماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس الشخصية بناء على بحوثهم الميدانية والمعملية وأخذهم فى الإعتبار بأثر العوامل الوراثية والبيئية وإختلاف تأثير تلك العوامل على شخصية الفرد فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وهذا ما سنوضحه عند تناولنا لكثير من البحوث الميدانية

لتبيان أثر تلك العوامل المختلفة فى تكوين الشكل الرئيسى للشخصية ومن ثم شخصيات المركز ، وكذلك الخصية الفردية فى حينه كإختلاف مركز الرجل والمرأة فى الثقافات المختلفة ، إختلاف النظرة لقيم الذكورة والأنوثة فى المجتمعات المتباينة ثقافياً ، إختلاف النظرة لقيم العنوسية والعزوبية فى الثقافات المختلفة ، التنشئة الإجتماعية للطفل فى الثقافات المختلفة وإنعكاسها على ملامح شخصيته ... إلخ .

ويدلنا التراث الأنثروبولوچى من واقع الدراسات الميداينة أن التغيرات التى تحدث فى الشخصية العامة للمجتمع تختلف معدلاتها من مجتمع إلى آخر وتبعاً للعوامل المختلفة والمتنوعة المؤثرة فى إحداث تلك التغيرات ويكمن أهم تلك العوامل فى التغير الثقافى الذى يحدث فى المجتمع ويختلف معدله ومداه من مجتمع إلى آخر بل ومن جماعة إلى أخرى داخل المجتمع الواحد وهذا يؤثر بالقطع على سمات الشخصية العامة فى المجتمع .

ولقد لمست من خلال الدراسات الميدانية التى قمت بها فى كثير من الأنماط المجتمعية خصوصاً المجتمع المحلى بالورديان الذى يتضمن نسيجه الإجتماعى عدة جماعات إجتماعية قادمة من مختلف قرى ومراكز جمهورية مصر العربية ولكل جماعة ثقافتها الفرعية ، ويمكن القول أن نتيجة للتغيرات البنيوية والإجتماعية والثقافية التى حدثت فى ذلك المجتمع والتى غيرت كثيراً من سمات الشخصية العامة للفرد فى هذا المجتمع بعد العمليات الإجتماعية المتعددة المتضمنة فى التغير مثل عمليات الصراع والمنافسة والتعاون والتكيف الإجتماعى والتمثيل الإجتماعى ، وإكتسبت الشخصية العامة فى ذلك المجتمع خصوصاً فى

الأجيال الصغرى من الأطفال والشباب من الجنسين الذين ولدوا فى هذا المجتمع سمات شبه عامة لأبناء ذلك المجتمع بالرغم من الإختلاف الواضح فى شخصيات المركز بين أبناء ذلك المجتمع ، وهذا لا ينكر وجود شخصية عامة داخل الجماعة الإجتماعية ذات الثقافة الفرعية تميز أبناء تلك الجماعة بصفة خاصة داخل السياج الإجتماعى والثقافى فى ذلك المجتمع ككل .

وهذا إن دل على شئ إنما يدل على عمليات التغير وما يتبعها من حالات الصراع والتنافس والتفكك الإجتماعى واللاتجانس الثقافى ثم حدوث حالات التكامل والتساند ثانية فى المجتمع بين تلك الجماعات ذات الثقافات المتباينة يدحض أمبيريقيا نظرية الدوافع التى كانت تفترض أن الثقافات غير المتجانسة تؤدى إلى خلق شخصيات من خصائصها الصراع .

كما تقرر أن التكامل والإنسجام هو وظيفة للتجانس ، ويمكن القول ومن واقع الخبرة الميدانية أن التغير حالة عادية وطبيعية للجماعات ذات الثقافات المتباينة وبرغم حدوث عمليات الصراع والتفكك الإجتماعى وعدم الإستقرار فى البداية نتيجة تضارب المصالح والإتجاهات العامة فى كل ثقافة فرعية على حدة إلا أنه ما يلبث أن يحدث تنوع عريض لأشكال الشخصية فى المجتمع وبالتالى كثرة شخصيات المركز وهذا ما تفتقده فى أغلب الأحوال الثقافات فى المجتمعات ذات التغير البطىء . وبناء عليه يمكن القول أن كل شكل من أشكال الشخصية يمكن أن يكون مستقراً وثابتاً فى إطار الثقافة الفرعية التى ينتمى إليها تماماً كما هو الحال بالنسبة للشخصية فى المجتمعات ذات الثقافة المتجانسة الثابتة نسبياً .

ويذهب "والس" Wallace في هذا الصدد أن تنوع أشكال الشخصية في المجتمعات المتباينة ثقافياً وغير المتجانسة وذات التغيير الثقافي السريع لا يعني كثرة الشخصيات غير السويّة وغير المستقرة ، حيث أن كل شكل من أشكال الشخصية يمكن أن يكون مستقراً في إطار الثقافة الفرعية المنتمي إليها ، إلا أن المشكلة في المجتمعات المعقدة ذات التغير الثقافي السريع لا تتمثل في أن كل أعضائه يعانون من أمراض نفسية وذهانية وإنما تكمن في أن التنظيم الإجتماعي والثقافي يتطلب المزيد من قدرات وتخصصات أعضائه ، وقد يتصرفن بعض الأفراد في مثل هذه الأحوال والظروف بصورة ثانوية لثمة حالات من الإحباط وحرمان المركز وفقدان الوظيفة . وبناء عليه قد يعانون من بعض الأمراض العصابية والذهانية ، ومن ثم يجدر إرجاع تلك الحالات المرضية لأسبابها الحقيقية المتمثلة في فشل بعض النظم الإجتماعية في إشباع حاجات أعضاء المجتمع ، فلا يمكن القول على سبيل المثال أن الجماعات الفرعية الفقيرة في المجتمعات المعاصرة مثل الأقليات الدينية والثقافية والطبقات الإقتصادية السفلى والمواطنون الذين يعانون من إستعمار أوطانهم ، يعانون من كثرة حالات المرض والضيق بسبب وجود حالة اللاتجانس أو التغير الثقافي أو هما معاً في تلك المجتمعات وإنما نجد أن الأسباب الحقيقية تتمثل في الظروف الإقتصادية والإجتماعية السيئة التي تعترض على تلك الجماعات كسوء التغذية والأمراض الوبائية والإحتقار والإيذاء الجسمي وصدمه فقدان الثقافة والصدمة الثقافية [1] .

(١) أنظر لمزيد من التفاصيل :

١ - محمد يسري دعبس ، إقتصاديات مجتمع الإنفتاح ، دار أم القرى للطباعة ، ١٩٩١ .

2 - Wallace, A., Culture and Personality, Random Hause, N . y, 1961 , p.p. 112 - 118.

ثانيا: أثر الشخصية فى الثقافة:

لما كان الإنسان هو مبتكر ومبدع الثقافة وناقلها وملقنها للأجيال تلو الأجيال من خلال عمليات التنشئة الإجتماعية المتباينة للجنسين فى الطبقات العمرية المختلفة ، ولما كانت الثقافة مكتسبة ومتغيرة وتأخذ طابع الإستمرارية والديمومة والكلية والتداخل يبرز لنا أهمية دراسة الشق أو الجانب الثانى من موضوع الزنثروبولوچيا النفسية وهو أثر الشخصية فى الثقافة .

وهناك العديد من الموضوعات التى تبرز لنا تأثير أثر الشخصية فى الثقافة منها عمليات التجديد والإختراع ، وإستجابات الجماعات المحلية للتجديد ، خصائص وسمات المجددين والمبدعين ، ويرتبط كذلك بعمليات التغير الثقافى ، وما يتبع ذلك من العمليات الإحيائية التى يقصد من وراءهما أبناء المجتمع التجديد فى بناء الثقافة السائد بما يحقق إشباع أفضل لرغباتهم، كما نجد من الموضوعات المتميزة فى هذا الصدد النظرة لقيم الذكورة والأنوثة وأثرها على المدى القصير والطويل على دور مركز الرجل والمرأة فى المجتمع المحلى ، وكذلك إختلاف النظرة لقيم العنوسية والعزوبية ومحاولة إبراز الصيغ الثقافية الكلية نحو خصائص وسمات الأعزب والعانس وإختلاف وتشابه نظرة أبناء المجتمع لتلك القيم ، بل ونظرة الأعزب والعانس لذاتهما ومن ثم للمجتمع والمحيط الثقافى وتأثيرهما بهذا المحيط الإجتماعى والثقافى للمجتمع المحلى .

وأجد من الأهمية بمكان لتوضيح أثر الشخصية فى الثقافة أن أعرض لبعض العمليات السالفة الذكر فى معالجة قصيرة على النحو التالى :

★ **عمليتي التجديد والإختراع:**

وإذا كان مصطلح الإختراع يعنى إدراك الظواهر أو العلاقات التى لم تعرف من قبل ، ولكى يكون للإكتشاف معنى إجتماعى يجب أن يتصل بالإنسان الموجود ، والخاصة بالعقائد والمعرفة وبالتالى يندمج فى الثقافة [١] .

ونجد أن الإختراع يختلف عن الإكتشاف الذى يعنى التعرف على ظواهر أو علاقات مدركة أو ملاحظة من قبل ، ولكى يكون للإكتشاف أهميته ودلالته الإجتماعية يجب أن يصبح مرتبطاً بإنسان المعتقدات والمعارف ومتكاملاً مع الثقافة [٢] .

كما يعنى مصطلح التجديد (الإستحداث) أى عنصر ثقافى جديد فى الثقافة المادية وغير المادية بحيث يختلف نوعياً عن الأشكال القائمة ويتضمن ذلك الإكتشاف والإختراع ، ومما يساعد على الإبتداع الإتصال الثقافى .

وقد يقصد بهذا الإصطلاح الخروج عن الأوضاع السائدة والتكيف للموقف المتغير .

وقد يقابل مثل هذا الإتجاه بالمقاومة مع العناصر المحافظة . ويرى چوزيف شومبيتر التجديد والإبتكار هما أهم صفات المنظم فى المشروعات المختلفة حيث يقوم بإخراج منتجات جديدة ولا يتردد فى إستخدام أساليب

---

(١) أحمد ذكى بدوى ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٢) عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

الإنتاج الجديدة وما إلى ذلك [1] .

وهناك عدة نظريات توضح عملية التجديد كنظرية بارنت المعروفة "بإعادة الربط" ويقصد بأن التجديد عبارة عن عملية عقلية يتم فيها إعادة تركيب لإثنين أو أكثر من الصيغ الكلية العقلية ، وفيها يقوم المجدد بثلاث عمليات عقلية وهى :

أ - أن يحلل بعض الصيغ الكلية العقلية ، وأن يحلل كل صيغة فيها بحيث يميز العناصر المكونة لها والعلاقات التى بين تلك العناصر .

ب - يقوم المجدد بمقارنة تلك العناصر بعضها ببعض ، بحيث يستطيع ملاحظة أوجه التشابه والإختلاف بين تلك العناصر .

ج - يعيد المجدد الربط بين عناصر تلك الصيغ الكلية وذلك عن طريق إستبدال بعض العناصر بعناصر أخرى وإحداث تغييرات فى العلاقات التى تربط تلك العناصر .

ويوضح د. عاطف وصفى هذه العمليات المترابطة من خلال المثال التوضيحى التالى :

المرحلة الأولى : عملية التحليل :

النموذج الاصلى : «الغواصات ذات شكل غواصة ، تتحرك ببطء بالنسبة لطولها» .

المنبه : "الأسماك ذات شكل سمكة سمكة ، تعوم بسرعة بالنسبة لطولها"

(١) أحمد ذكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، مركز الكتب الثقافية ، بيروت ، ص ٢١٩ .

المرحلة الثانية : عملية تطابق :

تطابق "سمكة" مع "غواصة"

تطابق "يعوم" مع "يتحرك"

تطابق "شكل سمكة" مع "شكل غواصة"

المرحلة الثالثة : عملية تبادل إعادة الربط :

إستبدال "شكل غواصة" بـ "شكل سمكة"

إستبدال "ببطء" بـ "بسرعة"

وهنا تصبح العبارة الجديدة هى «الغواصات ذات شكل سمكة تتحرك بسرعة بالنسبة لطولها .

ونلمس مما سبق ان الصيغة الكلية العقلية جديدة تماماً ، إلا أنها مستنبطة من العناصر والعلاقات المتضمنة فى العبارات السابقة ، وبناء على نظرية "بارنت" *"Barnett"* نجد أن كل تغير يجب أن ينظر إليه على أنه إعادة ربط بين الصيغ الكلية الموجودة من قبل ، ولابد إذن من وجود «نقطة الإبتداء» حتى يستطيع الفرد ان يعيد صياغتها للوصول إلى صيغة كلية جديدة ، كما تقر النظرية بوجود عدد محدد حتى لو كان كبيراً من الصيغ الكلية الممكنة ويحدد هذا العدد حجم المجموعات الاصلية من العناصر والعلاقات وعدد محدد من الثقافات الممكنة وهو أمر لا تقبله النظريات الانثروبولوجية الحديثة (٢)

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص.ص ٦٠-٦١ .

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر :

عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

ولقد عدد "والاس" *"Wallace"* فى كتابه "الثقافة والشخصية" ١٩٦١ ، بعض أوجه القصور الأخرى لنظرية بارنت حيث أنها لم تهتم بتحديد الشروط التى على أساسها سوف يحدث تجديد معين ، وكذلك التنبؤ بالإرتباطات التى سوف تحدث ، والتنبؤ بالأشخاص الذين سيقومون بها ، والموعد الذى يمكن أن تظهر فيه ، وبما تحتويه مثل تلك التنبؤات على موضوعات خاصة بالدوافع الشخصية والخبرات الخاصة والموقف ذاته والوسط الثقافى ، وبناء عليه رفض والاس الأخذ بهذه النظرية عند دراسة التغير الثقافى [١] .

ولقد قدم "والاس" نظرية «التعليم الأقصى» التى تؤكد أن الكائن الحى فى أفعاله يسعى إلى تحقيق الحد الاقصى فى إطار الشروط الموجودة وفى حدود قدراته وطبقاً لتصور الفرد لذاته وللعالم الخارجى ، وبناء عليه يكون الفرد مزوداً بدافع نظرى يدفعه بصورة مستمرة إلى زيادة كل من درجة التعقيد والتنظيم فى خبراته ، ويذهب والاس إلى أنه بمقتضى هذا المبدأ تحدث التجديدات من عناصر وعلاقات غير موجودة من قبل عند توافر الشروط اللازمة لحدوث هذا التجديد [٢] .

كما يهتم علماء الانثروبولوچيا النفسية بدراسة الصفات النفسية للمجددين وبصفة خاصة الحوافز حيث أن تلك السمات النفسية تؤثر تأثير بالغ الأهمية فى إحداث التجديدات ، هذا فضلاً على أن المجددين يبرعون فى إطار المحيط الثقافى والظروف المجتمعية وقدراتهم الفردية كما تؤكد نظريتى بارنت و والاس ، ويضاف إلى ذلك مدى قبول أو عدم قبول المجتمع للتجديد وعامل العملية المعرفية التى يصاغ فيها التجديد وكل

(1) Wallace, A., Culture and Personality, Random House, N.Y., 1961 p.p. 119.-121.

(2) Ibid., p.p. 124-12.

العوامل سالفة الذكر لا تمنع حدوث التجديد عن طريق المصادفة أو عن طريق الخطأ المعرفى .

وإذا كان علماء الأنثروبولوچيا النفسية يهتمون بدراسة مدى إستجابة الجماعات للتجديد سواء بالقبول أو الرفض فإنهم يهتمون كذلك بدراسة العمليات النفسية التى تحدد ما إذا كان تجديد مقترح سوف يقبل إستخدامه أو سيرفض عن طريق المجدد نفسه وباقى المجتمع الذى يبزغ فيه التجديد ويهتمون كذلك بدراسة عمليات الانتشار الثقافى والإمتزاج الثقافى وإستجابة اعضاء المجتمعات الأخرى لتلك العمليات [١] ، ويجدر الإشارة إلى أهمية عمليات الإنتشار الثقافى والإتصال الثقافى وما يتخللها من عمليات إقتباس وإستعارة لسمات جديدة على المجتمع وأثر ذلك فى إحداث التجديدات أو التطورات أو التغيرات المرتبطة على ذلك وقبول أفراد المجتمع لذلك ، أو تقبلها بلا تحوير أو تعديل إذا كانت تلائم نظم المجتمع وحياته .

ويجد أن نضع فى الاعتبار أن الإنتشار الثقافى دائماً لا يكون سهلاً فقد توجد حواجز أو عوائق تمنعه وهذه الحواجز قد تكون طبيعية كعزلة المجتمع فى الصحراء أو حواجز سياسية أو اجتماعية تعارض هذه التجديدات مع مصالح جماعات معينة داخل المجتمع خصوصاً لو أن هذه الجماعات بينها صراعات وتضارب فى المصالح الخاصة وبالتالى عدم وجود إنسجام مع الأهداف العامة للمجتمع ككل .

فضلاً عن ذلك فإن الإنتشار الثقافى فى مجال العقيدة والدين قد يكون أصعب منه فى المجال الاقتصادى لأن المجتمع قد يقبل تغير أو تحديد أو تعديل نماذجه الاقتصادية ولكنه يرفض أو يقبل بصعوبة كل

---

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

تغير فى النماذج الخاصة بالعقيدة والدين .

كما تتوقف سرعة الإنتشار الثقافى بين المجتمعات أو الجماعات كذلك على النظم نفسها وسهولة الإنتشار بينها ، فاللغة مثلاً تنتقل بأصواتها بين المجتمعات البدائية بشكل اسرع منها فى أى نموذج آخر ، ويتوقف سرعة الإنتشار على حجم المجتمع ومساحته من ناحية أخرى ، ثم مدى تأثر المجتمع بالمجتمع الذى يستمد منه نماذجه وهناك إنتشار عمدى أو مقصود أو بالقوة كنشر ثقافة البلد المنتصر على البلد المهزوم أو المتحل ، أو الإنتشار الذى يتم بالصفة عن طريق تأثير المجتمع تأثراً حراً طليقاً بمجتمع آخر ومن ثم تقبل أو عدم تقبل التجديدات بدون تحوير كما هى أو تعديلها كما يتواءم مع نظم المجتمع ومحيطه الثقافى .

وبناء عليه فإن التجديد يبدأ فى صورة صيغة كلية جديدة تظهر فى ثقافة ما عن طريق عامل من عوامل التغير قد يكون مخترعاً أو تاجراً أو قائداً سياسياً أو زوجاً أجنبياً أو مصلحاً دينياً ، ولا يقبل المجتمع فى اغلب الأحوال هذه الصيغة الكلية الجديدة كما هى وإنما يجرى عليها بصفة التعديل حتى تتلاءم مع الصيغ الكلية الأكثر المتمثلة فى ثقافة المجتمع .

وبناء عليه نجد أن التعديل فى السمات المادية واللامادية ومن ثم تقبلهامن المجتمع يتم عبر مراحل متعددة وهنا يحدث ما نطلق عليه فى الانثروبولوچيا التعديل فى وظيفة السمة وهذا ما نلمسه بوضوح من إستخدام الفرن التقليدى ثم وابور الغاز ثم البوتاجاز فى المجتمع المحلى التقليدى البدوى أو الريفى الذى إستتبع عدة مراحل لتعديل السمة الثقافية المادية .

وإجمالياً فإن التنبؤ بقبول أو رفض جماعة ما لتجديد ما يتجدد عن طريق الموازنة بين مجموعة من العلاقات النفسية المرتبطة بعضها ببعض

بصورة معقدة ، وهى علاقات بعضها موجب والآخر سالب ، وتتم تلك الموازنة فى عقول أفراد الجماعة ، ولذا يحسب الفرد سواء بصورة مقصودة أو غير مقصودة مجمل الخسائر والأرباح المترتبة على قبول التجديد أو رفضه ، وهذا بالقطع يتوقف على حسابات الربح والخسارة ، وبناء عليه ستكون القيم المتضمنة فى مثل تلك الحسابات فى التحليل النهائى قيماً شخصية ، إلا أن هناك عدة عوامل تساعد على التنبؤ بإحتمال قبول أو رفض جماعة ما لتجديد معين وتتمثل فى النقاط التالية :

* معرفة شاشة القيم التى تفرضها روح الثقافة .
* معرفة الشخصية القومية أو الشخصية الرئيسية للجماعة .
* معرفة البناء الوظيفى للثقافة الواقعية للجماعة .
* معرفة طبيعة وسيلة الإجبار المستخدمة فى تقديم التجديدات إن وجدت .
* معرفة القوى الموجهة للإتجاهات الأيدولوچية والإتجاهات اليوتوبية للجماعة [1] .

وعلى الرغم من كل ذلك يجب أن نضع فى الإعتبار أن قبول أو رفض الجماعة لتجديد ما قد لا يكون أمراً موحداً بالنسبة لجميع افراد الجماعة ومرد ذلك وجود إختلافات فى مصالح الجماعات الفرعية ذات الثقافات الهامشية المكونة للمجتمع ، ونجد أن الأمر يتطلب دراسة مفصلة لكل العوامل سالفة الذكر فى تلك الجماعات الفرعية ذات الثقافات الفرعية المتباينة حتى يمكن التنبؤ بإحتمال قبول أو رفض جماعة ما لتجديد معين ، ونخلص الى أن الشخصية وما تحتويه من قيم وإتجاهات تؤثر فى الثقافة من زاوية قبول أو رفض الجماعات للعناصر الثقافية الجديدة .

انظر :

(١) عاطف وصفى ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

الباب الثانى

التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة

تمهيد

أولا : اثر الثقافه فى الشخصيه

ثانيا : اثر الشخصيه فى الثقافه

التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة

تمهيد :

تنقسم مرحلة الرشد والشيخوخة من الناحية البيولوچية والنفسية الى ثلاث مراحل هى :-

١ - مرحلة الرشد المبكر وهى تمتد من سن ٢١ الى ٤٠ سنة .

٢ - مرحلة وسط العمر وهى تمتد من سن ٤٠ الى ٦٠ سنة .

٣ - مرحلة الشيخوخة وهى تمتد من سن ٦٠ الى نهاية العمر [(١)] .

ومما هو جدير بالذكر ان تلك المرحلة الاخيرة هى محور اهتمام الدراسة التى بين ايدينا ، لذا نطرح تساؤلاً وهو متى بدأ الاهتمام السيكولوچى بدراسة كبار السن او الشيوخ ؟ .

يعد سيشرون الخطيب الرومانى المشهور الذى عاش فى القرن الاول قبل ميلاد المسيح اول من اهتم بالخواص السيكولوچية للكبار والاعمال المناسبة لهم وقد ترجم رسالته عن الكبار الى الانجليزية عام ١٩٥٤ ولقد فطن العرب الى اهمية دراسة كبار السن فكتب ابو حاتم السجستانى رسالته عن المعمرين ٨٦٤ م ، وقد تطور الاهتمام من الاعمال المناسبة للكبار الى دراسة العوامل المؤدية لاطالة العمر فنذكر منها على سبيل المثال الدراسة التى قام بها تينون ١٨١٣ ، والبحث الذى اجراه ليجونكور ٨٤٢ .

كما أن الاهتمام بمراحل حياة الكبار وخاصة الشيوخ بدأ منذ سنة ١٨٦٠ وذلك عندما نشر فلورنس كتابة عن الشيخوخة البشرية وتوزيعها

---

١ - فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ص ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

السكانى على سطح الكرة الارضية ، وقسم فلورنس مرحلة الشيخوخة الى مرحلتين متمايزتين تبدأ الاولى من سن ٧٠ سنة وتبدأ الثانية من سن ٨٥ سنة .

ثم تطور الاهتمام بالكبار بعد ذلك الى دراسة المشكلات الاجتماعية التى تصاحب حياة الكبار وظهرت نتائج هذه الدراسات فى كتاب بوس ١٩٩٤ ، وقد ادت هذه الدراسات الى سلسلة من الاصلاحات الاجتماعية الخاصة بكبار السن والشيوخ .

هذا ويعد كتاب هول الذى ظهر سنة ١٩٢٢ البداية الحقيقية للدراسات البيولوجية النفسية الخاصة بالكبار وقد ادى هذا البحث الى دراسة اثر الزمن على التغيرات البيولوجية التى تحدث للحيوانات خلال مراحل حياتهم المختلفة ، ثم تطورت الابحاث الى دراسة اثر الزمن على تغير خواص الانسان البيولوجية والفسيولوجية والنفسية والاجتماعية ، وكان لهذا الاتجاه اثره على القاره الاوروبية فنشأت حلقات الدراسة الخاصة بسيكولوجية الكبار ١٩٣٩ .

ولقد شغلت مشكلة التكيف الاجتماعى للشيوخ الباحثين فى العقد الرابع من هذا القرن ، فدعا بيرجز عام ١٩٤٣ م الى تكوين لجنة من الجمعية الامريكية للعلوم الاجتماعية لدراسة مشكلة الشيخوخة ومدى تكيف الفرد فى هذه المرحلة من حياته بالنسبة لعائلته ، عمله ، دخلة المتناقص ، وقد نشرت هذه اللجنة نتائج ابحاثها فى الكتاب الذى نشره بولاك عام ١٩٤٨ ، وتناول فيه كل ناحية من تلك النواحى بالدراسة والتحليل .

ثم تطور البحث الى وجهته النفسية فى السنين الاخيرة ، وذلك عندما

عكفت جامعة كمبريدج على دراسة مظاهر التغير فى الاداء الانسانى من الرشد الى ان يصل سن الفرد الى ٨٠ سنة وقد استمرت هذه الابحاث قائمة فى معمل علم النفس من ١٩٤٦ الى ١٩٥٦ وقد نشرها ولفورد فى كتابه الذى ظهر عام ١٩٥٨ .

بعد هذا العرض للتطور التاريخى لدراسة المسنين نجد من الاهمية بمكان تحديد اهمية دراسة المسنين واهداف دراسة سيكولوچية الكبار ويتضح ذلك من المعالجة التالية :-

اولا:- اهمية دراسة الكبار

يمكن اجمال اهم هذه الاسباب :-

١ - تزداد نسبة الكبار سنة بعد اخرى ، ولهذة الزيادة اثرها فى اهتمام العلم الحديث بدراسة الصفات الرئيسية للكبار وخاصة المظاهر الجسمية ، الحسية والعقلية المعرفية والانفعالية العاطفية والاجتماعية ، ويمكن ارجاع اسباب زيادة تعداد الكبار فى العالم فى النواحى التالية :-

أ - ارتفاع مستوى الصحة الوقائية التى تهدف الى منع انتشار الامراض والاوبئة .

ب - ارتفاع مستوى الصحة النباتية التى تهدف الى تحقيق النواحى الغذائية والبيولوچية لبناء مجتمع سليم وافراد اقوياء .

ج - ارتفاع مستوى الصحة العلاجية التى تهدف الى تزويد الفرد والمجتمع بالدواء المناسب لكل الامراض المعروفة .

د - ارتفاع مستوى الصحة النفسية التى تهدف الى تحقيق التكامل الصحيح للشخصية الانسانية والى تيسير اسباب الراحة النفسية التى

تحول بين الفرد وبين الامراض العصبية المختلفة .

هـ - انتشار السلام العالمى لمدى ما يقرب من ربع قرن ادى الى احتفاظ كل دولة بزهرة شبابها والى زيادة نسبة الكبار فى تلك المجتمعات ، وذلك لان الضحية الاولى للحرب هم الكبار انفسهم .

٢ - المجتمع الذى نعيش فيه قادته من الكبار ، فهم الذين يوجهون سياسة الدولة ومشروعاتها الاقتصادية وتطورها الاجتماعى ، اذن يجب ان ندرس هؤلاء الكبار لندرس امكانياتنا البشرية ووسائل تحقيق اهدافنا .

٣ - زيادة الاهتمام بدراسة الكبار منذ فترة قليلة بعد ان اكتشف علم النفس والعلوم الاخرى المتصلة به اهم الخواص الرئيسية للنمو فى مراحل العمر المختلفة ، وذلك لان مرحلة الكبار هى مظهر من مظاهر التطور النفسى للفرد واكتمال شخصيته وفى شيخوخته وضعفه .

٤ - الثروه البشرية هى اهم انواع الثروات الموجودة فى اى اقليم ولذا فالدراسة العلمية لنفسية الكبار تهدف الى معرفة الامكانيات البشرية والطاقات الكامنة لتوجيهها لخير المجتمع ولخير النوع الانسانى كله ، ولهذا يجب ان نفهم سلوك الكبار فى حياتنا الفردية والاجتماعية .

٥ - ارتفاع نسبة الامية فى العالم يحول بين الفرد وبين الافادة من قواه وامكانياته الخصبة ، والدراسة العلمية النفسية للكبار تكشف عن الطرق الصحيحة لتعلم هؤلاء الاميين ، ولا نستطيع ان نعلم الفرد دون ان نعرف خواصه المختلفة وامكانياته ودوافعه وميوله واستعداداته وقدراته [1] .

---

١ - نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

٦ - اهمية دراسة الكبار فى فهم انفسنا وفهم غيرنا وتطور المجتمع الذى نعيش فيه [١] .

اهداف دراسة سيكولوجية الكبار

ويمكن ان نحددها فى النقاط التالية :-

١ - لا معنى للزمن دون تغير وكلما تزايد الزمن تغير الكائن الحى اما قوة واما ضعفاً والانسان يسير فى قافلة الزمن من مهده الى لحده .

٢ - فهم انفسنا ومظاهر قوتنا وضعفنا حتى نعرف حدودنا وامكانياتنا والاستفادة منها لاقصى حد ممكن واستغلال الثروة البشرية الكامنة فى انفسنا وعند غيرنا حتى لاتبقى معطلة نعيش ونموت بها دون ان نرى النور فى حياتنا .

٣ - زيادة الدور النشيط للفرد فى مناشط الحياة حتى يستمتع بحياته فى عمله وراحته وسط التفاعل الاجتماعى والعلاقات المتداخلة والمتشابكة للمحيطين من حوله بعيداً عن الآلام والمشكلات المتعددة المتنوعة التى يقابلها الفرد فى حياته ، وهذا من شأنه ان ينقل تجربة وخبرات ومهارات الفرد نتيجة لما يمر به من حياته حتى يستطيع مواجهة حياته فى مرحلة الشيخوخة بما يتضمنه من ضغوط داخلية وخارجية .

ولما كانت الشيخوخة تتميز عامة بضعف شامل يتمثل فى الوهن الجسمى والعجز الحركى والتخلخل الادراكى ، ويعتبر علماء النفس الشيخوخة بانها مرحلة طفولة ثانية فى اواخر العمر ، وكأن حياة الكائن

---

١ - فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

الانسانى تبدأ بعجز ووهن وضعف ، ثم تسير صاعدة لتستكمل قوتها ورشدها فى مراحل الشباب ووسط العمر لتعود ثانية لضعف الشيخوخة وعجزها .

ويعتبر علماء الاقتصاد الطفولة والشيخوخة مرحلتى استهلاك يعيش فيها اصحابها عالة على غيرهم اما مراحل الشباب والرشد فهما مرحلتان للانتاج الخصب .

ولدراسة الشيخوخة اهميتها النفسية لانها تضم ٢٠ ٪ تقريباً من المواطنين فى اى مجتمع عادى يساهمون فى رسم سياسة البلد وادارته والانتاج العلمى والثقافى .

ومما يزيد اهمية هذه المرحلة فى حياة الانسان انها قد اخذت فى ازدياد عدد وسنوات افرادها فى المناطق التى يتحسن فيها المستوى الاقتصادى ويتوفر الضمان الاجتماعى والصحى ، والمسن اذا سئم الحياة فإنما يسأم ما فيها من ضعف وعجز ومرض [1] .

ونجد من الأهمية بمكان أن نعرض لأثر الثقافة فى الشخصية وأثر الشخصية فى الثقافة بصورة تمهيدية على النحو التالى :

لمزيد من التفاصيل انظر :

١ - عصام فكرى ، علم الشيخوخة ، مجلة الفكر ، مج ٦ ، عدد ٢ ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٣ - ٢٨ .

٢ - عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجدة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

أولاً: أثر الثقافة فى الشخصية:

ولما كانت التكوين النفسى للفرد فى مجمله يكون شخصية الفرد وأن هذا التكوين النفسى يتضمن التكوين الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى للفرد ، ونوضح تأثير الثقافة على كل ناحية من هذه النواحى المكونة فى النهاية لشخصية الفرد فى المعالجة التالية :

١) أثر الثقافة من الناحية الجسمية:

مما لا شك فيه أن الثقافة السائدة فى شعب من الشعوب كثيراً ما تجبر الفرد بما لها من قوة جبرية وإلزام وسيطرة مستمدة من العادات والتقاليد والقيم ، على أعمال أو ممارسات قد تضر بالناحية الجسمية ضرراً كبيراً «فمثلاً كانت العادة فى الصين فى بعض الطبقات المرفهة ، أن تثنى أصابع الطفلة الأنثى وتطوى تحت القدم وتلبس حذاء يساعد على إيقاف نمو قدميها ويجعلها تمشى مشية خاصة ، وكانت هذه المشية الخاصة فى نظرهم هى وصغر القدم من علامات الجمال كما كانت دليلاً على رفاهية صاحبتها وأنوثتها» .

كما يدلنا التراث الانثروبولوچى على شعائر التكريس للطبقات العمرية فى القبائل الافريقية وأن شعائر التكريس والعلامات المصاحبة لها فى جسم الانسان أو وجهه تدل دلالة واضحة ومتمزة على إنتماء الفرد إلى طبقة عمرية دون أخرى ، ويترتب على ذلك مجموعة من الحقوق والإلتزامات والواجبات نحو أعضاء تلك الطبقة العمرية بعضهم البعض ، كما تنشأ تبعاً لذلك مجموعة من التحريمات بصدد الزواج بين أعضاء تلك الطبقات العمرية وأبنائهم .. الخ .

وينطبق الحال على عادة الختان للذكور فى بعض القبائل الافريقية وهى تتم للذكور فى نفس الوقت لإثبات إنتمائهم إلى طبقة عمرية محددة تنشأ تبعاً لذلك علاقات اجتماعية وصلات اجتماعية وقرابية وحقوق وواجبات نتيجة هذه العملية التى تتسم بصورة جماعية بأحد الأعضاء الجسمية لأفراد المجموعة التى ستدخل فى الطبقة العمرية .

كما نجد أن الوشم فى بعض القبائل الافريقية وكذلك البدوية والذى يتم فى أماكن متفرقة وخصوصاً الوجه ، علاوة على إرتداء بعض المشغولات الذهبية فى الأنف بعد ثقبها بالنسبة للإناث ، وهذه العلامات التى ترتبط بالناحية الجسمية للإنسان لها معانٍ تدل على الجمال والأناقة ... الخ .

وهذا يعنى أن الجماعة التى يعيش الفرد بينها والثقافة التى يترعرع فيها هما اللتان تحددان معايير الجمال وتقرران ما اذا كانت هذه الصفة الجسمية أو تلك ذات قيمة جمالية أم لا .. وتختلف المجتمعات اختلافاً واسعاً فى الصفات الجسمية المحتمل إعتبارها من صفات الجمال والجاذبية ، ومعظم القبائل البدائية تعتبر السمنة من صفات الجمال والجاذبية . وكانت السمنة إلى عهد قريب جداً ، ومازالت فى الريف وفى كثير من الاوساط (البيئات) الشعبية فى المدن ، يُنظر اليها كعلامة من علامات الجمال ، ولذلك كانت السيدات يحاولن بكل الطرق أن يصلن إلى السمنة المطلوبة (ومن هذه الطرق أكل الدهنيات والسكريات بكثرة وكذلك نوع خاص من المربى يحضر من مركبات خاصة بطريقة خاصة يُعرف «بالمفتقة») وبالرغم من أن البحوث العلمية أثبتت أن السمنة المبالغ فيها تضر بالجسم وتجعله عرضة للأمراض ، أما الآن فإن معايير جمال الجسم عند بعض الاوساط كالمتفرنجات والسيدات الموظفات وبنات المدارس قد تغيرت وأصبحت ترى

الجمال فى الرشاقة ، فقد شاع مسألة الإمتناع عن بعض المأكولات أو السير فى نظام فى الأكل ونوعه *Régime* وممارسة الرياضة البدنية ، وكل هذا للحصول على «القالب» أو «الكسم» اللائق الذى تقدره الجماعة وتُغرم به (1) .

كما نجد كثير من العادات المرتبطة بالأكل والشرب والملبس تختلف فى الانماط المجتمعية المختلفة ومرد ذلك التباين الثقافى وتأثيرها على إقبال الناس على عادات معينة دون أخرى ومن هذه العادات إقبال البدو على شرب الشاى عدة مرات متتالية وبكمية سكر إضافية ، ويكون الشاى ثقيل وهذا له مدار على الصحة العامة للبدو خصوصاً وقد أثبتت البحوث الحديثة أن السم الأبيض هو تناول المأكولات والمشروبات بكميات إضافية من السكر والملح ، كما يميل البدو إلى أكل اللحوم الدسمة وإستخدام التوابل بكثرة وهذا له تأثير خطير على الجهاز الهضمى للإنسان ، وتختلف هذه العادات من ثقافة إلى أخرى وبالتالى تأثيرها على شخصية الانسان من الناحية الجسمية .

وهذا يدفعنا للقول بأن ثقافة أى جماعة أو مجتمع هى التى تحدد ميول ورغبات الافراد لبعض أنواع الاكل والشرب والملبس حتى ما كان منها ضاراً بالجسم أو لا يفيده الفائدة المرجوة ، ولهذا نجد تمايز وتغاير فى العادات والتقاليد المرتبطة بهذه الانماط السلوكية فى الثقافات المختلفة وما يكون مرغرياً فى هذا المجتمع بناء على ثقافته قد لا يكون كذلك بالنسبة للمجتمعات الأخرى .

---

(1) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار الوحدة العربية ، 1983 ص 212 .

وهناك عدة أمثلة لتبيان أثر الثقافة على الناحية الجسمية لشخصية الفرد ، ففى مصر نشرب الماء وفى فرنسا وسويسرا يشربن النبيذ وفى ألمانيا يشربون البيرة وفى فنلندا يشربون اللبن .. إلخ . وكذلك حب الناس فى المدن للرغيف الأبيض برغم نقصه لڤيتامين (B) الذى يكون موجوداً بوفرة فى الرغيف الأسمر ، ومع ذلك يفضل الناس أكل الرغيف الأبيض ، وحب إستخدام السمن البلدى عن السمن الصناعى خصوصاً فى المجتمعات المحلية الريفية ، وكثيراً ما تملى الثقافة طريقة الطهو نفسه فى المجتمع ، فنجد فى إنجلترا الطريقة الشائعة فى الطهى هى المسلوق بينما فى مصر يغرمون "بالتسبيك" بالسمن والطماطم [1] .

٢) أثر الثقافة فى الناحية العقلية:

مما لاشك فيه أن الثقافة تؤثر فى الناحية العقلية للشخصية خصوصاً الناحية المعرفية الفكرية ، حيث نجد أن الفرد الذى يعيش فى جماعة تسود فى ثقافتها العقائد الدينية أو الأفكار السحرية تنشأ عقليته وأفكاره متأثرة بذلك ، وكذلك فكرة الله وصلته بالمخلوقات ، وما يترتب عليها من مذاهب دينية ، تتباين أشد التباين فى الجماعات المختلفة ، فالمعتقدات التى تسود فى مجتمع هندى أو صينى غير تلك التى تعتنقها الجماعة الأمريكية أو المصرية فعلى سبيل المثال يعتقد أهل قبيلة "نوڤاهو" *Navaho* من قبائل الأريزونا الأمريكية أن وسط العالم فى جبال "نافاهو" وهى منطقة بركانية ، وأن الآلهة تسكن هذه البراكين ، كما يعتقدون بأن العالم مشبع بقوى خفية يمكن للإنسان أن يغير فيها بعض

(١) سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

الشيء ، ولكنه على العموم خاضع لها ، وينظر الواحد منهم إلى القرابة على أنها قوة تؤدى إلى تثبيت نظام الكون ، لأن القوى الأخرى إذا سببت له الشقاء ، فإن الأقارب سيعملون على تخفيفه .. إلخ [1] .

ويدلنا التراث الاجتماعي أن غرس الأفكار عند الطفل يتم سواء في المجتمع البدائى أو المتحضر عن طريق الأسرة ومن خلال عمليتى التنشئة الإجتماعية والتنشئة الثقافية ، وهنا تلعب الأسرة فى المجتمع التقليدى دوراً هاماً فى تلك العملية وهى بهذا تقوم بمساندة التركيب الإجتماعى وتدعيمه ، أما فى المجتمع المتحضر فتشترك المدرسة مع الأسرة فى غرس الأفكار وتشكيل العقليات بالإضافة للوسائط التربوية الأخرى كالإذاعة والتليفزيون والمجلات والجرائد والثقافة المحلية وجماعة الرفاق .. إلخ .

ولقد أنشئت فى الشعوب الإشتراكية منظمات خاصة خارج المدرسة لإستثارة الخيال وغرس الأفكار الجديدة فى الشبان مثل "الشباب الشيوعى" فى روسيا ، "وشباب هتلر" فى أواخر عهد ألمانيا النازية تأكد و"باليلا" و "أفانجارديتى" فى أوائل عهد إيطاليا الفاشية .

وقد ذهبت هذه "التشكيلات الجديدة" فى كل من إيطاليا وألمانيا مع الريح بعد هزيمتها العسكرية ، ولكن الرقابة التربوية المحكمة فى الماضى القريب أدت إلى النتائج التى كانت مرغوباً فيها بدليل ما يلاحظ اليوم من التشبث بالقيم الفاشية بين الشباب الذين نشأوا فى ظل هذه النظم ، كما أن روسيا غرست فى شبابها لمة ثلاثين عاماً تقريباً مبادئ الحزب الإشتراكى

---

(١) حسن شحاتة سعفان ، أسس علم الإجتماع ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٠٣ .

حتى إنتهى الأمر بأن تحظى جميع القيم الحكومية بالقبول العام وأن تنعم البلاد بإستقرار نسبى فى تركيبها الإجتماعى بأسره [١] .

كما يدلنا التراث الأنثروبولوجى قديماً وحديثاً كيف أن الثقافة تلعب دوراً بالغ الأهمية فى تقديم تفسيرات لطبيعة الكون وكيف أن الثقافة تغرس الأفكار والقيم والمبادئ الخاصة بكل نمط مجتمعى على حدة فى تواصل عبر الأجيال عن طريق النقل الشفهى من جيل الكبار إلى جيل الصغار ولهذا نلمس تمايزاً واضحاً فى المعتقدات والأفكار والآمال والقيم السائدة بين أبناء كل نمط مجتمعى من نمط على حدة .

٣) أثر الثقافة فى الناحية المزاجية:

مما هو جدير بالذكر أن التكوين المزاجى كالتكوين الجسمى وكالقدرات العقلية المعرفية يعتبر من المواد الخام التى يتكون على أساسها الخلق وأساليب السلوك ، وتتضمن الناحية المزاجية *Tempermental* تلك الإستعدادات الثابتة نسبياً المبنية على ما لدى الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع التى يزود بها من بداية طفولته والتى تعتمد على التكوين الكيميائى والغدى والدموى ، وتتصل إتصالاً وثيقاً بالنواحى الفسيولوجية والعصبية ، وينبئنا علم النفس بأن بعض الناس يولدون بكمية كبيرة من الطاقة الإنفعالية وبعضهم يرثون كمية قليلة من هذه الطاقة فالشخص ذو الطاقة الإنفعالية الكبيرة يتميز بقوة إنفعالاته وعنفها بصفة عامة ، ولذلك يصعب عليه كبح جماحها لشدتها وثقل قدرته على

---

(١) ماكيفر وبيج ، المجتمع ، ترجمة الدكتور على أحمد عيسى ، مكتبة النهة المصرية ، القاهرة ص ٢٨٨ .

السيطرة عليها فتظهر عليه علامات القلق وعدم الثبات وعدم الإستقرار المزاجى ، أما الشخص ذو الطاقة الإنفعالية المحدودة فيتصف بالخمول والبرود والبلادة المزاجية ونجد إنفعالاته بطيئة الإستثارة مشوبة بالوهن والضعف وهناك بين هذين النقيضين درجات كبيرة متفاوتة فى الإعتدال والشدة ، وقد يفهم من هذا أن قوة الإنفعال أو ضعفه تتوقف كلية على الناحية البيولوچية الموروثة [١] .

إلا أن الدراسات الأنثروبولوچية التى سبق ذكرها (مثل دراسة روث بندكت ، ومارجريت ميد ، ورالف لينتون ، وهوينجمان ، وسيلجمان وغيرهم) قد أثبتت أن العوامل الوراثية لا تقوم وحدها بالتأثير على الحالة المزاجية للشخص وإنفعالاته وإنما تلعب الثقافة هى الأخرى دوراً هاماً فى التأثير على الجانب الإنفعالى والعاطفى أى الحالة المزاجية بصفة عامة .

وتذهب مارجريت ميد فى كتابها *Sex and Temperament* ، حيث درست قبيلة "أرابش" إلى أن البيئة الإجتماعية تتفاعل مع الثقافة فى تشكيل الحالة المزاجية للشخص ، فقد نجد شخصاً قد ورث فى تكوينه البيولوچى عوامل تدعوه إلى الغضب وسرعة الإعتداء والمقاتلة ، ولكنه ولد فى ثقافة لا تحبذ هذه الصفة فى أفرادها . وهنا تلعب التنشئة الإجتماعية دوراً هاماً فى تعديل ميول الفرد العدوانى ويصبح مسالماً وديعاً ينفر من النزاع ولا يميل إلى المقاتلة كأفراد قبيلة "أرابش" [٢] .

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة الشخصية ، بحث فى علم الإجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(2) See : Mead, M. Sex and Temperament, Routledge nd sons, London, 1963, p.p. 18 24

ونود أن نؤكد هنا على حقيقة هامة وهى أن الثقافة لا تغير من طبيعة الإنفعالات فى حد ذاتها ، بل أنها تغير فى أساليب وإنماط التعبير عنها وتحديد المواقف والظروف المختلفة التى تظهر فيها تلك الأنماط السلوكية وإتجاهاتها ومعدلاتها ومداها ووضع الأساليب المختلفة لمواجهة مثل هذه المواقف .

وبناء عليه تختلف الإنفعالات وأنماطها من ثقافة إلى أخرى وهذا مرده الخبرات التى يمر بها الفرد والمحيط الثقافى الذى يحيا من خلاله ويوجهه عبر المضامين الثقافية والصيغ الثقافية التى يتضمنها هذا المحيط ونضيف إلى ذلك عملية التربية بمفهومها الأنثروبولوچى الواسع سواء عن طريق التربية الرسمية أو التربية غير الرسمية .

ويذهب إجبرن ونيمكوف فى كتابهما "علم الإجتماع" إلى أن الثقافة تلعب دوراً إجبارياً وإلزامياً فى تكوين أنماط سلوكية خاصة بالإنفعالات وإختلافها من نمط مجتمعى إلى آخر ، وأن الثقافة لها أثراً كبيراً فى تشكيل الصفات المزاجية ومن ثم فلا تكون تلك الصفات نظرية وطبيعية بصورة محضة ويدللا على ذلك بأن سكان جزر الأندمان يذرفون الدموع عندما يتقابل الأصدقاء بعد غياب ، أو عندما يتصافح فريقان متحاربان ، ونجد أن اليابانى يرد على تعنيف رئيسه له بإبتسامة ، وبالقطع نجد فى هذا الصدد إختلافاً واضحاً فى تلك الأنماط السلوكية وفى نفس المواقف فيتعانق المصريون ويقبلون بعضهما عند اللقاء بعد غياب ذكوراً أو إناثاً ، فى حين فى الجماهيرية الليبية قد يتعانق الرجال دون تقبيل وفى أغلب الأحوال يتصافحون بشدة مع تبادل عبارات التحية والسؤال عن الأهل والأصدقاء ، إلا أن النسوة يتعانقن ويقبلون بعضهن بعد غياب أو حتى

عند اللقاء على فترات قصيرة .

وهنا نلمس الدور الهام التنشئته الإجتماعية والثقافية من خلال الأنماط السلوكية المرتبطة بإنفعالات الفرد والتى يتلقنها عبر الأجيال الكبرى بالنقل الشفهى وتنمو وتتأصل معه وتؤثر فى شخصيته إلى حد بعيد .

٤) أثر الثقافة من الناحية الخلقية :

مما لاشك فيه أن هناك إمتزاج وتداخل بين عناصر الشخصية الجسمية والعقلية والمزاجية . وكذلك الخلقية ومما سنرى بعد قليل ، ورذا كانت الصفات المزاجية والعقلية هى بمثابة المواد الخام التى رتبها عليها الصفات الخلقية والتى هى زقرب للتأثر بعوامل البيئة والمحيط الإجتماعى والثقافى ، وبناء عليه نجد الصفات الخلقية (كالتعاون والأنانية، الصدق والكذب ، والأمانة والخيانة ، الرحمة والغلظة ، الحب والبغض، العدل والظلم ، الكرم والبخل ، التسامح والتعصب إلخ) هى المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية والجسمية مع العوامل الطبيعية والبيئة الإجتماعية والثقافية .

وهذ يعنى أن كل ثقافة يسرى فيها تيار أخلاقى خاص ينساق فيه الفرد متأثراً بالمعايير الاخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز ، والمعايير امور نسبية تختلف فى معناها وحدودها من جتمع إلى آخر ولذلك فالجنوح عن صراط تلك المعايير أمر نسبى والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير

---

(1) Ogburn and Ncumokoff, Soiaology, H- oughton, miffin, N. y, 1958, p.p. 142 - 145.

وقيم ثقافية أخرى [1] .

ويمدنا التراث الانثروبولوچى بالعديد من الأمثلة الميدانية من إختلاف نظرة الشعوب بين بعضها البعض لمختلف الأنماط السلوكية مثل إختلاف طبيعة دور الرجل والمرأة فى الثقافة البدوية والريفية والحضرية ، وإختلاف النظرة إلى قيم الذكور والأنوثة فى تلك الثقافات المختلفة وأثر ذلك على مركز وشخصية الرجل والمرأة فى تلك الانماط المجتمعية ، كما يمدنا هذا التراث بإختلاف عملية التنشئة الاجتماعية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف الأساليب والأدوات المستخدمة فى تلك العملية وإختلاف الأشخاص القائمين على التربية والتنشئة فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وبهذا توصل الأنثروبولوچيون إلى أن عوامل الفطرة والوراثة لا تكفى لتفسير السلوك الإنسانى وشخصية الفرد كما كان يذهب علماء النفس وإنما ترجع إلى حد كبير إلى جانب العوامل السابقة إلى عامل المحيط الاجتماعى والثقافى .

ونخلص مما سبق إلى عدة حقائق نذكرها فى إيجاز شديد فى النقاط التالية :

* هناك إتفاق شبه عام بين العلماء المعاصرين على أن شخصية الفرد بجميع نواحيها وكلياتها وجزئياتها نتيجة للتفاعل المستمر بين عوامل الوراثة وعوامل البيئة ، وبات لا يمكن إعتبار أى نشاط إنسانى فطرياً بحتاً أو أى نشاط يقال عنه أنه مكتسب ، فنجد أن عمليات التنفس والإفرازات الداخلية والهضم برغم أنها عوامل فسيولوچية فى الإنسان إلا

---

(١) سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

أنها تتأثر بكثير من عوامل البيئة المحيطة بالإنسان كعوامل التهوية ونظام التغذية والأحاسيس والمشاعر التى يشعر بها الفرد كمشاعر الخوف والقلق والإطمئنان والرغبة فى الحياة والإقبال عليها من دونه ... الخ . وبناء عليه نجد أن التكوين النفسى للإنسان يتأثر ويختلف بحسب البيئة التى يعيش فيها .

* تعد مكونات الشخصية ذات مرونة نسبية ، حيث أن البيئة لا تؤثر بدرجة واحدة فى عناصر التكوين النفسى للشخص ، فنجد بعض السمات والصفات ثابتة نسبياً ، ولا يمكن أن تغيرها البيئة الا فى حدود ضيقة ، فلا يمكن للبيئة أن تغير لون البشرة من الأسود إلى الأصفر أو تزيد من ذكاء الفرد أو تقلل فيه إلا فى حدود ضيقة وبعد عمليات تجريب ومران متكررة ، وبناء عليه فإن الصفات الجسمية والحركية والحسية والمزاجية والذكاء لا يتغير الا فى حدود ضيقة ، بينما نجد كثير من الصفات أو السمات الخلقية والاجتماعية تؤثر فيها البيئة درجة كبيرة كتنمية عاطفة الولاء للوطن والإنتماء والإرتباط بالأرض وتأصيل صفات الأمانة والحب والبعد عن الكره والكذب والنفاق ، وكتنمية القدرات اللغوية والمهنية وإتجاهات المسئولية الجماعية .... الخ . ويمكن القول أن الثقافة تساعد على ظهور أو عدم ظهور المكونات البيولوجية فى قدرات فعلية كما تحدد مدى ودرجة وطريقة ظهورها وبروزها .

* لا شخصية بدون مجتمع حيث أن الشخصية الانسانية لا تنمو وتتطور من الفراغ مستقلة عما حولها ، والفرد لا يصبح شخصاً إلا عن

طريق الحياة الاجتماعية ، فلو عزلنا طفلاً رضيعاً بعد ولادته مباشرة عن جميع العلاقات الإنسانية والاجتماعية لما تكونت له شخصية ولبقى مجرد كائن حى كحالة الطفلة الهندية "كمالا" الطفلة الذئبية ، حالة كسبار هاوزر ، حالة "أنا" [1] الذين عاشوا بمعزل عن الحياة الإجتماعية ومن ثم عاشوا حياتهم ككائنات عضوية ، وهذا ما يؤكد لنا أهمية التنشئة الاجتماعية والثقافية التى تستمر عبر مراحل حياته المختلفة ولا تنتهى إلا بنهاية حياته وقد أشرت لذلك مراراً فى متن البحث .

ونعرض فى العبارات التالية فى إيجاز شديد لأثر الشخصية فى الثقافة ويتضح ذلك فى المعالجة التالية :

ثانيا: أثر الشخصية فى الثقافة:

مما لا شك فيه أن الشخصية تلعب فى التفاعل الاإجتماعى ومن ثم العلاقات الاجتماعية بإتساعها أو ضيقها دور الذات والموضوع معاً وتبعاً لذلك فهى تؤثر وتتأثر بالثقافة إلى حد كبير .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الانسان هو المبدع والمبتكر للثقافة بسماتها المادية واللامادية وهو صائغها ، كما أنه هو ملقنها ومتلقيها ومقتبسها ومعدلها وهو ناقلها وحاميها عبر الاجيال المتلاحقة كإرث إجتماعى يشكل فى النهاية تراث إجتماعى يختلف إختلافاً واضحاً بإختلاف الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، ولنا أن نتصور تبعاً لهذه العمليات كيف أن الشخصية تؤثر فى الثقافة السائدة فى المجتمع .

لمزيد من التفاصيل انظر :

(١) د. سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٠-٢٢٢ .

ويذهب كارل ماركس إلى أن «القوة الانتاجية نتاج الطاقة البشرية العملية ، إلا أن هذه الطاقة ذاتها تتحكم فيها تلك الظروف التى يجد الناس انفسهم موجودين فيها كقوى الانتاج المكتسبة والاشكال الاجتماعية القائمة قبلهم ، والتى لم يخلقوها هم أنفسهم ، وإنما هى نتاج لجيل سابق ، ذلك أن كل جيل لاحق يجد فى حوزته القوى الانتاجية التى تخدمه بوصفها المادة الخام لإنتاج جديد وأن تاريخ الانسانية هو فى جوهر تاريخها منذ أن بدأت القوة الانتاجية للإنسان ، وبالتالى فعلاقاته الاجتماعية تصبح أكثر نمواً وتطوراً ، وبناء عليه فإن الإنسان عبارة عن مجموعة علاقات اجتماعية وهو نتاج أشكال اجتماعية معينة وهو يتغير بفعل تأثير التغير الذى يطرأ على العلاقات الاجتماعية ، إلا أن العلاقات الاجتماعية والاشكال الاجتماعية للتفاعل الاجتماعى تتغير بدورها بفعل النشاط البشرى» [١] .

كما يؤكد "ماركس وانجلز" أن الناس يصنعون تاريخهم بأنفسهم لكن ذلك لا يحدث بعد بإرادة جماعية ، أو وفق خطة جماعية ، أو حتى فى مجتمع محدد معين ، إن رغباتهم تتطاحن ولهذا السبب عينه تحكم مثل هذه السلطة ، كما أن الضرورة نفسها تستبعد كل صدفة وهى فى نهاية المطاف الضرورة الاقتصادية [٢] .

وبناء عليه فإن الإنسان من خلال نشاطه المادى والمعنوى يخلق ظروف حياته الذاتية والحياة الاجتماعية معاً ، كما أن الافعال الاجتماعية للناس

لمزيد من التفاصيل أنظر :

(١) ج. اوسيبوف ، قضايا علم الاجتماع ، ترجمة سمير نعيم وفرج أحمد فرج ، ار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص.ص ٢٢-٢٣ .

(٢) سامية الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص.ص ٢٣١-٢٣٢ .

تلتحم بنسيج النظام الاجتماعى ، ويشكلان معاً موضوع لهذا التفاعل ومدراً له فى آن واحد ولذا فإن دراسة النظام الاجتماعى والثقافى تقتضى بحث العوامل الذاتية والموضوعية وعلاقات الموقف الاجتماعى المعين والشخصيات الفعلية وأفكارهم وتصوراتهم لوضعهم وأن الوضع الموضوعى فى كليته (١) .

وفى إيجاز شديد يمكن القول أن العلماء الغربيين والامريكيين يؤكدون دائماً على تأثير الثقافة على الشخصية بينما العلماء الماركسيين والراديكاليين يبرزون تأثير الشخصية على الثقافة ، بل أنهم ينتقدون هذه الاتجاهات الثقافية الغربية التى تهدف إلى إبقاء الحال على ما هو عليه ، وأعتقد أنه ومن منطلق أن الوجود حقيقة ذات ثلاثة أبعاد هى المجتمع والثقافة والشخصية ونظراً للتأثير بين الشخصية والثقافة ، وأنه لا شخصية بدون مجتمع ولا مجتمع بدون ثقافة ولا ثقافة بدون مجتمع ، نلمس من هذا كله مدى الترابط بين الثقافة والشخصية والتأثير فيما بينهما من خلال نسيج إجتماعى يتفاوت ويختلف بإختلاف الأنماط المجتمعية وكما سيتضح من المعالجة الميدانية فى الفصول التالية لعناصر التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة البدوية والقروية والحضرية.

---

(١) سامية الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .

الفصل الأول

التكوين الجسمي للمسنين في الثقافات المختلفة

وتتلخص مظاهر التكوين الجسمي للمسنين فيما يلي :-

١ - ضعف الجهاز العضلي الذي يسبب تراخياً في النشاط الحركي حيث يفقد الدقة والمهارة والاتزان بعد ان كانت متوافرة في المراحل التكوينية السابقة ويرجع ذلك لضمور الخصيتين (في الشباب تزيد عن ٥٠ جم وبينما في الشيوخ ٢٠ - ٢٥ جم) وبما انها تقوم بافراز هرمون النمو (GH) الذي من شأنه نمو العضلات والعظام .

٢ - الاجهزة الداخلية يصيبها الوهن حيث يتسرب الضعف الى القلب والشرايين وهذا ناتج عن ترسب الدهون بنسبة عالية في الدم وعلى جدار الاوعية الدموية مما ينتج عنه ترسب الدهون واصابة المسن بضغط الدم وتصلب الشرايين التاجية والذبحة الصدرية وتعرضة اكثر من غيره لحالات النزيف والمثال الاكثر شيوعاً لهذا هو نزيف المخ وما يتبعه من شلل ونتيجة لضعف الدورة الدموية فإن جسم المسن يكون غير قادر على التعامل مع درجات الحرارة المتغيرة وبالتالي فإنها تؤثر على درجة حرارته بعكس الشباب ويمكن ارجاع هذه الظاهرة ايضاً الى انخفاض عملية الميتابولزم وضمور العضلات .

٣ - ضعف الجهاز الهضمي لنقص مادة الكالسيوم فيه ، فتتقوس القامة وتضعف الرجلان عن حمل الجسم وتتساقط الاسنان ونلاحظ ان الكسر بطئ الانجبار لدى المسنين بينما هو سريع لدى المواليد والاطفال ويلاحظ ايضاً ارتفاع نسبة الاصابة بالآلام الروماتيزمية .

٤ - ضعف الحواس عموماً مما يصعب على المسن الاتصال الكامل بما يجرى من حوله وما يقوم به من أشياء وأشخاص ويتضح ذلك من الفقدان التدريجي لحدة الابصار وظهور مرض المياه البيضاء نتيجة كبر السن (Cataract) وإحتمال حدوث مرض إرتفاع ضغط العين Glucoma وكذلك احتمال حدوث مرض اصابة المسن بمرض البول السكرى ونجد أن مضاعفات هذا المرض اللعين على العين تتمثل فى صورة نزيف متكرر بالشبكية ، انفصال شبكى ، وتتمثل فى النهاية فقدان لحدة البصر.

كما يحدث انحدار فى حدة السمع لدى المسن نتيجة ظروف بيئية كعمل المسن لفترة طويلة فى ضوضاء ، وأيضاً لتصلب عظيمات الأذن الداخلية المسئولة عن السمع .

٥ - ضعف فى الجهاز العصبى وضعف فى السيطرة الارادية على نشاطه مما يجعل المسن عرضة للوقوع والتعثر فى المشى وفى حمل الأشياء وتصاب يداه فى أغلب الأحوال بالرعشة واللون الأزرق أما القدمين فتصاب بالتورم نتيجة تخزن السوائل وغالباً ما يصاحب هذا التورم وجود دوالى بالساقين ، كما يحدث فقدان الذاكرة وعدم التركيز واضطراب النوم واليقظة وعدم القدرة على التصرف الصحيح .

٦ - نقص كفاءة الجهاز الهضمى والكبد ويتمثل ذلك فى النقاط التالية :

أ - يحدث انخفاض ملحوظ فى كمية افراز اللعاب وقدرته الهضمية الى ما يتراوح من ١٠ - ٣٠ ٪ من الطبيعى .

ب - يحدث انخفاض ملحوظ فى افراز المعدة من حامض الهيدروكلوريك

وانزميات الهضم الى ٦٠ ٪ من الحالة الطبيعية عند الشاب ونقص مقدرة المعدة على التفريغ .

جـ - قصور مقدرة الأمعاء على امتصاص المواد الغذائية بنسبة ٥٠ - ٦٠ ٪ ولذا يعانون من نقص فى التغذية .

د - ضعف فى مقدرة الأمعاء الغليظة على التفريغ ونتيجة لذلك حدوث الامساك بكثرة بين المسنين .

هـ - يقل افراز البنكرياس عند المسنين وهذا يقلل بلا شك المقدرة على الهضم وهذا يؤدى الى نقص فى التغذية أيضاً .

و - يقل حجم الكبد ووزنه الى ثلثى الحالة الطبيعية وهذا لا يؤثر على حياة المسن لأن المقدرة الاجتماعية للكبد من الناحية الوظيفية عالية وكذلك الحال بالنسبة للكلى .

وأثبتت الدراسات بأن نسبة الالتهابات بكيس المرارة ووجود الحصوات بها عكس ما كان يعتقد لأنها تكثر فى المسنين .

٧ - الجهاز التنفسى ، ويصاب المسن بضيق التنفس الذى يصاحب أى مجهود ولو كان بسيطاً والكحة الجافة (السعال) وهذا الضيق فى التنفس سببه انخفاض مقدرة الرئتين على القيام بوظائفها وهى تنقية الدم من ثانى أكسيد الكربون ومده بالاكسجين وذلك بسبب التغيرات التى تحدث بها وبالقفص الصدرى بسبب الشيخوخة .

٨ - تتكاثر الأمراض وتتوالى لقلة المناعة الجسدية وضعف الغذاء ، وقد تكون الأمراض متوافرة لدى الفرد فى شبابه ولكن قوته الجسمية فى

شبابه تمنع سيطرة المرض ، فيظل المرض كامناً قابعاً والجرثوم دفيناً ينتظر فاذا ضعف الجسم ووهنت قواه استأنف الجرثوم نشاطه الفتاك حين سنحت له الفرصة .

٩ - الشيخوخة تعد زمن التقاعد الجسمى والاحالة على المعاش للراحة الجسمية [١] .

وتبين ان هذا التكوين الجسمى والضعف العام بالنسبة للتكوين الجسمى للمسن فى الثقافات المختلفة يتفاوت فيما بينها ، فهو يتمتع فى المجتمع البدوى حتى فترة متقدمة من العمر بقوة جسدية وصحة وقوة فى السيطرة الارادية وقدرة على المشى لمسافات طويلة ، كما يتمتع بقوة الابصار ولمسافات طويلة وبقاء الأسنان لسن متقدم للغاية وقدرة على تناول الأطعمة الدسمة تفوق قدرة الشباب فى ذلك ، ويأكل من نفس الأطعمة التى تقدم الى كل الفئات العمرية حيث يتناوله معهم ولا يقعد المسن البدوى عن السعى والذهاب هنا وهناك عبر تلك المساحات الشاسعة سوى المرض العضال ويقترب من هذه المواصفات فى التكوين الجسمى المسن فى المجتمع القروى الى حد كبير ولكن يظهر الضعف فى مختلف نواحى التكوين الجسمى للغالبية العظمى من المسنين فى المجتمع الحضرى وهذا مرده عدة أسباب نجمل أهمها من واقع الخبرة الميدانية على النحو التالى :

١ - اختلاف ظروف البيئة الطبيعية التى يحياها المسن فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة واختلاف طبيعة الاحوال الجوية والظروف المناخية فى كل

انظر

١ - عصام فكرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٣ - ٢٨ .

٢ - عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

نمط مجتمعى على حدة ومشاكل التلوث البيئى مثل تلوث الهواء من عادم السيارات ومخلفات المصانع وتلوث المياه .

٢ - إختلاف العادات الغذائية للمسنين فى تلك الثقافات المختلفة وهذا له أثره البالغ الاهمية على التكوين الجسمى وما يتبع ذلك من مضاعفات عامة فى الصحة العامة وتفاوتها بين المسنين فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة .

٣ - اختلاف طبيعة الاعمال التى يقوم بها المسنون فى الثقافات المختلفة أو الأعمال التى تحتاج الى جهد عضلى عكس نظيره فى المجتمع القروى والحضرى على السواء .

٤ - عدم وجود تمايز أو تقسيم عمل حقيقى بين المسنين فى المجتمع البدوى فى حين نجد ذلك واضحاً الى حد ما فى المجتمع القروى وواضحاً بصورة جلية فى المجتمع الحضرى ، وهذا مرده غلبه المعايير الموضوعية (الشهادة - الخبرة - الكفاءة - التدريب) على المعايير الذاتية (الجنس - الطبقة - العمر) فى تقسيم العمل فى حين نجد نقيض ذلك تماماً فى المجتمع البدوى والى حد كبير فى المجتمع القروى .

٥ - ميل البدوى الى البساطة والحياة فى هدوء والبعد عن المشاكل وضوضاء المدينة والحضارة وحبه للعزلة والخلو الى النفس ، هذا جعله لا يتحمل ضغوطاً نفسية وعصبية تؤثر على التكوين الجسمى والعصبى كما نجد المسن القروى يتمتع الى حد ما بهذه النواحى ، فى حين نجد هذا الوضع مختلفاً تماماً للمسن فى المجتمع الحضرى الذى يعيش عصر الاله عصر التطور ، هذا فضلاً عن تغير الحياة من حوله فى كل لحظة استقرارية الحياة الى حد كبير للغاية فى المجتمع البدوى والى حد ما فى المجتمع القروى .

٦ - عدم وجود سن معين للدخول الى الحياة العملية أو الخروج منها فى المجتمع البدوى وكذلك الحال فى المجتمع القروى الى حد كبير ونجد عكس ذلك تماما فى المجتمع الحضرى الذى يرتبط الفرد فيه بسن دخول الي الحياة العملية وسن خروج منها مما جعل المسن فى تلك الانماط التقليدية مقبلاً على الحياة ، جسده مفعم بالحيوية والقدرة على الحركة والتفاعل مع الحياة الاجتماعية ، عكس المسن فى المجتمع الحضرى الذى بات يفقد مكانته وهيبته داخل الاسرة فى أغلب الاحوال وتماما خارج الاسرة مما يجعله غير مقبل على الحياة وينتظر قرب النهاية وهذا كله له أثره الواضح فى التكوين الجسمى والنفسى والصحة العامة للمسن فى تلك الثقافات المختلفة .

ويمكن تحديد مطالب الشيخوخة فى هذه المرحلة العمرية فيما يلى :

١ - راحة جسمية والتقاعد فى الاعمال التى تتطلب جهدا بدنيا وذلك لضعفه الجسمى والحركى .

٢ - راحة نفسية وإستقرار عاطفى ، فالانفعال الشديد والازمات النفسية لها آثارها السيئة فى زيادة الضغط وضعف القلب .

٣ - رعاية صحية وغذائية ، وذلك لكثرة تناوب الامراض على المسن وضعف مقاومته ومناعته .

٤ - حياة إجتماعية حافلة مع الأهل ومع أنداد العمر ، بحيث يشعر معها المسن أنه ذو قيمة وأنه لايزال ذا نفع ومكانه فى حياة جماعته ، وينبغى مساعدته على تنمية هوايات منزلية هادئة بعيداً عن إجترار الهموم ، وإنتظار ساعة الخلاص .

٥ - تأمين مورد مالى أو ضمان إقتصادى لتوفير حاجاته الضرورية على الاقل فى الغذاء والدواء والكساء والمأوى .

وتعد رعاية الشيخوخة واجباً قومياً وإنسانياً ، كما أنها ضرورة حيوية من أجل التنمية ولكن يجب الإهتمام ببعض العوامل التالية والتي لها أثر كبير فى أداء هذه الرسالة النبيلة وهى :

١ - الاستقرار العاطفى ، والهدوء الانفعالى .

٢ - البيئة المواتية خاصة الهواء النقى .

٣ - الطعام الصحى المتوازن .

٤ - روابط عائلية قوية .

٥ - حياة إجتماعية ثابتة .

٦ - مزاج متزن (١) .

ولمست فى هذا الصدد كيف أن رعاية المجتمع البدوي للمسنين من الجنسين وتبجيلهم عن طريق الطبقات العمرية المختلفة قد أدى رسالة نبيلة نحو كبار السن وذلك بما تتيحه البيئة الطبيعية وحياة الخلاء والظروف والأحوال المناخية المعتدلة والهواء النقي والطعام البسيط الصحي الذى يعتمد فى أغلبه على اللحوم المسلوقة والارز وكذلك ما يحاط به كبار السن داخل دائرة القرابة وخارجها من إستقرار عاطفى وهدوء إنفعالى والتواصل والتفاعل والتراحم بين الأجيال المختلفة وهذا كله جعل الروابط القرابية وغير

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

القرابية التي يحاط بها كبار السن قوية وعميقة ولها من الأهمية بمكان فى جعل حياتهم الإجتماعية أكثر أماناً وراحة وإستقراراً خاصة وأن دقة الأمور الإقتصادية والسياسية والإجتماعية لا تبارح أيديهم إلا عند المرض العضال ولهذا فهو دائماً له دوره الهام فى إتخاذ القرار على الصعيد المجتمعى .

إلا أن هذه الظروف والملابسات قد يتمتع بها المسنون الى حد كبير فى المجتمع القروى خاصة فى العائلات الممتدة أو من يمتلكون الجاه والثروة وهؤلاء يحاطون بسياج إجتماعى قوى وحياة إجماعية ثابتة وإستقرار عاطفي وهدوء إنفعالى لا يتمتع به المسنون الذين إنفصل عنهم أبنائهم وأحفادهم وكونوا أسر نووية وكذلك الذين ليس لديهم إمكانيات مادية تكفى مطالبهم .

كما أن هذه العوامل لا توجد فى أغلب الأحوال فى المجتمع الحضرى حيث يعاني أغلبية المسنون خاصة غير القادرين مادياً وصحياً من عدم الإستقرار العاطفى والهدوء الإنفعالى والطعام الصحي المتوازن وكذلك الروابط العائلية القوية وكذلك الحياة الاجتماعية المستقرة ممايوثر علي حياتهم النفسية كما أن ظروف الحياة الحضرية وصعوبة الظروف البيئية والاحوال المناخية المتأثرة بطبيعة الحياة الحضرية ومظاهرها وآثارها السلبية لها أثر كبير للغاية على الحالة الجسمية والنفسية للمسنين فى ذلك النمط المجتمعى ويتوج تلك الظروف الصعبة فتور فى التواصل والتراحم والتفاعل الاجتماعى بين الأجيال المختلفة وإن حدث يكون فى أغلب الأحوال بدوافع المصلحة والمنفعة وليس بدوافع نبيلة

الفصل الثاني

التكوين الانفعالى للمسنين فى الثقافات المختلفة

تتميز الشيخوخة بهدوء إنفعالى عام ينسجم مع هدونه الجسمى ، ويكون الفرد كلما تقدم به العمر أقدر على كبح جماح إنفعالاته المتطرفة أو التى يكرهها الناس ، فلديه من تجارب الحياة وإشتعال الشيب فى رأسه خير وازع فى كثير من مواقف حياته الراهنة ، مما يحبب له الوحدة والعزلة ليعيش مع أيامه الغابرة وذكرياته الحلوة والمريرة (١) .

وتبين أن هذا الهدوء الانفعالى يختلف من نمط مجتمعى الى آخر ، حيث يتميز المسن فى المجتمع البدوى بهدوء إنفعالى عام يلازمه خلال مراحل حياته السابقة ، وهذا مرده الظروف البيئية والجوية التى تجعله ينشأ فى بيئة أكثر بساطة وهدوءاً ، ولا يختلف الحال كثيراً فى المجتمع القروى ، فى حين نجد أن هذا الهدوء الانفعالى قد تحطمه فى أحوال كثيرة مظاهر الحضارة والتكنولوجيا التى تحيط بالمسن فى المجتمع الحضرى سواء داخل الاسرة أو خارجها بل وعلى مستوى المجتمع ككل ، مما يؤثر على تكوينه الانفعالى ويجعله أكثر عصبية وتوتر ويعيش فى صراع لا يعانى منه قرينيه فى المجتمع البدوى والقروى على السواء.

وتتمثل أهم خصائص التكوين الإنفعالى للشيخوخة فى النقاط التالية :

١ - الاحساس بالانجاز والاتمام :

من الملاحظ أن المسن يلتفت كثيراً الى الماضى ويستعرض ذكرياته فى

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ص٢٥٢.

كل مناسبة ولهذا الالتفات والاستعراض آثارهما النفسية البعيدة فى حياة الشيخوخة الانفعالية فهما يبعثان الرضى والهدوء حيث يجد الانسان أنه قام بدوره على خير ما يرام ، وأنه كان شيئا يذكر ، وأنه حين سيترك الدنيا فقد حقق أموراً جليلة ، ولو أنها كانت أقل مما كان يتوق إليه .

كما أن شعور المسن أنه أنجز أعمالا باهرة ، وأنه قد كافح بعصاميته حتى نال ما نال ، هذا الشعور الذاتى هو الذى يصبح معيناً لا ينضب من السعادة النفسية ، وزاداً لا ينفذ لراحته العاطفية وأن أيامه أيام خير وجيله جيل أعمال ورجال (١) .

وتبين لنا أن المسن فى المجتمع البدوى يحس بالرضا عن حياته السابقة وعن نفسه ويحس بالرضا والقناعة والهدوء ، ويحس المسن فى المجتمع القروى الى حد كبير بهذه الاحاسيس التى يحس بها الى حد بسيط المسن فى المجتمع الحضرى ، وهذا مرده الظروف الطبيعية والاحوال الجوية التى يعيشها المسن فى تلك الانماط المتباينة هذا من ناحية ، ثم إحساس المسن أنه مرغوب فيه ومازال وجوده هاماً فى المجتمع البدوى وكذلك المسن القروى الى حد كبير وعدم توافر هذا الاحساس بالنسبة للمسن فى المجتمع الحضرى هذا من الناحية الثانية ، ثم من الناحية الثالثة التباعد وعدم التواصل الاجتماعى والفكرى والعاطفى الذى يعانى منه المسن فى المجتمع الحضرى خاصة والقروى الى حد بسيط .

كما تبين أن المسن فى المجتمع البدوى يحس تماما بأنه قد قام بدوره وأن كل شىء على ما يرام بالنسبة له وهذا مرده بساطة الحياة البدوية

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ص ٢٥٤ .

والتحديد الواضح والصريح لطبيعة الادوار والمراكز للرجل والمرأة فى المراحل العمرية المختلفة تبعا لمجموعة من المعايير الذاتية الى حد كبير (الجنس - الطبقة - العمر) والمعايير الموضوعية الى حد بسيط ، كما أن دور المسن الاجتماعى والاقتصادى والسياسى يزداد أهمية بتقدمه فى العمر وهذا يجعله لا ينزعج من تقدم العمر ، بل يسعد بوصوله الى مرحلة كبار السن أو العواقل أو كبار القوم وسيكون مسئولا عن عائلته أو قبيلته ولا يقعد المسن فى المجتمع البدوى من أداء دوره المتميز والمتنوع إلا المرض العضال ولا يختلف الوضع إلا بسيطاً فى الاسر الممتدة وأكثر قليلاً فى الأسر النووية فى المجتمع القروى فى حين أن المسن فى المجتمع الحضرى لا يحس بأنه قد أدى دوره على ما يرام خاصة لو تباعد عنه أبناؤه وبناته وأحفاده وأهله وأقاربه وأصدقاؤه ، خاصة بعد بعده عن الاضواء التى كان يحس بها عندما كان يحتل مركزاً معيناً ، وهذا يجعلنى أؤكد أن دور كبار السن يكون بارزاً فى المجتمع الحضرى سواء داخل الاسرة أو خارجها أو على صعيد المجتمع طالما يحتل مركزا مرموقاً أو يحتل وظيفة هامة ، أو ذو ثروة أو من رجال الاعمال الحرة الناجحين على مختلف المستويات ، وفيما عدا ذلك يحس المسن فى المجتمع الحضرى بأن دوره قد إنتهى بوصوله إلى سن التقاعد ، وكذلك بعد إصابته بالامراض نتيجة تدهور أحواله الصحية والنفسية ، وبناء عليه لا يشعر بالسعادة النفسية أو الراحة والاطمئنان والهدوء الانفعالى والرضا عن النفس وعن الآخرين والرغبة فى الحياة والاقبال عليها كقرينية فى المجتمع البدوى الى حد كبير للغاية والقروى الى حد كبير فى الاسر الممتدة والى حد بسيط فى الاسر النووية .

ويرجع ذلك الى صعوبة الحياة فى المجتمع الحضرى بصفة عامة

وإرتفاع مستوى المعيشة وضعف الموارد المالية لغالبية كبار السن ، وعدم التواصل والتفاعل الاجتماعي والنفسي بين الاجيال بعضها البعض ، وعدم التراحم بين الاجيال بعضها البعض وسيادة النزعة المادية فى المجتمع الحضرى وعدم التجانس فى تلك الحياة من جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية كما هو الحال فى طبيعة الحياة فى المجتمع البدوى والقروى .

كما إتضح أن المسن فى المجتمع البدوى راضياً تماما عن الجيل الذى نشأ فيه وعن علاقاته مع أقرانه ، بل يعيش لحظات عمره لحظة بلحظة وينعم بالوقت والحياة البسيطة التى يحياها بعيداً عن الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية التى يعانى منها المسن فى المجتمع الحضرى الى حد كبير والمسن فى المجتمع القروى الى حد بسيط ، لذا قد نجد المسن القروى راضياً الى حد كبير عن علاقاته بأبناء جيله وأصدقائه وأقاربه ويحاول أن يحدث ثمة تواصل بين الاجيال الصغيرة والاجيال الكبيرة ولكنه فى الغالب قد يفشل فى الوقت الحاضر عن ذى قبل بالرغم من أنه فى الماضى كان يصدر أوامر وعليهم التنفيذ ، أما الآن فالترغيب دينياً بصلة الرحم والتراحم ولكن دون جدوى .

ونجد الوضع أكثر سوءاً بالنسبة للمسن فى المجتمع الحضرى خاصة غير القادرين ماديا وأصحاب المعاشات الصغيرة أو الذين قد يحتاجون لرعاية أولادهم ، فالمسن الحضرى هو أساساً يعيش فى عزلة بعد تقلص دوره داخل الاسرة وخارجها وإختفاء علاقات المصلحة والرياء من حوله ، فيعيش غير راض عن جيله وعن نفسه ويظل يسترجع ذكرياته مع نفسه عبر مراحل عمره المختلفة ، فقد كان يرى أبناءه يحتفلون بمجيئه من العمل وشراء إحتياجاتهم وتلبية رغباتهم ويتباهون به وبأناقته أمام زملائهم ويأخذون برأيه ويخافون منه ثم بات الآن لا يعتد برأيه فى أمور هامة من

حياتهم إلا إذا كانوا محتاجين إليه مادياً ، وغالباً ما ينتقدون تصرفاته ولا يحبون الجلوس معه إلا للضرورة ، وبناء عليه يؤثر العزلة والحياة داخل نفسه .

إلا أن المسن فى المجتمع البدوى هو المرشد والمربى للأجيال الاصغر عمراً وهو القدوة وقراراته مطاعة وأوامره لا تناقش وهو صاحب السلطة والسيادة وهو الذى يقرر مصير كل أفراد الاسرة أو العائلة أو القبيلة أو جميع المسئولين منه ولذا لا تجد تنافس أو صراع أو نزاع بين الأجيال بعضها البعض حيث أن هناك تحديد واضح وصارم لطبيعة الادوار والمراكز والحقوق والواجبات التى يجب أن يقوم بها الافراد ويلتزمون بها من مختلف الاعمار والاجناس ، وبناء عليه نجد التلاحم والتواصل والتراحم بين الاجيال بعضها البعض ويكون التفاعل بين الاجيال مبنياً على الاحترام والتبجيل والطاعة والحب والعطف والحنان والحماية وتحقيق الامن والامان والاستقرار لابناء المجتمع البدوى جميعاً .

هذا الوضع كان ولايزال موجوداً وإن كان ناله بعض التغيير فى المجتمع القروى ، فلا يزال فى معظم الاسر الممتدة وبعض الاسر الصغيرة يلعب الكبار دوراً كبيراً ويتفاوت فى الاهمية وبمدى الطاعة والولاء والاخذ بأراء الكبار خاصة لو كانت الثروة لا تزال فى يد المسن ، فنجد القرويين من الاجيال العمرية المختلفة يتقربون الى المسن ويتوددون اليه ولو إنتقدوه لا يكون علنا كما يحدث فى المجتمع الحضرى ، ويحرصون على الاعتراض أثناء عدم تواجده ويرضون بالكثير من قراراته خشية الحرمان من الميراث أو عدم المشاركة فى دفع تكاليف إتمام زواجهم ، وأعتقد أن الحرمان والتواصل والتفاعل فى القرية المصرية بات فى أغلبه مبنياً فى أغلب الاحوال على الإحتياج للمسنين من أجل الثروة الى حد كبير خاصة بعد

تدفق تيار الهجرة من القرية ثم العودة اليها بالمدخرات التى قوضت فى الغالب سلطة الكبار وأدت الى إزدياد هجر القرويين للعمل الزراعى والاعتماد على النفس والاشتغال بمشاريع تبعد عن العمل الزراعى أساساً ، كما أن زيادة الاعتماد على المدينة وسهولة المواصلات وكذلك سهولة الاتصال الثقافى بالعالم الخارجي عن القرية سواء بالاتصال المباشر أو عن طريق الوسائط الاخرى كالاذاعة والتليفزيون والفيديو والجرائد والمجلات مثل هذه الامور أدت إلى إختفاء الدور التربوى والارشادى لكبار السن فى القرية الى حد كبير للغاية وبناء عليه فلقد طغت الوسائط التربوية على الدور الحيوى والهام الذى كانت تلعبه عمليات التربية غير الرسمية المتمثلة فى التنشئة الاجتماعية التى يقوم عليها جيل الكبار من أجل نقل الخبرات والمعارف والعادات والتقاليد الاصيلة الى جيل الصغار والشباب .

وتبين أن المسن فى المجتمع البدوي راضٍ عن كفاحه وعصاميته ويحمد الله دائماً ويبتغى مرضاه الله دائماً ، طموحه فى أن يعيش سعيداً خال الذهن هادىء البال لا يحب الاعمال الشاقة ولا يقبل عليها حتى فى شبابه ، ولا يحب تحديد الرزق ، يرضى بما قسمه الله ، يعيش فى ضوء إمكانياته أو ما يجود به الله عليه ، فنجد بيوت البادية مفتوحة لابناء البادية والغرباء لتناول الطعام والضيافة باستمرار ، عدم ميله للوظائف الحكومية إلا قلة قليلة من المتعلمين فى الاجيال الشابة ويفضلون وظائف التدريس ولقد كان لحياة الحرية التى يحياها البدوى فى مراحل عمره المختلفة دون التقيد بعمل محدد ووقت عمل محدد ورزق محدد أثراً كبيراً فى إتكاليته وطموحه فى حدود قدراته ، لذا عاش طفولته سعيداً وشيخوخته أسعد .

إلا أننا نجد الوضع يختلف الى حد بسيط لرضى القروى عن كفاحه وعصاميته وإنجازه خاصة فى الاسر الممتدة حيث أن المسن يلعب فى هذه

الاسر دوراً هاماً وبارزاً في كثير من الامور التي تهم أعضاء تلك الاسر ،
كما أن المسنين من الموظفين الذين أحيلوا الى المعاش وعادوا للقرية ولهم
أرض يتابعون زراعتها وتكفى مطالبهم ومطالب من هم فى مسئوليتهم
يكونون سعداء ، وعلى العكس تماما الموظفون الذين باعوا معظم ممتلكاتهم
أثناء عملهم الوظيفي وهؤلاء يكونون غير راضين عن أنفسهم وكفاحهم
خاصة لو كان من هم فى مثل أعمارهم من المزراعين يعيشون فى سعادة
ويستثنى من ذلك رجال الاعمال الحرة والمقاولات المسنين الذين لا يخرجون
من الحياة العملية إلا فى حالة المرض العضال أو عدم القدرة على التحرك
بسرعة وفى الغالب ما يوكل أعمالهم الى أبنائهم ويتابعونهم وهؤلاء يعيشون
فى سعادة .

الا أن الوضع نجده مختلف تماماً فى المحتمع الحضرى حيث نجد أن
المسن الذى يعمل بالاعمال الحرة سعيد وراض عن رحلة الكفاح الطويلة
وصبره خلال السنين الطويلة من العناء الى أن حقق هذا الانجاز الذى ينعم
به أولاده ودائماً هذا المسن يميل الى إسداء النصح والارشاد للابناء
والاحفاد عن الرحلة الشاقة وأن ما وصل اليه لم يصل اليه من فراغ وغالباً
ما يستمع الابناء والاحفاد الي المسن خاصة الذين عملوا بالاعمال الحرة
من الابناء والاحفاد ، ونجد المسن الموظف خاصة الشريف المتمسك
بالمبادىء راضياً عن كفاحه وعصاميته وإنجازه بتعليم ابنائه خاصة لو
كانوا حوله او قريبين منه او يترددون عليه للزيارة ، اما اولئك الذين غير
سعداء او راضـين عن كفاحهم خاصة لو كان ملوثاً يبدأون فى إعادة
شريط الذكريات ويندبون حظهم ويندمون وهنا يصدق القول من زرع خيراً
يحصد خيراً ومن زرع شراً يحصد شراً .

كما تبين أن نظرة المسن فى المجتمع البدوى من الجنسين للمستقبل

نظرة تفاؤلية لا يشوبها الخوف أو الحذر او القلق خاصة وان المسن او المسنة فى هذا المجتمع يقبلون على مرحلة الكبر ويسعدون بها نظرة لاحتلالهم مكانة كبيرة بين أفراد المجتمع وأن دورهما يصبح اكثر اهمية كلما تقدم بهم العمر كما أنهم دائماً يذهبون الى ان المستقبل فى علم الغيب وبناء عليه أدت هذه المقومات فى شخصية المسن والمسنة فى المجتمع البدوى الى التفاؤل والاستبشار وعدم الانشغال بالحياة اكثر من اللازم وراضين عن معيشتهما وعن احوالهما فى اى وقت وفى اى مكان ويتناول المسن والمسنة الابناء والاحفاد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وبكل الاساليب المتاحة بالتربية وفقاً للعادات والاعراف البدوية وبما يتواءم مع مقومات الشخصية البدوية بصفة عامة .

إلا ان الوضع يختلف الى حد بسيط فى المجتمع القروى حيث نجد المسن الثرى يخاف من المستقبل خاصة لو كان هناك خلافات بين الأبناء لم يستطع حلها وكذلك أن القروى أكثر طموحاً بصفة عامة عن الرجل البدوى ودائماً يتطلع الى الافضل خاصة بعد موجات الهجرة المتتالية للدول العربية ، وبعد سهولة الاتصال بالمدينة والعالم الخارجى ، وانتشار التعليم واستخدام الميكنة الزراعية الخ من المتغيرات التى دخلت الى القرية المصرية قبل ان تتهيأ الشخصية القروية لمواجهة هذه التغيرات بما يتفق مع ظروفها المجتمعية ، وقد نجد المسن غير راض عن معيشته فى حالة انفصاله عن ابنائه بعد الزواج أو موت زوجته أو عدم وجود ميراث له يساعده على مواجهة متطلبات الحياة المتغيرة فى القرية الآن عن الوقت الماضى ، وتكون نظرة المسن القروى اقل تفاؤلاً من قرينه فى المجتمع البدوى حتى لو كانت فى يده الثروه والعزوه .

الا ان الوضع يختلف تماماً فى المجتمع الحضرى فيما عدا رجال

الاعمال من المسنين واصحاب الورش والاعمال الحره بصفة عامة او اصحاب المعاشات الكبيره ، حيث نجد المسن والمسنة فى المجتمع الحضرى نظرتهم للحياة اكثر تشاؤماً وقد يخلق الزوج المسن والزوجة المسنة بينهما اى خلافات بشأن الاولاد والاحفاد محاولاً كل منهما ارضاء الآخرين على حساب انفسهما خاصة وبعد تقوض دورهما واحساساً منهما بأن دورهم ومركزهم اصبح لاقيمة له ومن ثم ارضاء الابناء والاحفاد ليستمر التواصل ، يستعطفونهم وهم كبار وقد لا يكونون محتاجين لهم مادياً بالرغم من انهم كانوا يتمنون لهم اى للابناء الحياة السعيدة ويجتهدون فى تلبية رغباتهم عندما كانوا صغاراً وكانوا محتاجين لرعاية الآباء والاجداد ، وصدق التراث الاسلامى عندما قال ان الآباء يتمنون ان يطيل عمر الابناء ويبارك فيهم فى حين ان الابناء يتمنون قرب رحيل الآباء ، وبناء عليه يكون المسن والمسنة غير راضين عن معيشتهما واحوالهما ويحسون بذلك اكثر فى حالة المرض الشديد والوحدة والانعزال وجحود الابناء ومن ثم الاحفاد .

٢ - الاحساس بالفشل

ومما هو جدير بالذكر ان إلتفاف المسن الى ماضيه واستغراقه للذكريات قد يؤدى الى الشعور بالكدر والحسره لانه لم يقم بدوره كما كان ينبغى وان الايام عاكسته والظروف قاومته وانه مثلاً كان ضحية لابيه الفقير او زوجته الجاهله او ابنائه او آخرين .

إن هذا الالتفات المرير الى الماضى والذكريات الملحة الاليمة تزيد المسن

فى شيخوخته وهناً على وهن ، وهما فوق هم ، فيندب حظه ويتشاءم من الحياة ومن معاملة الناس ، ويؤكد فى مناسبات متعدده ان تمسكه بالوفاء او الاخلاق او التضحية مثلاً كان السبب المباشر فى تأخيره المالى او الاجتماعى ، وسبباً لتفرق اهله واصحابه عنه ، فتنمو لديه نزعة تشاؤمية انقباضية تؤثر معها الوحدة ويزهد فى الحياة ، مادامت بضاعتها الرائجة الكذب والنفاق الاجتماعى وهو لا يحسن ذلك [1] .

ونجد ان الاحساس بالرضا عن الانجاز او الاحساس بالفشل لا يتعلق موضوعياً بالانجازات العملية والخبرات المريرة ذاتها كماً وكيفاً ، وانما ذلك كله انعكاس لمزاج الفرد الانسانى نفسه الذى يتجلى بوضوح فى أواخر خريف العمر ، فرب عمل قليل تافه انجزه الفرد فعاش على ذكره سعيداً فى شيخوخته ، لانه يراه بعينه ومن زاويته الخاصة تحقيقاً ذاتياً باهراً ، بينما نجد فرد آخر قد حقق فعلاً اعمالاً تذكر ، ولكنه يراها اقل مما كان يهدف اليه فيعيش ساخطاً كئيباً [2] .

وهذا يجعلنى اذهب الى ان اختلاف الرؤية النسبية للاعمال من شخص الى آخر وفقاً للمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يحيا داخله ووفقاً للتكوين النفسى الذى عاشه الفرد خلال مراحل حياته المختلفه والذى يختلف بالطبع من نمط مجتمعى الى آخر وكما سيتضح من المعالجة التالية .

تبين ان المسنين من الجنسين فى المجتمع البدوى لايندمون ابداً على حياتهم ونادراً ماتجد حتى شاب بدوى او فتاة يشكون او يشعرونك بالندم

---

(١) عبد الحميد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، دار المجمع العلمي بجدة ، ١٩٨٠ ص ٢٥٤

(٢) عبد الحميد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥

فدائماً وكما سبق القول لا يحس المسنون والشباب بالندم فى هذا المجتمع بالكدر والحسره والالم ومرد ذلك عدة اسباب نجملها فيما يلى :-

١ - احساس المسن والمسنة فى هذا المجتمع بأهمية دوره واستمراريته وانه مازال مرغوباً فى المجتمع ، مشاركاً فى قراراته بل له الصداره فى اصدار القرارات وتنفيذها .

٢ - التواصل والتفاعل والتلاحم بين الاجيال من الفئات العمرية المبنى على العادات والتقاليد والاعراف البدوية بما يقنن الحقوق والواجبات الملزمة لكل الاجيال تجاه الآخرين .

٣ - بساطة الحياة وسهولتها من جميع النواحى .

٤ - عدم الطموح المادى والادبى الجانح للشخصية البدوية بصفة عامة .

٥ - عدم احساس الشخصية البدوية بالظلم او الجور وفى حالة الظلم او الاعتداء عليها ينال كل انسان حقه وهنا تعيش تلك الشخصية فى امن واستقرار واقبال لا مثيل له على الحياة وتبسيطها الى اقصى حد .

٦ - قضاء جميع المشاكل التى يتعرض لها ابناء المجتمع عن طريق الكبار او المسنين وفقاً للأعراف البدوية وبعيداً عن تعقيدات الحياة سواء فى المجتمع القروى او الحضرى .

ونجد فى ذلك ان المسن او المسنه فى المجتمع القروى فى موضع وسط بين احوال المسنين فى المجتمع البدوى واحوال المسنين فى المجتمع الحضرى فيحس القروى بالندم والحسرة والكدر والالم عندما يبعد عنه اولاده او عندما يستقلون عنه مادياً وعندما يكون محتاجاً لجهدهم واموالهم

ويبخلون عليه وهو من كان بالامس لا يبخل عليهم بشيء وهذا ينطبق الي حد كبير على المسنين فى المجتمع الحضرى ولكن بصورة اكثر ، حيث نجد ان المسنين فى المجتمع الحضرى اكثر عزلة واكثر احساساً بالتشاؤم وعدم الاقبال على الحياة فيما عدا كثير من الفئات القادرة حيث قد يعانى المسنون فى المجتمع الحضرى من الوحدة برغم وجود الامكانيات او يحسون بأن من يدخلون معهم فى علاقات خاصة اهلهم وابنائهم للمصلحة او المنفعة المادية فقط فى أغلب الاحوال .

ولا يحس البدوى بأى حال من الاحوال بأنه ضحية ظروف او ضحية اسرة حيث ان دوره ومركزه محدد ووضعه سواء اكان ذكراً او انثى محدداً ومتدرجاً طوال مراحل حياته العمرية كما انه راضٍ عن مركزه المادى طوال مراحل حياته العمرية فالذى يهم الشخصية البدوية فى اى مرحلة عمرية هى ان تلبى حاجاته واحتياجاته فى ضوء ظروف اسرته او عائلته ولا يمكنه او يستطيع التمرد بأى حال من الاحوال ، ودائماً المسنون فى المجتمع البدوى لا يشعرون بانهم ضحوا من أجل الاخرين او انهم يتعبون من اجل اسعاد الآخرين ، حيث نجد ان هذا المجتمع البسيط والتقليدى قد قنن كل الامور الحياتيه للانسان من جميع النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية فى ضوء الظروف المجتمعية من اجل تساند وتكامل واستقرار المجتمع .

ونجد الوضع مختلفاً الآن الى حد كبير فى المجتمع القروى خاصة لدى المسنين المحتاجين او اقل تفاؤلاً من قرينه فى المجتمع البدوى ويحس بأنه ضحى من أجل الآخرين وكانوا لا يستحقون التضحية ويندم على ذلك كثيراً ، كما أنه يكون شخصية اقل انفتاحية خاصة فى حالة تقدم العمر ودائماً يكون غير راضٍ عن مركزه المادى والاجتماعى خاصة بعد التغيرات

العميقة التى شهدتها القرية المصرية وعصفت بالكثير من السمات الحميدة والاصيله التى كان يعيش فى كنفها ابناء القرية من مختلف الاعمار فى سعادة واستقرار .

ونجد الوضع مختلفاً فى المجتمع الحضرى عن النمطين الآخرين خاصة لو كان قعيد الفراش او دائماً فى حالة مرض او دائماً يؤثر الوحدة والعزلة ، ولا يجد ما يشغل به وقت فراغه الطويل خاصة وان المسنين فى المجتمع الحضرى دائماً ومع صعوبة الحياة وسرعتها فى هذا النمط المجتمعى يحاسبون انفسهم ويستعيدون من شريط الماضى بحلوه ومره ولذا يكونون فى الغالب شخصية اقل تفاؤلاً واكثر تشاؤماً واقل انفتاحية خاصة وان الاولاد او الاقارب تشغلهم امور الحياة عن التواصل والتفاعل باستمرار مع المسنين مما يجعلهم دائماً يعيشون فى حسرة وندم وكدر ويكون احساسهم بالفشل مرتبطاً بإحساس داخلى فى الواقع ووهم من انه اصبح غير قادر على العطاء وإتخاذ القرار عكس الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط ، وعكس الحال بالنسبة للمسنين فى المجتمع البدوى الذين هم اصحاب القرار والاحساس بالقوة والعزيمة والسيادة والسيطرة على ابناء المجتمع دون استثناء نابع من داخلهم ومن تفاعل وتواصل الطبقات العمرية الاخرى لتنفيذ تلك القرارات من اجل استقرار المجتمع .

وتبين ان المسن والمسنة فى المجتمع البدوى لا يحبون العزلة والزهد ويفضلون ان يعيشوا فى تفاعل مع المحيطين من حولهم فى ضوء المراكز والادوار التى يحتلها كل فرد فى المجتمع ، كما ان الجد والجدة قريبان لاحفادهم اكثر من الآباء ، ولا يعرفون الكذب ولا الرياء حيث ان دورهم لايزال له اهمية ووضعهم ومكانتهم تزداد احتراماً واجلالاً مع تقدم المسن والمسنة طالما لم يقوما بأعمال تقلل من شأنهم واحترامهم ، وعليه نجد

المسنين دائماً في البداية راضين عن انفسهم ، راضين عن الناس بغض النظر عن المكانة والثروة التى قد تعطى المسن فى المجتمع القروى ثمة مكانة الى حد كبير وفى المجتمع الحضرى الى حد كبير للغاية .

وتبين ان المسنين فى المجتمع القروى يؤثر بعضهم خاصة الفقراء واصحاب المعاشات مما ليس لديهم اى اعمال منتجة يقومون بها الوحدة والزهد خاصة وان القرية ونتيجة لمتغيرات كثيرة قد بدأ يتسلل اليها النفاق الاجتماعى والكذب مما كان وسيكون له اثر غير حميد على تنشئة الاجيال الشابه والصغيره فيما بعد ، الا اننا وجدنا ان هناك من المسنين ممن يتمتعون بشىء من المكانة والثروة والصحة يتحركون فى كل مكان ويزورون ابناءهم الذين انفصلوا عن الاسرة الممتدة ، ووجدنا تلاحماً وتواصلاً وتفاعلاً على اكمل وجه فى الاسر الممتدة وان البسمة لا تفارق شفتى المسنين من الجنسين خاصة وهم جالسون وسط احفادهم وابنائهم على موائد الطعام وفى جلسات السمر الليلية بعد العشاء .

ونجد الوضع مختلفاً تماماً فى المجتمع الحضرى فيعيش الكل وحيداً ومنعزلاً ، بل ان غالبية الشباب يعيشون فى اغترابية عن الذات والمجتمع ، فما بالك فى تفاعلهم مع آبائهم او اجدادهم من المسنين الذين دائماً يكونون فى وضع ارشاد ووعظ وهو ما لايقبله الشاب او الفتاة الحضرية بأى وضع كان ، رغم ان الاجداد حريصون على مصلحة الابناء والاحفاد ويتصرفون من واقع حصاد السنين الطويلة والخبرات الطويلة المتراكمة فى مجالات الحياة المتعددة ونادراً ما نجد تفاعلاً بين الاجيال الصغيرة واجيال المسنين الا فى حدود المصلحة والمنفعة المادية او من ينتمون اساساً الى اصول قروية ويخشون لومة الاهل وذلك فى حالة الاسر والعائلات ذات المكانة والثروة والنفوذ .

ولم نلمس الوحدة والعزلة للمسنين الذين يمتلكون اعمالاً حرة خاصة اولئك الذين يباشرونها برغم تقدمهم فى السن ويذهبون اليها يومياً وبالرغم من قيام ابنائهم واحفادهم بكافة الامور المتعلقة بالعمل او النشاط الا انهم يحسون بوجودهم ، ودائماً احاديثهم فيها من الطرائف والامثال والاقاصيص وشرحها مما يجعل التفاعل معهم فيه جانب كبير من المتعة والسعادة ويجعل مصاحبة الاجيال الصغيرة لهم والجلوس معهم امر فى غاية السعادة .

٣ - تدين الشيوخ

وتتميز مرحلة الشيخوخة بيقظة دينية تغمر النفس والجسم ، فالمسن ينصرف عموماً الى الاعمال النفسية النبيلة ، من حب التقوى والصلاح والزهد فى المتع الجسمية والبعد عن السيئات ، ويشغل نفسه بعبادات وتلاوات وقربات ، ويجد فى ذلك راحة نفسية وسعادة شخصية ، فهو يدرك ان ما تبقى من عمره اقل مما مضى ، وان خطاه تسير جادة فى خريف الحياة ، وايمانه بقرب انتقاله الى حياة اخرى يجعله اكثر وعياً لها واستعداداً لما يقتضيه من زاد وما تتطلبه من تقوى فالمراهق او الشاب قد تغمره نشوة دينية ولكن رغبات جسمه الجامحة وشطحات نفسه الطائشة وامله البعيد فى طول العمر كل ذلك كثيراً ما يجرفه فى تيارات الاثم والمعصية ، اما المسن فقد عرف الحياه وخبر الامور وضعفت به كثير من الرغبات الجسدية او زالت فيجد فى التدين سكينة نفسيه واملاً مشرقاً يضمن له السعادة والرضا [1] .

وتبين ان المسن والمسنة فى المجتمع البدوى يتمتعون بنزعه دينية كبيرة

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجده ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥٥

خاصة وانهم فى مرحلة الشباب والرشد كانوا متمسكين بالدين فقلما نجد بدويا ً خاصة فى مرحلة الرشد ومابعدها لايصلى او يصوم ، ومرد ذلك ان البدوى دائما ً بسيطا ً ، متوكلا ً على الله نظرا ً لطبيعة الحياة القاسية والصعبة والظروف الطبيعية من حولهم التى كانت قاسية فى الماضى ، لذا كان لابد عليهم من التضرع الى الله والسجود اليه حتى ينعم الله سبحانه وتعالى عليهم بالمطر والرزق ، فدائما ً تحس الشخصية البدوية من مختلف الاعمار بالراحة النفسية والسعادة من التقرب الى الله .

وتبين ان المسنين فى المجتمع القروى يميلون الى النزعة الدينية حتى لو كانوا فى شبابهم يصلون خاصة وان المجتمع القروى يمتاز بقربه فى كثير من العادات والتقاليد الى النمط البدوى ومرد ذلك من النواحى الاخرى عدم وجود ما يشغل وقت الغالبية غير الذهاب الى المسجد او الزيارات العائلية واحساسا ً منهم بأن نهاية الحياة قد قربت ولابد من العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله ، كما ان التقرب الى الله بالنسبة لحياة المسنين فى القرية والتى باتت ضيقة للغاية يجعلهم يشعرون بالراحة والسعادة النفسية ودائما ً فى احاديثهم يقولون ما دائم الا وجه الله ، العمل الصالح خير وأبقى ، ولا ينفع المرء الا عمله الخ .

وتبين ان المسنين فى المجتمع الحضرى خاصة الذكور يميلون الى النزعة الدينية خاصة اصحاب المعاشات واولئك الذين تقاعدوا حتى من اعمالهم الحره ويبدأون فى عمل جماعات تربطها حياة المسجد ويسألون على بعض ويزورون بعضهم البعض فى المنازل ، واعتقد ان هذه الفئة باتت من اسعد الفئات التى تعيش فى المجتمع الحضرى الآن وفى الغالب انهم كانوا متدينين بطبعهم فى مختلف مراحل حياتهم العمرية ويحسون بسعادة وراحة نفسية من تواجدهم مع بعضهم البعض سواء داخل المسجد او

خارجه .

كما نجد هناك فئة كبيرة جداً خاصة الذين لديهم امراض الشيخوخة او اولئك الذين يؤثرون العزلة ويعيشون بمفردهم دون راعٍ وفى الغالب ما يؤدون الصلاة داخل المنازل ويفضلون عدم الخروج كثيراً ، مع ان السير من المطالب الصحية للمسن والمسنة .

وتبين ان اللجوء الى التدين فى المجتمع البدوى راجع الى ان الشخصية البدوية اساساً شخصية متدينة بطبعها ولا تكون بدافع الزهد فى المتع الجنسية ، لان الشخصية البدوية تقبل على الحياة الجنسية حتى الوفاة ، فالحياه الجنسية للشخصية البدوية الذكر والانثى مطلب حيوى ورئيسى فى مراحل العمر المختلفة من الشباب وحتى نهاية العمر .

الا ان اللجوء الى التدين فى المجتمع القروى يرجع الى ان الشخصية القروية متدينة فى اغلبها بطبيعتها ثم يأتى الزهد فى الحياة الجنسية خاصة للمرأة المسنة التى لا تجد من الخجل فى التقرب الى زوجها المسن خاصة فى الاسر الممتدة امام ابنائها واحفادها .

وتبين ان اللجوء الى الدين فى المجتمع الحضرى فى اغلبه زهد فى الحياة وزهد فى المتع الجنسية خاصة وان الشخصية الحضرية التى فى الغالب ما تكون منتمية الى جماعات عرقية واصول عرقية متعددة وهنا يتفاوت موضوع انها شخصية متدينة بطبيعتها ام لا خاصة وان حياة الحضر تجعل الكثيرين من ذوى الاصول العرقية القروية او البدوية الذين يعيشون فيها يبعدون عن الدين خاصة فى مرحلة الشباب والرشد ويلجأون فى الغالب الى التدين فى مرحلة الشيخوخة او الكبر .

كما تبين ان التدين فى المجتمع البدوى لا علاقة له كما سبق القول

بالفئة العمرية الا فى احوال قليلة ودائماً الكبار حريصون على حث الصغار والشباب على أداء الصلاة والصوم والتقرب الى الله ، وقد نجد الاناث خاصة فى الفئات العمرية الصغيرة من بنات البادية لا يقبلن على الصلاة وقد يقبلن عليها فى مرحلة الكبر الا ان التدين فى المجتمع القروى مرتبط بالفئة العمرية الى حد كبير فى مرحلة الكبر والرشد والشباب الريفى وقد يقل ارتباط الشباب المتعلم فى القرية للأسف بالتدين ومرد ذلك ظروف الحياة خارج القرية وفى المدينة الموجودة بها الجامعات والانشغال بمباهج الحياة الحضرية ، الا اننا نجد المسنين من الجنسين يقبلون على التدين بصورة كبيرة للغاية .

واتضح ان التدين فى المجتمع الحضرى مرتبط الى حد كبير للغاية بالمسنين من الذكور خاصة والمسنات الى حد قليل ، اما الشباب فاعتقد ان النسبة الغالبة لمن ينتمون الى الجماعات الاسلامية خاصة شباب الجامعات وبعض الشباب الحرفى أو بعض الشباب الذين ينتمون الى اسر ريفية ، ولا نجد اهتماماً واضحاً بالتدين الا فى حالة الكوارث او الامراض او المصائب ، واعتقد ان هذه المسألة من الركائز الاساسية فى تدهور الاخلاقيات والتمسك بالتعاليم الدينية والعادات والتقاليد فى الحياة الحضرية والتى يقع عبء كبير على المسنين الذين لم يعودوا ابناءهم وبناتهم على المواظبة على الصلاة والتدين الواعى حتى يأمنوا التواصل والتراحم بين الاجيال ويمكن ان يكون هذا هو السبب الرئيسى فى تعاسة حياة نسبة كبيرة من المسنين فى المجتمع الحضرى واتساع الفجوة بين الاجيال الصغيرة والشابة واجيال الكبار التى نجد فى تعاليم الدين الاسلامى الحنيف ما يحث على البر بالوالدين والاحسان اليهما والعطف والرعاية والطاعة لهما ، بل ان الدين الاسلامى قد وضح جلياً طبيعة واسلوب

التواصل بين الاجيال الصغيرة والكبيرة فى المجتمع وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات تقع على كاهل كل منهما من اجل استقرار ورخاء المجتمع .

وبناء عليه نجد ان التدين يرجع الى عوامل التنشئة الاجتماعية فى المجتمع البدوى وحرص الكبار على بث الروح الدينية والتمسك بالدين فى الاجيال الصغيرة وكذلك القرية الى حد كبير ولا نجد ذلك الا فى حدود بسيطة فى المجتمع الحضرى .

كما نجد ان التدين يكون وليد التقدم فى السن فى الغالب فى المجتمع الحضرى ، فى حين ان التقدم فى السن لا يعنى كذلك فى حياة البدوى الذى هو فى الغالب متدين بطبعه ويقترب منه الى حد كبير القروى .

كما نجد ان التدين يمنح كل الفئات العمرية فى المجتمع البدوى دون استثناء السعادة والسكينة والراحة والقناعة والرضى بما قسمه الله وعدم الجنوح وعدم الانحراف الا فى حدود ضيقة للغاية وليس هروباً من حياة العزلة والوحدة لان المسن البدوى هو المسئول اولاً واخيراً عن حياة جميع افراد اسرته وعائلته بل وقبيلته .

كما تبين ان التدين هو سمة من سمات الشخصية القوية الى حد كبير كما اوضحنا سلفاً وليس هروباً من العزلة والوحدة الا فى حالات التدهور الصحى او انفصال الابناء عن الاباء والاجداد ، الا ان التدين يعطى الهدوء والاستقرار والسكينة والراحة والقناعة لدى الشخصية القروية التى تتمسك به من الفئات العمرية المختلفة وقلما نجد شخصية قروية كبيرة فى السن لا تواظب على اداء الصلاة اما فى المسجد او الحقل خاصة وان خروج

---

١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجدة ١٩٨٠ ، ص

القروى من الحياة العملية متأخر وهذا فضلاً عن دخوله الى الحياه العملية خاصة غير المتعلمين مبكر جداً .

الا اننا نجد ان التدين فى المجتمع الحضرى فى اغلبه نتيجة لتقدم السن وهروباً من حياة العزلة والوحدة وعلاقات النفاق الاجتماعى والرياء وعلاقات المصلحة التى بدأت تسود بين الناس بعضها البعض وسيادة الفردية والنزعات المادية الجانحة وانحراف كثير من الشباب وانعزالهم عن حياة الكبار ، ولكن بالرغم من كل ذلك لاحظت ان التدين لاى فئة عمرية لو لم يكن هروباً من المشاكل او الفشل او عزوفاً عن الحياة يكون سكينة وسعادة وامناً واستقراراً وراحة نفسية واجتماعية فقد حثنا الدين الاسلامى الحنيف على الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واوصانا بصلة الرحم والاقارب والجيران واوصى الكبار بالصغار وبالعكس .

المظاهر الانفعالية لمرحلة الشيخوخة وعلاقتها بالمراحل العمرية الاخرى .

تميل انفعلات الشيخوخة الى تلخيص السلوك الانفعالى لمراحل العمر كلها فى مرحلة واحدة ، وهى فى تلخيصها هذا تؤكد مرحلة الطفولة اكثر مما تؤكد المراهقة وتؤكد المراهقة اكثر مما تؤكد مرحلتى الرشد ووسط العمر ، ثم تنتهى من ذلك كله الى تأكيد نفسها فى انفعالتها كمرحلة لها خصائصها التى تميزها عن اى مرحلة اخرى سابقة لها .

ونجد من الاهمية بمكان توضيح اهم المظاهر الانفعالية لمراحل العمر المختلفة فى حياة الفرد والتى تظهر فى مرحلة الشيخوخة بصورة او بأخرى على النحو التالى :-

أ - انفعالات الطفولة التى تعود وتظهر مرة اخرى فى مرحلة الشيخوخة :- (١)

١ - انفعالات الشيوخ ذاتية المركز ، تدور حول انفسهم اكثر مما تدور حول غيرهم ، وتؤدى هذه الذاتية الى نمط غريب من انماط السلوك الانانى الذى لا يتفق فى مظهره العام مع ما يتوقعه الاحفاد من سلوك الاجداد .

وتبين بالفعل ان انفعالات الشيوخ ذاتية المصدر الى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى وبصفة خاصة بين اولئك الذين لم يعد لهم ادواراً هامة داخل وخارج الاسرة ، او اولئك الذين تقوضت المراكز التى كانوا يشغلونها داخل وخارج الاسرة ويبدأون فى التصرف بشىء من الانانية وحب

(١) فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢٣

الاستحواذ والحرص على ماتبقى لديهم والخوف من المستقبل وتقل هذه الاحاسيس بذاتية المركز وانعكاسها فى سلوك الاجداد نحو الاحفاد فى المجتمع القروى كثيراً خاصة فى الاسر الممتدة الا انها تظهر ولكن بدرجة تقل عن مثيلها فى المجتمع الحضرى فى التعامل بين الابناء والاحفاد الذين استقلوا بحياتهم بعيداً عن حياة الاجداد والاباء وهنا تسود كثيراً من مشاعر المصلحة الذاتية والانانية والاقتراب تدريجياً من الاحاسيس والمشاعر التى تسود المدينة ، وهذه الانفعالات تقل كثيراً فى المجتمع البدوى حيث ان المسن او المسنة فى المجتمع البدوى يحب احفاده ويحس ان الاجيال متعاقبة وان الاسم سيخلد واحياناً قد يقف ضد ابنه وفى صف حفيده ولكن ليس فى مواجهة حرصاً على العلاقة بين الاجيال بعضها البعض ويعدم المساس باحترام وكرامة الكبير أو حثه على العطف والحنان على الصغير ، كما يرجع ذلك ثانياً لانه فى اغلب الاحوال دور الجد قائماً الا اذا ناله مرض عضال فهو المسئول عن زواج واعاشة كل افراد العائلة وقضاء مصالحها واحتياجاتها والقرار اولاً واخيراً لا يتم الا بأمر منه او بإذنه .

٢ - لا يتحكم الشيوخ تحكماً صحيحاً فى انفعالاتهم المختلفة ، شأنهم فى ذلك شأن الاطفال الذين يعجزون عن ضبط مشاعرهم وعواطفهم [١] .

وتبين ان الشيوخ فى المجتمع البدوى اكثر تحكماً فى انفعالاتهم عن اقرانهم فى المجتمع القروى قليلاً واقرانهم فى المجتمع الحضرى كثيراً ومرد ذلك عدة امور طبيعة الحياة البسيطة السهلة التى يعيشها البدوى ويقترب منها قليلاً المسن القروى ولكن يعانى منها المسن الحضرى مهما كانت

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٤٢٣

امكانياته ، وكذلك طبيعة البيئة الهادئة وعدم وجود تكدس سكانى والهواء النقى والبعد عن الضوضاء وكافة مظاهر التلوث التى تؤدى الى زيادة الضغط العصبى مثل هذه الاحوال لا يعانى منها البدوى بأى حال من الاحوال ، ولكن يعانى منها القروى الى حد بسيط ولكن المسنين فى المجتمع الحضرى يعانون منها كثيراً ، وهذا أدى إلى أن المسنين فى المجتمع الحضرى لا يستطيع الغالبية العظمى منهم التحكم فى اعصابهم او ضبط مشاعرهم وعواطفهم وفى حين يستطيع المسن القروى ذلك قليلاً ، ولكن المسن البدوى يستطيع ذلك الى حد كبير .

٣ - تتميز انفعالات الشيوخ بالعناد وصلابة الرأى وقد يؤدى هذا العناد الى السلوك المضاد ، ولذا نجد الشيوخ يثورون لاوهام لا حقيقة لها ، وعندما تتكشف لهم الامور ويدركون خطأهم فانهم يراوغون ويظلون فى اصرارهم وعنادهم .

واتضح حقيقة هذه المسألة خاصة فى المجتمع البدوى ولكن اصرار وعناد الشيوخ هنا ناجم عن اقتناع كامل وفهم كامل لطبيعة حياة المجتمع البدوى والاحتياجات الفعلية للشخص البدوى من مختلف الاعمار والاجناس خاصة وان الحياة البدوية فى معظمها لم يتناولها التغيير ، كما ان ظروف الحياة من جميع النواحى الاجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية تساعد المسن او الشيوخ على سهولة تسيير امورهم وامور اولادهم واحفادهم ، ومن اجل هذا فشلت معظم مشاريع التنمية فى الصحراء وذلك مرده عناد وصلابة الرأى للشيوخ وخوفهم من اقتراب المدنية فالبدوى لايحب حياة المدينة ويبعد عن الضوء ويميل الى الحياة فى بساطة وبعيداً

عن التكنولوجيا خاصة وانه يرى او يسمع ما وصلت اليه حدة المشاكل وظروف الحياة الصعبة فى المدينة كما انه متعاطف كثيراً مع المسن فى المجتمع الحضرى الذى يعيش فى عزلة ووحدة واغترابيه حتى لو حوله المئات.

وتبين ان صلابة وعناد الشيوخ فى المجتمع القروى ناتج عن خوفهم خاصة فى الاسر الممتده من خروج الابناء والاحفاد عن طاعتهم بزعم تقوض سلطتهم ، الا ان العناد والصلابة فى المجتمع الحضرى لا يظهر الا قليلاً خاصة وان الغالبية العظمى من المسنين ونظراً لخصائص الحياة الحضرية التى سبق ذكرها فى مواضع كثيرة يعيشون لوحدهم ويعيدون عن الابناء اما الذين يعيشون مع ابنائهم فعنادهم نابع من اوهامهم وخوفهم من الحياة والزمن وحرصهم على حياتهم .

٤ - عندما يغضب الشيوخ فانهم غالباً مايثورون كالاطفال .

وتبين ان هذا حقيقى خاصة بين غالبية الشيوخ فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك ظروف حياتهم ورحلة كفاحهم الطويلة خلال مراحل عمرهم المختلفة فى حين تقل هذه الثورة الى حد كبير فى المجتمع القروى خاصة فى الاسر الممتدة إلا انها تزداد بين اولئك الذين يعيشون فى اسر نووية ، ونجد هذه الثورة تظهر بصورة قليلة جداً بين المشايخ او المسنين فى المجتمع البدوى حتى لمراحل متقدمة جداً فى العمر وهذا السبب هو ما يجعلنى اؤكد ان هذا يعد من الاسباب الاساسية وراء زيادة طول عمر الشخص فى المجتمع البدوى عن القروى والحضرى الى حد كبير .

٥ - بالرغم من عنادهم وغضبهم اكثر قابلية للاستهواء من غيرهم واتضح ذلك جلياً خاصة فى المجتمع الحضرى فأى كلمة رقيقة تسعد

المسن وتجعله يحن الى اولاده واحفاده ثانية خاصة المسنة التى تسعد كثيراً بكلمات الحب والحنان وقد تدمع اعينهن فى اغلب الاحوال ، وهذا نلمسه بوضوح فى المجتمع البدوى حيث وجدنا انه فى بعض الاحيان قد يكون للابناء الكبار رأى مخالف للاجداد ولكن يحرصون على ارضائه وعدم مواجهته ويعملون مايرونه اصوب بعيداً عنه ولكن لا يحسونه بأى شىء ابتغاء مرضاة الله وكذلك الحال فى المجتمع القروى فالمسنون هناك اقل شىء يرضيهم ويسعدهم عن طريق الكلمات الرقيقة او الهدايا التى تليق بسنهم ويفرحون بها كثيراً .

٦ - يميل الشيوخ الى المديح ، والاطراء ، والتشجيع

وتبين ان الشيوخ فى الثقافات المختلفة يميلون الى المديح والاطراء والتشجيع ويرجع هذا الى ان طبيعة البدوى بصفة عامة وفى الفئات العمرية المختلفة تميل الى المديح والاطراء والتشجيع طوال حياته العمرية من الطفولة وحتى الشيخوخة حيث ان طبيعة التنشئة الاجتماعية فى المراحل المختلفة تنمى وتؤصل فيه مثل هذه الصفات ، فهو دائماً يحب من يثنى عليه ومن يكبر به ومن يبجله ومن يحترمه ويحب ان يمشى فى مقدمة السائرين ويتحدث عندما يكون فى مجلس ويتزعج ممن يحاول ان يلغى مثل هذه الصفات فى حياته كما ان المسن من الجنسين فى المجتمع القروى يميل هو كذلك الى الإطراء والمديح بالرغم انه يفتقده برحيل الابناء خاصة المتعلمين او انفصال الابناء والاحفاد المزارعين عن الاسرة الممتدة مما يكون له اثر سىء على الحالة الانفعالية والنفسية عامة للمسن القروى .

وعلى الرغم من ان المديح والاطراء والتشجيع من السمات التى يميل اليها المسن فى المجتمع الحضرى الا ان غالبية المسنين لا يحسون بها

خاصة ذو الامكانيات المحدودة واصحاب المعاشات او الذين يعيشون بمفردهم وفى وحدة بعد وفاة الزوج او الزوجة او بعد انفصال الابناء عنهم بالزواج او السفر للخارج .

ب - انفعالات الشيوخ التى تتشابه مع المراهقين [1] :

١- الشيوخ فى كثير من انفعالاتهم مذبذبون بين ذلك وذاك ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، شأنهم فى ذلك شأن المراهقين قبل ان يصل بهم نموهم الانفعالى الى النضج الذى تتطلبه طبيعة نموهم ومطالب حياتهم .

وتبين ان المسن و المسنة فى المجتمع البدوى لا يمكن ان تكون انفعالاتهم مذبذبة خاصة وانهم يظلون لهم دور ويشغلون مكانة مرموقة فى المجتمع ولا ينسحبون من الحياة العملية الا مع اشتداد المرض فقط ولكن الجميع يظل من حولهما ولا يتركونهما وحيدان ، وعدم التذبذب فى الانفعالات الا نادراً مرده الاساسى طبيعة التشابك والتساند والتفاعل والتواصل بين الاجيال بعضها البعض ولطبيعة الحياة الهادئة والظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التى يعيشونهما فى معية مع كل الفئات العمرية داخل مجتمعهم .

كما اتضح ان المسنين فى المجتمع القروى تكون انفعالاتهم مذبذبة الى حد كبير عن اقرانهم فى المجتمع البدوى ومرد ذلك انفصال الابناء والاحفاد عن الاسر الممتدة ، اصحاب المعاشات عند العودة للقرية واختفاء الاضواء عنهم وانفضاض الناس من حولهم خاصة اصحاب المصالح ، الصراع بين الاجيال خاصة بعد تقلص السلطة وعدم تمركز الثروة فى يد الاب او الجد اسوة بالمجتمع البدوى بل والاستقلال المادى لبعض الشباب ومتوسطى

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤

العمر جعل المسنين فى حيرة وسادت انفعالاتهم فى اغلبها التذبذب والحيرة لإرضاء الآخرين وكذلك للحفاظ على البقية الباقية من حياتهم بعيداً عن الصراع والمشاكل.

كما تبين ان تذبذب انفعالات المسنين فى المجتمع الحضرى واضحة للغاية خاصة اصحاب المعاشات واولئك الذين انفصل عنهم ابناؤهم واحفادهم وأولئك الذين يعيشون بمفردهم ، وكذلك الذين يعيشون مع ابنائهم واحفادهم ولكن دائماً هناك خلاف فى الرأى او الغاء رأى المسن وعدم الاخذ به ويستثنى من ذلك الى حد كبير رجال الاعمال الحرة او اصحاب الثروة المادية حيث ان لديهم من المكانة والسلطة ما يستطيعون ان يعيشوا فى استقرار وسعادة اذا ما حاولنا مقارنتهم بأصحاب الدخول الضعيفة او من يحتاجون لم يعولونهم.

٢ - سخرية الشيوخ من الاجيال الاخرى ، وهم فى سخريتهم يميلون الى لون من الوان المشاكسة والاغاظة التى كانوا يمارسونها فى مراهقتهم.

وتبين ان المسنين فى المجتمع البدوى لايمكن ان يسخروا من الاجيال الاخرى بأى حال من الاحوال وتعتبر حالات نادرة للغاية لو حدث ذلك وتكون السخرية فى الغالب ليست فى وجود الاجيال الصغيرة ومرد ذلك ان الجد او الجدة فى المجتمع البدوى يكونون سعداء باحفادهم سعادة بالغة وهم الذين يشرفون على زواجهم ويسعدون عندما يكبر الابناء وحريصين على خلق الود والالفة والمحبة والتواصل بين الاجيال بعضها البعض ولايميل المسنون البدو الى المشاكسة والاغاظة للاجيال الاخرى كما يحدث فى الانماط المجتمعية القروية والحضرية خاصة وان كل الامور الحياتية والمستقبلية التى تهم الاجيال الاخرى تقع على كاهل المسنين او على الاقل

يلعبون فيها دوراً بارزاً عكس الحال الى حد قليل فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

واتضح ان المسنين فى المجتمع القروى يميلون الى السخرية من الاجيال الاخرى فى بعض الاحوال خاصة وان سلطة الكبار بدأت تقوض وتختفى الى حد كبير فى الاسر النووية التى كونها الابناء والاحفاد بمفردهم ، وفى احوال اخرى تكون السخرية موجودة فى الاسر الممتدة من جانب المسنين قليلاً ولكن تكون بدافع الحرص والخوف على الابناء والاحفاد وان طموح الاجيال الشابة دائماً يكون اكثر من قدراتهم وامكانياتهم ولا يرضون بالواقع ودائماً تسيطر عليهم مشاعر القلق والخوف من المستقبل عكس الحال تماماً فى مشاعر المسنين .

كما يميل المسنون فى المجتمع الحضرى الى السخرية والمشاكسة والاغاظة للاجيال الاخرى خاصة فى المشاريع والاعمال التى تتطلب الجلد والصبر والتريث وهى من الاشياء التى فوق طاقة الشباب الآن ، وكذلك فى الامور التى تتطلب مزيداً من الكفاح والصبر والعزيمة والتضحية ويظهر ذلك بوضوح لدى المسنين الذين لا يحتاجون الى اعالة اولادهم واحفادهم والذين يستقلون مادياً عنهم وكذلك اصحاب الامكانيات المادية الكبيرة خاصة اولئك الذين عانوا كثيراً وتحملوا الصعاب فى تحقيق هذه المدخرات لتأمين المستقبل فى حين ان الابناء والاحفاد يستهلكون اكثر مما ينتجون ، أو استهلاكهم يفوق دخولهم ولا يشعرون بما تحمله الآباء ، كما يحرص كثير من المسنين من كل الطبقات الاجتماعية بعيب هذا الزمان من جميع النواحى ويتحدثون عن وقائع عاشوها فيها من اللوم والاغاظة للابناء ، والاحفاد ولزمانهم .

٣ - لما كانت انفعالات المراهقة تتميز بالاندفاع ، تتميز ايضاً انفعالات الشيخوخة فى بعض نواحيها بصور مختلفة من ذلك الاندفاع العاطفى .(١)

واستطيع ان اؤكد ان انفعالات الشيوخ لا تتميز بالاندفاع العاطفى الواضح حيث أن العوامل الثقافية والاجتماعية لاتسمح بأن يتبين اى صور للتفاعل العاطفى الظاهرى بين الاجيال بعضها البعض داخل المجتمع البدوى ، حيث ان المسن البدوى من الممكن ان يتزوج حتى لو كان طاعناً فى السن لان المسن البدوى لا يحب ان تخدمه زوجة ابنه او حفيده ، ولهذا فهوحريص على ان يكون دائماً الى جواره زوجة بعد موت زوجته وأن يكون لديه اولاد صغار يحتاجون لرعايته ويحتاجهم للتفاعل معهم ولقضاء مصالحة وهذا هو سر تعدد الزوجات فى المجتمع البدوى ، وسر استمرار دور ومكانة المسن والمسنة المتميزة فى هذا المجتمع .

وتبين ان هناك من المسنين فى المجتمع القروى خاصة اصحاب الامكانيات المادية يظهر بينهم الاندفاع العاطفى الواضح وقد يتحدثون عنه حتى لوكان غير صحيح من الجانب الآخر ويتوهمون علاقات عاطفية لا وجود لها ، ويعتقد المسنون القادرون ان الامكانيات المادية عامل هام فى زواجهم اكثر من مرة وممن هم اصغر سناً وفى عمر اولادهم ، ومع سيادة كثير من النزعات المادية وسيادة مشاعر الطمع والمصلحة فى المجتمع القروى فغالباً ما تواجه طلباتهم بالقبول .

ويبدو واضحاً الاندفاع العاطفى لكثير من المسنين القادرين خاصة رجال الاعمال الحرة واصحاب الامكانيات والمستقلون مادياً عن ابنائهم وعبارات

---

١ - فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

الغزل والكلام العاطفى الذى يطلقونه لمن يقترب منهم من الاقارب او الجيران وقد يكون الاخرون من دواعى العطف والحنان والمحبة والمداعبة يميلون لعدم الصد لتلك العبارات التى يلفظها المسنون الذكور خاصة خشية ان يحدث صدمة نفسية وعصبية وعاطفية للمسن فى وقت ما احوجه للهدوء الانفعالى والنفسى عامة ، والغريب انه فى الاونه الاخيره وكذلك فى بعض الاغانى الشعبية والفلكولورية فى المجتمع القروى والحضرى ما تحاكى انفعالات واحاسيس الشيوخ العاطفية والتى لا تجد فى الغالب قبولاً اجتماعياً وثقافياً وهذا مرده طبيعة المرحلة العمرية للمسن وطبيعة وضعه ومكانته وطبيعة اوضاع ومكانة اولاده التى تحتم عليه انماطاً سلوكية مقبولة فى المجتمع .

٤ - اذا كان المراهق يحاول فرض شخصيته ليؤكد ذاته حتى يتخلص من خنوع الطفوله وخضوعها ، فيحاول الشيخ ان يفرض شخصيته فى سيطرة غريبة ، حتى لا يظن الناس انه بدأ يضعف ويهزم .

مما هو جدير بالذكر وكما تبين فى اكثر من موضع ان شخصية المسن والمسنة قوية الى حد كبير للغاية فى المجتمع البدوى وان السلطة داخل المنزل وخارجه على مستوى القبيلة ككل لا تخرج عن يد المسن والمسنة وان عمرهما يقاس اجتماعياً وليس فسيولوچياً ولا يعترفون بالمسافة الزمنية ولكن بقيمة الاداء والعطاء والمكانة على المحافظة على استقرار المجتمع والقضاء اولاً بأول على كل من يحاول ان يقوض السلطة والمكانة التى يتمتعون بها .

ونجد ان المسنين فى المجتمع القروى يحاولون فرض شخصيتهم والسيطرة على الاحفاد والابناء والتشبث فى اغلب الاحوال بارادتهم وهذا

لسته بوضوح فى حالات المسنين فى الاسر الممتدة وكذلك المسنين الذين يتمتعون بالثروة والاملاك الزراعية وهنا يرضخ الابناء والاحفاد انتظاراً لقرب الاجل ، الا اننا لم نجد فرض شخصية من اولئك الذين يحتاجون لاولادهم مادياً او الذين انفصل عنهم ابناؤهم واستقلوا حياتياً من جميع النواحى.

كما وجدنا ان حالات فرض الشخصية للمسنين فى المجتمع الحضرى قليلة للغاية وتبدو واضحة الى حد كبير فى اصحاب الامكانيات المادية او رجال الاعمال الحرة او من يعولون ابناءهم لطبيعة الحياة المتغيرة من حولهما من جميع النواحى وكذلك عدم تواصل وتفاعل الاجيال الاخرى مع الاجيال المسنة الا فى حدود المسنين من ذوى الامكانيات او اولئك الذين يعيشون مع ابائهم المسنين ويحتاجون اليهم او من تكون بينهم مشاعر المصلحة والمنفعة المادية ، لذا فيعانى غالبية المسنين فى المجتمع الحضرى كثير من مشاعر القلق والكآبة والوحدة .

جـ - انفعالات الرشد ووسط العمر التى تعود وتظهر عند الشيوخ (١)

١ - لما كانت انفعالات الراشدين ومن هم فى وسط العمر حول القلق ، وللشيوخ ايضاً ما يثير فى نفوسهم القلق وقد يؤدى بهم القلق الى الكآبة لانهم لا يجدون متنفساً لانفعالاتهم كما كانوا يفعلون فى رشدهم .

وتبين ان مشاعر القلق او الكآبة تأخذ طابع الندرة بين المسنين فى المجتمع البدوى وقد تظهر قليلاً لدى الفئات العمرية الاخرى ، ولكن المسن

---

١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

والمسنة فى المجتمع البدوى لا يوجد فى حياتهما ما يدعو للقلق او الكآبة فالحياة من حولهما تدب بالتفاعل والعلاقات الطيبة والاحترام والتبجيل والعطف والحنان والدفء العائلى على العكس تماماً من مشاعر القلق والكآبة التى تسيطر على المسنين القرويين الذين يعيشون فى معزل عن اولادهم او اصحاب الامكانيات الضعيفة وكذلك مشاعر القلق والكآبة التى تسود بين المسنين فى المجتمع الحضرى ومرد ذلك سرعة ايقاع الحياة من حولهم وصعوبتها وسيادة مشاعر الفردية والانانية والمادية والانعزالية .

٢ - ما اكثر شكوك الشيوخ وريبتهم فى الآخرين وكأنما هم قد ورثوا من شبابهم عدم الثقة بالاخرين .

ولقد تبين ان الشخصية البدوية بصفة عامة فى مختلف المراحل العمرية اما ان تثق او لاتثق فبين الثقة وعدم الثقة خيط رفيع للغاية ولكن دائماً عدم الثقة او الثقة تكون فى الغالب تجاه الغرباء عن المجتمع وليس اعضاء المجتمع البدوى ، ونادراً ما نجد اى مشاعر للشك وعدم الثقة بين المسنين انفسهم او بينهم وبين الاجيال الاخرى حيث ان كل شىء يتعلق بالحياه من جميع جوانبها واضحاً ومحدداً امام كل الفئات العمرية بالمجتمع .

الا اننا لسنا وجود مشاعر الشك وعدم الثقة تسود الى حد بسيط المسنين والاجيال الاخرى فى الاسر الممتدة ولكن هذه المشاعر تزداد بين اصحاب المعاشات واصحاب الامكانيات الكبيرة خاصة اولئك الذين انفصل عنهم الابناء والاحفاد واستقلوا بحياتهم سواء اكان داخل القرية ام خارجها وذلك مرده طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى نالت الكثير من ملامح وخصائص الحياة عامة فى القرية المصرية .

وتبين ان مشاعر عدم الثقة والشك تزداد كثيراً فى المجتمع الحضرى خاصة بين اصحاب الامكانيات والثروة ويعتقدون ان كل انسان يقترب او يتقرب منهم اما لمصلحة او منفعة وقد يصل الشك وعدم الثقة فى الابناء والاحفاد ولكنهم يحاولون عدم اظهار ذلك لهم خاصة اولئك الذين يرتبطون بمكان اقامة واحد او حياة معيشية واحدة وتنتاب مشاعر الشك وعدم الثقة فى غالبية المسنين الحضريين سواء اصحاب الدخول الكبيرة ام اصحاب الدخول البسيطة او من يقطنون مع ابنائهم وذويهم ، ويستثنى من ذلك المسنون الذين يرتبطون بالدين ويحرصون على الذهاب للمسجد وايجاد صلة طيبة مع جماعة المسجد من مختلف الاعمار داخل المسجد وخارجه والحرص على الاستماع للقرآن الكريم وقراءة الكتب الدينية او سماع مختلف البرامج الاذاعية والتليفزيونية خاصة البرامج الدينية .

د - المظاهر الانفعالية التى تنفرد بها مرحلة الشيخوخة عن بقية مراحل العمر هى [1] :

١ - يحلو للشيوخ احياناً ان يقفوا من البيئة المحيطة بهم موقفاً سلبياً لا ينفعلون لها ومعها وكأنهم يعبرون عن شعورهم بالهوة السحيقة التى تفصلهم عن الاجيال الاخرى التى تضطرب بها الحياة من حولهم .

وتبين ان المسنين فى المجتمع البدوى لا يقفون من البيئة موقفاً سلبياً حيث انهم هم الذين يشرفون على كافة الاعمال الانتاجية المتاحة ، كما انهم هم الذين يتدخلون لحسم وحل كافة النزاعات التى تنشب بين العائلات

---

(١) فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ص ٤٢٤ - ٤٢٥

والقبائل بعضها البعض ، كما انهم يتفقون على عقد الزيجات والصفقات التجارية ويشتركون فى كل المناسبات والاحتفالات التى يحتفل بها الناس فى المجتمع ولا يقعدهم عن ذلك سوى المرض العضال فقط وبناء عليه لا يحسون بهوة بينهم وبين الاجيال الاخرى من مختلف الاعمار ويتفاعلون مع كل الطبقات العمرية بما يقره العرف والعادات والتقاليد ويقترب كثيراً منهم فى مثل هذه الاحاسيس والموقف من الطبقات العمرية المختلفة والمسنون فى المجتمع القروى خاصة الموجودين بالاسر الممتدة او من يمتلكون الاراضى ولايزالون على قيد الحياة ونجد الصورة تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى خاصة فى اولئك الذين كانوا يعملون بالوظائف الحكومية والشركات حيث تختلف موقف الغالبية منهم من الحياة والناس والمجتمع بعد الخروج على المعاش بأيام معدودة ولا يلبس هذا الاحساس بالتردى فى المكانة والمنزلة يتفاقم على مر الايام ، ويختلف عنهم رجال الاعمال والتجار والحرفيون من اصحاب الورش واولئك الذين يمارسون حياتهم ويجدون من التفاعل والايجابية فى حياتهم العملية والعائلية .

٢ - اتصاف انفعالاتهم فى غالبيتها بالخمول وبلادة الحس

لما كان الشخص البدوى اساساً لا يحب الاجهاد او التعب فانه يكبر ويلازمه هذا الاحساس ونظن انه خامل وبليد الحس ولكن لكون الحياة من حوله ايقاعها بطىء وليس هناك من الاضطرابات والصراعات المتنوعة والظروف البيئية والمجتمعية الموجودة فى المجتمع الحضرى والتى تنغص حياة الانسان الحضرى فى مختلف الاعمار مما يجعله يسعى جاهداً فى ايام الاجازة الى الاماكن الهادئة التى يعيش فيها البدوى طيلة حياته .

وبناء عليه نجد ان حياة المسن بالمجتمع البدوى تمتاز بالهدوء وعدم

الصراع خاصة وان مقاليد معظم الامور فى يده طالما ليس به مرض عضال ولكن المسن فى المجتمع القروى يحس بهذا الاحساس طالما يؤدى دوراً هاماً فى الحياة ويحتل المكانة والمركز الذى كان يشغله فى قوته خاصة وان القروى يخرج من الحياة العملية متأخراً ويدخل فيها مبكراً حتى فى بداية مراحله التعليمية الاولى مما يسمح له بمزيد من النشاط والحيوية عكس الحال بالنسبة للمسنين الذين لايؤدون اى دور حيوى سواء داخل الاسرة او المجتمع ، وقد يحس المسنون فى المجتمع الحضرى بالخمول وبلادة الحس خاصة اولئك الذين يعيشون بعيداً عن اولادهم واحفادهم ولا يتفاعلون مع الحياة من حولهم ويحسون بالانطواء ويعيشون فى عزلة عن المجتمع ويعيشون حبيس الذكريات الاليمة وينسى او يتناسى الذكريات السارة فى حياته ولا يحس بهذه الاحاسيس من يتفاعل مع جيرانه واقاربه وابناءه واحفاده . الخ .

٣ - الشعور بالسلبية والبلادة الى عدم ادراك الشيخ للمسئولية التى تواجه من يحيطون به ، فهو يمعن فى حياته ، ومشاكل الناس من حوله تدفعهم الى الوان مختلفة من الكفاح المرير وهو لا يشعر نحوهم ولا نحو مشاكلهم باية مسئولية تتطلب منه استجابة انفعالية محددة .

وتبين ان كثيراً من المسنين فى المجتمع الحضرى خاصة اولئك الذين لا يقومون بأى اعمال ويحسون بالعزلة والانطوائية يشعرون بالسلبية والبلادة بل يتعمدون اظهارها لمن يحيطون من حولهم خاصة الشباب ومتوسطى العمر حيث تكون هناك فجوة فى التقاء المشاعر والآراء وانعزال الابناء والاحفاد عن الاجداد سواء بالزواج او الاستقلال بحياتهم الا ان هذا الوضع لا نجده بأى حال من الاحوال فى المجتمع البدوى حيث ان المسن

هو قائد وعقل وفكر المجتمع هو المرشد ، هو المربى ، هو المسئول عن الابناء والاحفاد ولا يتحمل [illegible] مسئوليته الا بالوفاة او المرض العضال ، فالحياة بصفة عامة بسيطة من حول كل الطبقات العمرية وتجد الوضع يختلف الى حد بسيط فى مجتمع القرية من السلبية والبلادة او تتوقف ذلك على مدى ثراء المسنين وتحكمة فى مقاليد امور اسرته او عائلته ومدى تفاعله .

٤ - يقل حماس الشيوخ لما يحيط بهم من مشكلات انفعاليه يضطرب منها الاخرون .

واتضح ان حماس المسن البدوى لايقل عن حماس المحيطين به من مختلف الاعمار ولكن حكمة الشيخ وتحمله مسئولية العائلة والقبيلة حتى سن متأخر جداً فى الخبرات التى مرت به خلال حياته تجعله يكون اقل انفعالاً من الطبقات العمرية الاخرى وبصفة عامة طبيعة الهدوء وحياة الخلاء فى حياة البدوى من مختلف الاعمار جعلته اقل انفعالاً من قرينه فى المجتمع القروى والحضرى .

٥ - عند انفعالهم ، كثيراً ما يخطئون ادراك الموقف المحيط بهم ، لذلك تجىء انفعالاتهم شاذة لا تتناسب ومقومات الموقف الذى اثار فى نفوسهم ذلك الانفعال .

وتبين ان المسن فى المجتمع الحضرى خاصة الذى ليس له دور يؤديه او يجد ما يشغل وقته به من أ عمال تجعله على جانب من النشاط والحيوية يكون نرجسياً منطوياً وينظر بعين الشك والارتياب الى كل المحيطين به بل قد يصل الى حد الخوف منهم وأن أى كلام يقال من حوله لابد وان يمسه

بصورة او بأخرى لذا فدائماً ينفعل خاصة على الاطفال وينفعل لاتفه الاسباب ودائماً يشكون الزمن والايام التى جعلت المحيطين به يعاملونه هذه المعاملة مع العلم انهم قد يعاملونه بشكل عادى الا ان طبيعة واختلاف الطباع والفروق الفردية بين ابناء الجيل الواحد والطبقات العمرية المختلفه لها دور كبير فى عدم فهم كل جيل للآخر .

ونجد حده هذه الانفعالات تقل كثيراً فى حالة المسنين القرويين من الجنسين وخاصة النساء فى الاسر الممتدة حيث ان اهتمام الاجداد بالاحفاد عن الابناء له دور بالغ الاهمية فى تواصل جيل الاحفاد مع الاجداد بغية التدلل او المطالب او الوقوف فى صفهم ضد تعنت بعض الاباء وهنا يتجسد المثل القائل بان " اعز من الولد ولد الولد " ولكن تظهر بعض المواقف السلبية فى انفعالات المسنين خاصة المتزوجين بأكثر من امرأة حيث ان حساب السنين يكون هو المعيار الاساسى وتذكر الذكريات المريرة دائماً اكثر من الذكريات الحسنة خاصة لو كانوا متزوجين من صغيرات فى السن .

الا انه من الملاحظ ان المسنين من الجنسين فى البادية لا ينفعلون الا فى احوال نادرة خاصة وان البدوى كشخصية اساساً لا يميل الى الانفعال حيث ان الحياة من حوله بسيطة وسهلة ، كما ان طموحاته فى مختلف الطبقات العمرية تتوقف على امكانيات العائلة او على موارد الثروة المتاحة ، كما ان البيئة الطبيعية جعلت منهم جميعاً وخاصة المسنين اكثر اقبالاً على الحياة وحباً لها واكثر انضباطاً نفسياً ، ولذا لا نجد حالات إكتئاب نفسى او قلق نفسى او انفصام فى الشخصية فى المجتمع البدوى ، الا ان الذين ارتبطوا او اقتربوا من حياة المدن وشاركوا اهلها فى انماط حياتهم التى

تختلف تماماً مع انماط الحياة البدوية وهم الذين ظهرت بينهم بعض الحالات النفسية ، فجدير بالذكر ان انفعالات المسنين من البدو دائماً تتواءم مع الموقف ويستدعى خروجهم عن ضبط النفس فى حالات بسيطة خاصة فى بعض مجالس الصلح عندما تتأزم امور حل القضايا وفقاً لاعرافهم ويخشون خروج الموضوع من ايديهم والاضطرار الى الرجوع للشرطة وهذه طامة كبرى وشينة وخزى بالنسبة لابناء المجتمع البدوى عامةً وهنا يضطر العواقل من المسنين للانفعال فى المجلس العرفى وعليه يتم التوفيق ويحدث التوازن النفسى ثانية ويتم الاحتفاء بالصلح وذبح الذبائح المقررة فى مثل هذه الاحوال وتناول الطعام جميعاً واحتساء اكواب الشاى وراء بعضهم البعض دلالة على الصفاء والوفاق والمحبة

٦ - يغلب على انفعالاتهم لون غريب من التعصب الذى لايقوم فى جوهره على اساس ، فهم يتعصبون لجيلهم ولآرائهم ولعواطفهم ولكل ما يمت بصلة قريبة (١) .

ويبدو هذا التعصب بوضوح فى افعال المسنين من الحضريين فى المجتمع الحضرى وقد تزيد حدة هذا الشعور للرجل اكثر من الانثى ويعنون كل ما هو جديد ودائماً يحكون عن حياتهم السابقة وان الايام الحالية والاجيال الحالية الصغيرة بعيدة كل البعد عن العواطف السامية والمشاعر النبيلة والآراء السديدة وبعيدين عن مشاعر الولاء والاحترام للكبار الخ ولانجد مثل هذه المشاعر فى كثير من حالات المسنين الحضريين من رجال الاعمال او الاثرياء او غير المحتاجين مادياً لذويهم وبعض الاسر القروية التى تعيش فى المدينة ولكنها تحتفظ بكثير من العلاقات الوطيدة بين الاجيال المختلفة .

---

١) فؤاد البهى ، مرجع سابق ، ص ٤٢٥ .

وقد تظهر حالات التعصب للمسنين فى المجتمع القروى خاصة اولئك الذين يعيشون فى ظل الاسر الممتدة حيث يتدخلون فى كل الامور التى تتعلق بحياة الاجيال العمرية الاخرى خاصة امور الزواج والتعليم .. الخ ويتعصبون لارائهم حول هذه الامور خاصة لو كانوا هم الذين سيتولون الانفاق المادى فى مثل هذه الاحوال .

ولا نجد مثل هذا التعب فى المجتمع البدوى الا فى حدود نادرة للغاية ، حيث لا توجد اى دواع او اية مبررات للتعب بين الاجيال بعضها البعض خاصة وان الاعراف والقيم البدوية قد حددت طبيعة العلاقات الاجتماعية بين مختلف الاعمار والاجناس تحديداً قاطعاً ولازماً بصفة عامة .

٧ - عندما لا يتقبل الآخرون ذلك التعصب بروح المشاركة والولاء فانهم يحسون فى اعماق انفسهم بانهم مضطهدون

وقد يحس كثير من المسنين فى المجتمع الحضرى خاصة الذين لا يشغلون وقتهم باشياء مفيدة ويحبسون انفسهم فى البيت وينتقدون كل شىء وينفعلون لاسباب تافهة ويشعرون بالاضطهاد من الآخرين ويذهبون الى بيت الابناء والاحفاد ينكرون جميلهم وسهرهم الايام والليالى على راحتهم وتفانيهم فى تربيتهم وتغلب هذه المشاعر بالذات على اولئك الذين يحتاجون مادياً الى ابنائهم واحفادهم

الا ان هذه المشاعر لا يحسها المسنون القرويون لانهم يسعدون خاصة فى الاسر الممتدة بكثرة الذرية وان هناك امتداداً طبيعياً وتعاقباً للاجيال حاملين للقب الجد ولا يشعرون بالاضطهاد الا فى بعض الحالات التى تريد الزواج فى سن متقدمة سواء فى وجود الجدة او فى حالة وفاتها ويجدون من اللوم والتوبيخ من الابناء والاحفاد ما يجعلهم يشعرون بالاضطهاد ولعوامل كثيرة منها اهتزاز صورة كبيرهم امام العائلات الاخرى وكذلك

عامل الميراث ومشاركة الزوجة الجديدة خاصة لو انجبت حيث وان كبار السن من البدو والقرويين دائماً عندما يتزوجون يجدون موافقة من النساء صغيرات السن ويكون فى اغلب الاحوال بدافع من اخذ نصيب من الثروة .

٨ - يؤدى بهم الشعور بالاضطهاد الى الاحساس العميق بالفشل وقد يتخذون سلوكاً معادياً فيجابهون الاضطهاد الذى يقع عليهم باضطهاد الآخرين .

وتبين ان الذين يحسون بهذه المشاعر او لتلك الذين كانوا يشغلون وظائف هامة او وظائف لها اهميتها فى التعامل مع العامة مهما كانت بساطتها فى المجتمع الحضرى خاصة بعد تجاهلهم من رؤسائهم او مرءوسيهم عند زيارتهم لاماكن اعمالهم لقضاء مصالحهم او بعض مصالح الآخرين فيشعرون بالفشل والندم والاحباط والكآبة على الخدمات التى قدموها لهؤلاء جميعاً بالامس وما يجازون به اليوم او تنكرهم لهم وعدم احترامهم وتبجيلهم ، كما يشعر بمثل هذه المشاعر ايضاً اولئك الذين يبتعد اولادهم واحفادهم عنهم ولا يترددون عليهم بصفة مستمرة ولا يهتمون بارائهم او قد يسمعونها ولا ينفذونها وهنا يحس المسنون بالنقص والكراهية للآخرين وانهم يجب ان يكون لهم سلوك معاد للاجيال الاخرى بخاصة القادرون مادياً او الذين لا يحتاجون من اولادهم سوى الود والالفة والتواصل الاجتماعى .

الا ان هذه المشاعر تكاد تكون قليلة للغاية فى حالة الاسر الممتدة فى المجتمع القروى ولكنها قد تظهر كثيراً فى حالة الاسر النووية خاصة بعد عمل الابناء بعيداً عن القرية واقامتهم فى المدينة او انفصالهم عن الاسرة فى سكن خاص بهم نتيجة لزواجهم من فتاة متعلمة او من حضرية .. الخ

وتبين ان هذه المشاعر تكاد تكون نادرة للغاية فى المجتمع البدوى خاصة وان الابناء او الاحفاد عندما يتعلمون خاصة الذكور لا ينفصلون عن منزل العائلة ويعيشون فى معيشة واحدة فى اغلب الاحوال ، كما ان السياج الاجتماعى والثقافى البدوى يحدد ويقنن العلاقات والتواصل والتفاعل والتراحم بين الاجيال بعضها البعض ويحدد الحقوق والواجبات الملزمة لكل الطبقات العمرية المختلفة بما يحقق التوازن والاستقرار والتكامل فى هذا المجتمع .

وهكذا نرى انفعالات الشيوخ هى فى جوهرها مزيج من انفعالات الحياة كلها ، من طفولتها الى شيخوختها ونهايتها وقد يحدد نوعها وتواتر ظهور بعضها واختفاء البعض الآخر ، ومدى تكيف الفرد مع نفسه وما يطرأ عليها من تغيرات ومدى تكيفه لبيئته وما يعتريها من تطور ومدى تقبل الناس للشيوخ ومدى اهمالهم لهم .

الانفعال الجنسى من الرشد الى الشيخوخة

تختلف مستويات النشاط الجنسى فى قوتها وضعفها تبعاً لاختلاف جنس الفرد ذكراً كان ام انثى وتبعاً لتباين مراحل الحياة التى يجتازها الفرد فى نموه من الرشد الى الشيخوخة .

ويصل نشاط الغدد التناسلية الانثوية الى ذروته القصوى فيما بين ٢٥ - ٣٠ سنة وتعد تلك الفترة من حياة الانثى اخصب مراحل انجاب الاطفال ثم ينحدر هذا النشاط حتى يصل الى نهايته الدنيا عند انقطاع الحيض فيما بين ٤٠ - ٥٠ سنة .

وحينما ينقطع الحيض تخطو المرأة خطوتها الاكيدة الى منتصف العمر وتتحرر من وظيفتها كمصنع للبشرية وانجاب الاطفال الى كائن يعيش لنفسه اكثر مما يعيش لغيره .

ويؤدى انقطاع الحيض الى ازمة نفسية حادة ، تمر بها الانثى ثم ما تلبث ان تتغلب عليها وتتقبل حياتها كما هى ، وتتكيف لوضعها الجديد وتؤثر هذه الظاهرة على سلوكها فتميل الى السوك العدوانى والكآبة وينتابها الارق والصداع ويضطرب جهازها الهضمى ويكثر احساسها الشديد بالارهاق والتعب ويختل اتزانها الانفعالى فتثور لأتفه الاسباب .

ويقل إفراز الهرمونات الانثوية ، وتزداد تبعاً لذلك الهرمونات الذكرية ولذلك تميل الانثى فى سلوكها الى مظاهر الرجولة وينبت الشعر بغزارة فى وجهها وخاصة فى الاماكن التى كان ينحسر عنها فينبت شاربها ، وتظهر لحيتها ويزداد صوتها خشونة [1] .

ويتأخر ظهور علامات الضعف الجنسى عند الذكور الى ان يصل عمر الفرد الى ستين او سبعين عاماً وقد سجل بعض الباحثين ملاحظاتهم عن شيوخ انجبوا اطفالهم وهم فى الثمانين من عمرهم .

ويصاحب الضعف الجنسى عند الذكور بعض الاعراض الانثوية الثانوية مثل نعومة الصوت والانحسار الجزئى للشعر عن الشارب واللحية ، وذلك لزيادة نسبة الهرمونات الانثوية عند الرجال عما كانت عليه فى شبابهم .

وهكذا يتطور النمو بالذكور والاناث الى مرحلة جديدة قد يستطيع ان نسميها المرحلة الجنسية الثالثة لانها ليست ذكرية ولا انثوية ولكنها حيادية .

ويتطور الانفعال الجنسى الى عاطفة الابوة والامومة وتبلغ هذه العاطفة شدتها فى الرشد والسنين الاولى لمنتصف العمر وذلك عندما يكون الجيل الجديد فى حاجة الى رعاية جيل الآباء والامهات ثم يضعف حدة هذه العاطفة وتتغير بعض مكوناتها الرئيسية عندما ينسلخ الجيل الجديد من الجيل الذى انجبه وانشأه [2] .

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ص ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ص ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .

وتبين بالفعل تدرج هذا الانفعال الجنسى عبر الثقافات المختلفة البدوية والقروية والحضرية كما اوضحته من خلال عرضى فى طبيعة التكوين الجسمى للمسنين فى الثقافات المختلفة الا اننى لاحظت اهتمام وولع المسنين الذكور من البدو خاصة بالحياة الجنسية حتى آخر العمر بل انهم يقبلون على الزواج حتى لو تخطوا سن الثمانين ولا يجدون معارضة من الابناء والاحفاد كما هو الحال فى المجتمع الحضرى الى حد كبير والقروى الى حد بسيط وهذا سر تعدد الزوجات فى المجتمع البدوى .

وتبين ان المسنين البدو عامة وبعض اثرياء القرية من كبار السن وكذلك بعض اثرياء المجتمع الحضرى عندكا يقبلون على الزواج فى سن متقدمة يكون دافعهم فى اغلب الاحوال دافعاً جنسياً رغم انهم يظهرون غير ذلك ويذهبون بان دافعهم الاهتمام بشئونهم وتلبية مطالبهم خاصة فى المجتمع القروى والحضرى .

ولقد لاحظت ان اهتمام المسنين البدو باشباع الحياة الجنسية مقرون بالرغبة فى الانجاب ويشهد على ذلك انجاب كثير من المسنين البدو حتى سن متقدمة تخطت الثمانين فى بعض الحالات وكذلك فى القرية خاصة وانهم يفضلون الزواج من نساء صغيرات السن ومرد ذلك رغبة فى الانجاب حيث ان النساء فى تلك المرحلة العمرية يتميزن بخصوبة الهرمونات الانثوية .

كما لاحظت تقرب بعض المسنين القرويين للنساء والفتيات صغيرات السن والتلميح لهن ببعض الكلمات المعسولة والاشارات وابداء الرغبة فى الزواج والمدهش ان الفتيات سواء القرويات او المتعلمات منهن يحببن الاستماع الى هذا الغزل ويأخذنه من طابع الضحك والمزاح الا اننى لمحت من عيون الكبار وملامحهم وقت اطلاق هذه العبارات وكذلك من اللمسات

المقصودة عند المصافحة ان ما يقصده بعض الكبار غير ما يقصده الصغار .

ولا حظت بعض هذه العلامات الكلامية والحسية عند بعض اثرياء المدينة خاصة اصحاب المعاشات الكبرى او التجار خاصة اولئك الذين تتيح لهم علاقاتهم المتعددة سواء من خلال الزيارات المنزلية او طبيعة الاعمال الحرة الدخول فى علاقات قرابية او جيرة او صداقة للابناء والاحفاد او حتى علاقات عمل .

وما يهمنى فى هذا ان اؤكد ان المظاهر السلوكية عند كبار السن من البدو بصفة خاصة والقرويين من الاثرياء الى حد كبير تبدى اهتماماً وانفعالا جنسياً كبيراً حتى لو كان فى الخيال للمسن نفسه ويقترب من ذلك بعض اثرياء المدينة .

الفصل الثالث

التكوين العقلى للمسنين فى الثقافات المختلفة

مما لا شك فيه ان ضعف الترابط العصبى وضعف النشاط الحسى وقلة النشاط الحركى والاجتماعى لها جميعها اثرها البعيد فى الحياة العقلية الادراكية لدى الشيوخ ، فالحواس وهى منافذ الاتصال بالعالم الخارجى لا تقوم اليوم بنشاطها المعهود لدى الفرد فى شبابه واواسط عمره ، وكذلك الحال فى المراكز العصبية والاطراف المعنية ، وكل ذلك يؤدى بدوره الى ضعف النشاط الادراكى من انتباه وتعلم وتذكر وتصور وتفكير ويزداد معه النسيان والشرود .

كما ان العجز الادراكى يتأخر عن العجز الجسمى سنوات ولذا فإن التقاعد فى الاعمال العقلية يتأخر سنوات عديدة عن التقاعد فى الاعمال اليدوية والجسمية وقد يستمر الانتاج الادراكى والعمل الى العقد الثامن والتاسع من اعمار العلماء والاعلام وهم فئة نادرة فى المجتمعات (١) .

ولقد تبين ان ظروف البيئة الطبيعية والطبيعة الصحراوية فى المجتمع البدوى تتيح باتساعها الشاسع لزيادة النشاط الحركى الاجتماعى لدى المسنين خاصة وانهم يشكلون الزعامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعليهم من الالتزامات الاجتماعية واعمال الضبط الاجتماعى على صعيد المجتمع البدوى عامة عبر تلك الصحراء الشاسعة

ولقد كان للهدوء البيئى وقلة تلوث الهواء والمياه بصورة كبيرة عما هو سائد فى المجتمع القروى الى حد بسيط و المجتمع الحضرى الى حد كبير

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ص ٣٥٦ .

ان ادى هذا الى زيادة قوة الابصار لدى البدو وقوة حاسة السمع واحساسه بالحركة عن بعد وقدرته على تحديد الوقت بعلامات بيئية وقدرته على سماع اى صوت على بعد عدة كيلومترات ، وهو بهذا يتفوق الى حد بسيط عن قرينه فى المجتمع القروى خاصة اولئك الذين لا يزالون يمارسون العمل الزراعى حتى لو كان اشرافياً حيث الهواء النقى وطبيعة الهدوء النسبى فى الحقول الخضراء .

بينما الحال كذلك نجد المسنين فى المجتمع الحضرى يعانون من تلوث المياه وتلوث الهواء ومشاكل الضوضاء التى باتت تحاصرهم من أستخدام الاجهزة المنزلية الحديثة داخل المنزل وخارجه بل وضوضاء السيارات وعادمها الذى بات يقتحم عليهم خلوتهم فى منازلهم وهذا بالقطع قد اثر على قوة السمع والابصار والحواس بصفة عامة عند المسنين الحضريين .

وتبين ان الظروف البيئية وطبيعة الحياة الاجتماعية السهلة والحياة النفسية الهادئة التى تحيط بالمسنين من الجنسين فى المجتمع كان لها اثر كبير فى شدة انتباه وتركيز وعدم شرود ونسيان هؤلاء المسنين حتى سن متقدمة للغاية ، فى حين نجد عكس ذلك تماماً فى المجتمع الحضرى فيما عدا اولئك الذين لا يزالون قادرين على العطاء ومن العلماء والمفكرين ورجال الاعمال الحرة حيث ان طبيعة عمل هؤلاء تعتمد اساساً على النواحى العقلية اكثر من النواحى الجسمية ولذا يستمر عطاؤهم وقوة تركيزهم وانتباههم حتى فترة متقدمة من العمر .

الا اننا نجد عكس ذلك تماماً بالنسبة للمسنين الذين كانوا يعملون بأعمال تعتمد اساساً على الجهد الجسمى واولئك الذين لا يعملون بعد

احالتهم الى المعاش اما لدواعٍ صحية أو لدواعٍ اجتماعية واولئك الذين يعيشون فى عزلة عن اهلهم وذويهم وهؤلاء دائماً يعيشون فى شرود وهذيان ونسيان ويكونون فريسة سهلة للأمراض النفسية .

ولمست ان المسنين فى المجتمع القروى يعيشون فى دائرة وسط بين المسنين البدو والمسنين الحضريين خاصة الذين يملكون الثروة والسلطة او الذين يعيشون فى اسر ممتدة وسط اهلهم وذويهم او اولئك الذين لا يحتاجون مادياً لأحد ، اما غير اولئك فيعيشون حياة اكثر شروداً او عدم القدرة على التفكير المتزن .

ويمكننا التعرف على طبيعة التكوين العقلى للمسنين فى الثقافات المختلفة من المعالجة التالية :

١ - ادراك الزمن فى الشيخوخة :

يتأثر ادراك الفرد الانسانى لمدى الفترات الزمنية بمراحل التكوين الجسمى والنفسى ، كما يتأثر ذلك الادراك بما له فيها من أمال وألام ، فالفرد عندما يسترجع حوادث حياته السابقة يدرك مدى تقديره للسنوات الماضية او السنة او الشهر او الساعة التى يختلف عن مدى ادراكه لها الآن فى مرحلته الراهنة ، فادراك الطفل يبدأ بادراك الزمن الحاضر لاتصاله المباشر بعالمه المحسوس ، ثم انه يدرك المستقبل القريب ثم الماضى فى حياته وحياة الآخرين . والادراك الزمنى لطفل فى سنته العاشرة مثلاً للعام الدراسى او للعطلة الصيفية تستغرق مدى اطول من احساس الشاب الجامعى ، وكلما تقدم الانسان حثيثاً فى مراحل العمر احس ان الزمن يجرى بسرعة اشد ، فاذا بالكهل او بالشيخ يشعر ان سنواته تطير بسرعة

لتتكدس مع غيرها من السنوات الماضية ، فالطفل يشعر ان الزمن بطيء ثقيل الحركة فالامس او الغد عنده بعيد الشقة من يومه الحاضر ، بينما يشعر الشيخ ان السنة لاتبدأ حتى تنتهي سريعاً ثم لتلحقها الاخرى وهي اشد سرعة منها (١) .

وتقوم عملية الادراك على مدى قدرة الفرد على تصنيف المعلومات التي يدركها اكثر مما تقوم على النواحي الحسية ومعطياتها وذلك حينما يحاول الفرد ان يربط بين الموقف الخارجي وبين الخبرات السابقة التي مرت به .

وتزداد صعوبة عملية الادراك وتكثر بها الاخطاء بعد سن الرشد ولذلك تتطلب هذه العملية وقتاً اطول عند الشيوخ عما كانت تتطلبه منهم وهم في رشدهم واكتمال نضجهم .

وتؤثر ضعف القشرة المخية في عملية الادراك نتيجة زيادة السن وخاصة بعد الرشد ، وضعف المداخل الجنسية للادراك مثل الادراك البصري والادراك السمعي (٢) .

مما هو جدير بالذكر ان الوقت وادراكه بالنسبة لغالبية البدو لا يعد عنصراً نادراً ، ومن هنا كان التكالب والصراع على الحياة ضئيلاً للغاية وانما الذين يعملون للوقت حسابا ويدركون اهميته هم كبار السن والمكلفون الذين تقع عليهم مسئوليات عائلية واولئك يديرون شئون القبيلة او اولئك الذين لديهم مشروعات تجارية او مشروعات زراعية .

---

(١) عبد الحميد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، دار المجمع العلمي بجدة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٦

(٢) فؤاد البهي السيد ، الاسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٨ ص ص ٢٨١-٢٨٢

كما أن البدو بصفة عامة والمسنين بصفة خاصة يستطيعون حساب المواعيد بكل دقة بنظرتهم للسماء او بمتابعتهم لظلال الشمس على الارض دون النظر الى ساعات اليد او ساعات الحائط كما هو الحال فى نمطى القروى والحضرى ، ويرحب البدو بصفة عامة وكبار السن بصفة خاصة بتقدم العمر به سنة بعد اخرى ويفرح ويبتهج لذلك حيث ان هذه السنوات ستزيده احتراماً ووقاراً وترفع من مكانته بين اهله وعشيرته وستزيد من مسئولياته التى يتحملها بكل ثقة وهو بهذا اسعد حالاً من قرينه فى المجتمع القروى خاصة الذين تأثروا بملامح الحياة الحضرية فى القرية المصرية ما عدا الذين يعيشون فى ظل الاسر الممتدة او من بيدهم الثروة والسلطة وعكس الحال تماماً للمسنين فى المجتمع الحضرى فيما عدا الاثرياء او من لديهم اعمال حرة ويتمتعون بالصحة او بعض الذين يعيشون فى معيشة واحدة مع ابنائهم او بعض من ينتمون الى جذور قروية

وتبين ان البدوى عامة والمسن بصفة خاصة لا ينظر الى للخلف ابداً ولا يميل الى العزلة او حياة الكآبة ويحب المرح والبساطة ولا يحسب للزمن حساباً ولا يخافه فهو يترك كل الامور لله سبحانه وتعالى ولا يسترجع شريط الذكريات وحسابات السنين كما هو الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير الا بدافع الارشاد للطبقات العمرية الاخرى او بدافع المرح فقط ، لذا لا يعانى المسنون البدو من اى امراض نفسية وفى حالات قليلة قد يعانى الطاعنون فى السن امراضاً عضوية عكس حال المسنين القرويين والحضريين وسيرد ذكر ذلك تفصيلاً فى موضع آخر

واذا كان المسنون من البدو لا يحسون بانسحاب سنوات عمرهم

بسهولة منهم فإن المسن القروى يحسها الى حد كبير ويعيرها اهتماماً خاصة اولئك الذين يعانون من امراض عضوية من الملاك ودائماً يذكرون اولادهم واحفادهم بأن النهاية قد قربت وانهم سيرثون قريباً .. الخ .

وبناء عليه نجد ان ادراك المسن للزمن بصفة عامة فى الثقافات المختلفة يتوقف الى حد كبير على مدى احساسه بالصحة والعافية وتكوينه النفسى ، ولذا كان المسن البدوى اوفر صحة جسمياً واكثر استقراراً نفسياً عن قرينه فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمسن الحضرى الى حد كبير وهذا مرده طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى يحياها فى نعيم وتواصل مع الاجيال العمرية الاخرى وفى ظل ظروف بيئية وطبيعية اكثر هدوءاً واقل تلوثاً .

٢ - فقدان الذاكرة والنسيان .

تتأثر الذاكرة ضعفاً بالشيخوخة تأثراً بعيداً اذ تمسح يد النسيان على كثير من صفحاتها اولاً بأول ، وفى هذا ينطبق قانون (ريبو) الشهير فى النسيان وهو ان الذكريات تنسى بترتيب عكسى بالنسبة لظهورها ، وهذا بعكس مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب حيث تكون الامور القريبة والحديثة اشد تذكراً وذكرياتها اكثر وضوحاً ، وكلما ابتعدت الامور عن الحاضر واوغلت فى الماضى كانت الى النسيان اقرب وفى الاهمال الصق .

ويتسرب النسيان فى مرحلة الشيخوخة الى الامور القريبة لجدة حدوثها وضعف آثارها العصبية ، بينما تظل الذكريات الماضية حية ماثلة ، فهو يتذكر جيداً مراتع الشباب وملاهى الطفولة وايام ولادة ابنائه وساعاتها وفصولها وامكنتها ، بينما قد ينسى نوع الطعام الذى كان فى عشائه

بالامس ، وهذا اثر من آثار ما يطرأ على دوره النمو فى الشيخوخة من تغير عميق ولا سيما فى الجهاز العصبى والغدى

وفى هذه المرحلة من تقدم العمر تكثر عادة الامراض العقلية المتصلة بالذاكرة كمرض الذهن او السرحان واعراضه كثرة النسيان وضعف الارتباط بالماضى (١) .

ولما كانت ظروف الحياة التى تحيط بالبدو بصفة عامة وبالمسنين بصفة خاصة اكثر هدوءاً واقل تلوثاً واكثر ترابطاً اجتماعياً واكثر دفئاً اجتماعياً ووداً و محبة وألفة واقل طموحاً واكثر واقعية وتقترب اليها بصورة ما الظروف الحياتية التى تحيط بالمسنين القرويين وتكون الصورة عكسية الى حد كبير بالنسبة للمسنين فى المجتمع الحضرى لعوامل متعددة سبق ذكرها فى اكثر من موضع فى متن البحث فإن المسنين البدو لا يفقدون الذاكرة الا فى حالات نادرة للطاعنين فى العمر ويتمتعون بقدرة تفوق المسنين القرويين والحضريين الى حد كبير فى التذكر وعدم النسيان ومرد ذلك عدم التفاتهم الى الماضى كثيراً ويعيشون يوماً بيوم ، ولم يتعرضوا لضغوط اجتماعية وبيئية ونفسية واقتصادية فى مراحل حياته العمرية المختلفة سواء اكانت فى الطفولة او المراهقة او الشباب حيث ان الثقافة البدوية بخصوصياتها الثقافية المتميزة عن خصوصيات الثقافة القروية والحضرية قد حددت الحقوق والواجبات المرتبطة بالفئات العمرية من الجنسين تحديداً قاطعاً ولازماً واستطاعت ان تحل فى ضوء الظروف المجتمعية وفى اطار القانون العرفى الغالبية العظمى من المشاكل والمنازعات

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٣٥٦

التى قد تستغرق سنوات طويلة لحلها فى نمطى المجتمع القروى والحضرى .

وخير دليل على تمتع المسنين من البدو بالقدرة على التذكر وعدم النسيان لمراحل عمرية متقدمة انهم يشكلون السلطة السياسية والقانونية ويشكلون فئة رجال الاعمال واصحاب القرار فى ذلك النمط المجتمعى واستطاعوا ادارة مجتمعهم فى ضوء اللا مركزية فى الحكم المحلى .

الا اننى لمست النسيان والشرود جلياً لدى المسنين فى المجتمع المحلى خاصة اولئك الذين عاشوا حياتهم فى كفاح مضنٍ من اجل سعادة اولادهم ثم ابتعدوا عنهم لظروف العمل او تكوين اسر اخرى او اولئك الذين يحتاجون الى من يعولونهم فهؤلاء يعانون كثيراً فى قدرات التذكر والتركيز واعتقدوا انهم يحاولون استرجاع الماضى ليعاقبوا انفسهم على عدم وفاء الآخرين .

٣ - ضعف الانتباه وعدم القدره على التركيز الطويل

يعانى الانسان بصفة عامة اذا جاوز السبعين ضعفاً ملحوظاً فى قدرة حواسه على استقبال المثيرات الخارجية ، كما انه يعانى ارهاقاً فى نشاطه العصبى ، وهذه كلها عوامل تؤدى الى ضعف انتباهه فهو قليل الصبر على السماع الطويل ، لا يستطيع التركيز طويلاً فى موضوع واحد وهو منهمك فيما يعانيه من صنوف الضعف ، شديد السرحان يستقطب نشاطه الفكرى عادة حول امور شخصية او فكرية ضعيفة محدودة ، ولا يسمح لنفسه

بالخروج بعيداً عن نطاقها .

وهو لذلك ضعيف الاتصال نسبياً بما يجرى حوله اذا قورن فى مرحلة شبابه واواسط عمره السابقة ، فهو يرى او يسمع ولكنه فى شغل آخر شاغل له عما حوله (١) .

ويؤكد لنا الواقع الامبيريقى فى المجتمع البدوى عكس هذه الامور الى حد كبير حيث نجد المسن حتى فترة متقدمة عن السبعين يتمتع بقدرة كبيرة على السمع والرؤية لمسافات طويلة وتمييز الافراد واسمائهم ولا يعانى ارهاقاً فى نشاطة العصبى ومرد ذلك الظروف البيئية والاجتماعية والنفسية للحياة عامة فى المجتمع البدوى ، ونجد كبار السن من العواقل والمشايخ يتمتعون بقدرة كبيرة على الانتباه والتركيز والاستماع فى المجالس العرفية حتى تحل المشاكل بالعدل وبما يرضى به الطرفان المتنازعان ودليل على قوة انتباه وتركيز البدوى عن قرينيه فى المجتمع القروى والحضرى هو انه دائماً فى تواصل وتفاعل مع الطبقات العمرية الاخرى ودائماً فى مجالس عرفية او فى زيارات عائلية او فى أداء بعض الالتزامات الخاصة بالمناسبات المختلفة فى المجتمع البدوى لذا فهو دائماً فى حركة وتواصل وتفاعل ولا يخلد الى نفسه الا عند النوم وهنا لا يقع فريسة للسرحان او يعيش داخل نفسه فهو مقبل على الحياة ، لديه امور يجب القيام بها له دوره ومكانته التى لا يتركها الا عند الموت او المرض العضال فقط .

وهذه الصورة تختلف اختلافاً عكسياً فى المجتمع الحضرى بالنسبة

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ص ٢٥٧ .

للمسنين اصحاب المعاشات او من يعيشون فى عزلة او فى وحدة او من لا يشغلون وقت فراغهم بالهوايات المختلفة او اولئك الذين لا يذهبون الى المسجد او الكنيسة او اولئك الذين لا يعملون بأى عمل من الاعمال بعد الخروج على المعاش ، فما هو الحال بالنسبة للمسن اذا عاش وحيداً بعد وفاة زوجته وبعد الاهل والخلان والاولاد والاحفاد عنه ولا يجد من يتفاعل معه او يتبادل معه الاحاديث المختلفة ، وبناء عليه يعانى هؤلاء المسنون من ضعف الانتباه وعدم القدرة على التركيز نتيجة الحياة والسرحان مع شريط الذكريات الاليمة وحساب السنين التى لا تنتهى طالما هو على قيد الحياة الا اننى وجدت ان المسنين القرويين قد يتمتعون بقدرة على الانتباه والتركيز الطويل خاصة الذين لا يعانون من امراض عقلية والذين يعيشون فى سعة واولئك الذين يعيشون فى اسر ممتدة وبيدهم القرار والسلطة ويشتركون فى حل المنازعات والمشاكل بين العائلات وبعضها بعيد عن ساحة المحاكم .

اما الذين يعيشون بمفردهم ويعانون من سوء الاحوال الصحية والمادية فهم لا يقلون شروداً او سرحاناً من اقرانهم فى المجتمع الحضرى .

هذا ان دل على شىء انما يدل على ان الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى يحياها المسن فى الثقافات المختلفة والتى لها آثار متعددة سواء بالسلب او الايجاب على قدرته على الانتباه او ضعفه او التركيز من عدمه ومن ثم الاقبال على الحياه من عدمه .

٤ – ضعف القدره على التفكير المتزن الموضوعى

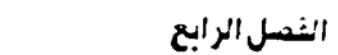
لما كانت الشيخوخة تتميز من اضطراد فى النسيان واضطراب فى استعادة الخبرات ، وضعف فى تركيز الانتباه لما يجرى حوله ، كل ذلك مما

يجعل التفكير الموضوعى امراً صعباً للفرد فى هذا العمر ، لا سيما اذا تخطى الثمانين لدى اكثر الافراد فهو بحاجة الى هدوء عقلى وراحة فكرية لا تتطلب اجهاداً ولا تركيزاً (١) .

ولقد تبين ان المسنيين البدو يمتعون بقدرة اكبر على التفكير المتزن والموضوعى حتى مراحل متقدمة من العمر تفوق قرناءهم فى المجتمع القروى والمجتمع الحضرى وخير دليل على ذلك تمركز السلطة فى ايديهم واتخاذهم القرار فى كافة الامور التى ترتبط بالطبقات العمرية المختلفة من زواج وطلاق وميراث وحتى التعليم ، ويرجع ذلك لتمتعهم بالهدوء النسبى البيئى وبعدهم عن مشاكل التلوث وبعدهم عن مظاهر الحضرية التى عصفت بكثير من ملامح الحياة التقليدية فى القرية ، كما ان المسنين فى المجتمع البدوى لا يقعون فى صدام وخلاف مع الاجيال العمرية الاخرى الا فى حدود ضيقة للغاية وهذا يساعدهم كثيراً عن البعد عن كل ما يسبب الشرود والتشتت والنسيان والسرحان ومشاعر الانانية والخوف والحذر التى تسود الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ص ٢٥٨



الفصل الرابع

التكوين الاجتماعى للمسنين فى الثقافات المختلفة

التكوين الاجتماعى للمسنين فى الثقافات المختلفة .

مما هو جدير بالذكر ان الحياة الاجتماعية لافراد هذه المرحلة تتسم بفتور عام هو نتيجة الفراغ الاجتماعى الذى يجد فيه المسن نفسه وحيداً ، وقد تفرق عنه الاهل والاقرناء فالحياة الاجتماعية انما تنشط مع اقرناء العمل فى حياة العمل او مجال الهوايات وهذه كلها تتقلص مساحتها بعد الاحالة الى التقاعد وازدياد الضعف الجسمى العام .

الا اننا نجد ان الحياة الاجتماعية للمسنين تختلف من ثقافة الى اخرى حسب ما تقره المضامين الثقافية من تحديد قاطع وحازم لطبيعة العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الاجيال بعضها البعض والمراكز والادوار خلال المراحل العمرية المختلفة وهذا ما ستوضحه الدراسة الميدانية .

وفيما يلى اهم ما تتميز به الشيخوخة من خصائص اجتماعية عامة وهى :-

١ - الشعور بالوحدة الاجتماعية

تتميز الحياة الاجتماعية للشيوخ بفراغ يتخلل حياتهم وذلك نتيجة حتمية لتفرق اولادهم فى شئون الحياة ، فالانسان حين يتجاوز الستين عاماً فهو على اقل تقدير اب لشاب فى العقد الثانى والثالث من عمرهم وقد تزوجوا فانصرفوا مع زوجاتهم لاقامة حياة جديدة يقضون معها جل وقتهم ولنا ان نتصور ما يعانيه المسن وقد تفرق اولاده وتباعدت بهم المنازل واسباب

١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ص ٢٥٥ .

العيش ووسائل الترفيه بينما ظل هذا الشيخ حتى اواخر العمر وحيداً فى نفسه وان كان يعيش معهم فى منزل واحد الا انهم منصرفون عنه .

كما ان ما يزيد هذا الفراغ الاجتماعى لديه نكداً تفرق اصدقائه فى الشباب وزملائه فى العمل او موت بعضهم وتزداد الوحدة الاجتماعية شدة ومراره مع موت احد الزوجين ليترك الاخر مترملاً مهيض الجناح بعد ان فقد شريكه فى الحياه منتظراً يومه الآتى (١) .

وتبين ان المسنين فى المجتمع البدوى لا يشعرون بالوحدة والعزلة الاجتماعية ولايشعرون بالفراغ لعدة اسباب نجملها فيما يلى

١ - ان البدوى يظل طيلة حياته يعمل ويسعى ويشرف على جميع الاعمال التى تقوم بها الطبقات العمرية المختلفة وهو الذى يقسم الاعمال فيما بينهم ، وحتى فى حالة استقلالهم بمشاريع تجارية تحت اشرافه وبإمكانياته المادية

٢ - ان المسنين البدو هم عواقل ومشايخ المجتمع البدوى وهم الذين يتنقلون هنا وهناك لحضور المجالس العرفية وحل كافة القضايا والنزاعات التى تقوم بين القبائل وبعضها .

٣ - ان المسنين البدو يتزوجون فى اى وقت يشاءون ودون اى اعتبار للسن ونادراً ما نجد بدوياً ليس له اكثر من زوجة وسبق ان شرحت تفصيلاً كيف ان تعدد الزوجات وكثرة الانجاب قد حولت حياة المسنين فى هذا المجتمع التقليدى الى الهدوء والسعادة والاستقرار عكس الحال فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمجتمع الحضرى الى حد كبير

---

(١) عبد الحميد الهاشمى . مرجع سابق ص ٣٥٩

٤ - لا يشكل موت احد الزوجين مشكلة فى المجتمع البدوى بل من حق المسن خاصة الزواج حتى سن متقدمة ولكن لا يتخلى دائماً عن زوجته الاولى ولا الزوجة الاخيرة ، حيث تلعب المسنة (الزوجة الاولى) دور الحماه للزوجات الاخريات ويحتفظ بالزوجة الصغيرة لانها اصغر سناً وتجعله يتمتع بالحياة من جديد خاصة وان دافعه من الزواج المتكرر هو الانجاب ولهذا السبب ينجب المسنون حتى سن متقدمه للغاية .

٥ - البدوى لا يرتبط بأى اعمال حكومية الا فى حدود ضيقة للغاية ويكون دخوله للحياه العملية مبكراً وخروجه منها متأخراً ولا يقعده عن السعى الا المرض العضال خاصة وان مسئولية العائلة جميعاً تقع على عاتقه والمسن البدوى يفضل دائماً الا يحتاج لاحد مهما كان حتى ابنه عكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى والمجتمع القروى .

٦ - المسن البدوى يعيش دائماً ومعه ابناؤه المتزوجون واحفاده المتزوجون فى معيشة واحدة ومسكن واحد وعندما يشترى الملبس فإنه يشترى للشباب نفس اللون وللصغار لون واحد وهذا ان دل على شىء يدل على مدى المساواه بين جميع الشباب والاطفال من الزيجات المختلفة .

٧ - يتمتع البدو من مختلف الاعمار بهوايات متعددة تلازمهم حتى الموت مثل ركوب الخيل وهواية الصيد بانواعه وهم يتنقلون فى جماعات وراء الصيد فى البرارى والمستنقعات ويكون لكبار السن دور هام فى رحلات الصيد بالاضافة الى الهوايات والالعاب التى تخص كل فئة عمرية وقد حددتها الثقافة البدوية تحديداً قاطعاً ومتميزاً .

٨ - تمتع المسنون البدو بالهدوء البيئى والهدوء النفسى والطعام الصحى جعلهم اكثر اقبالاً على الحياة واكثر حباً للحياة واكثر ميلاً للسعى والترحال

ويمكن القول ان البدو من مختلف الاعمار سائحاً بالفطرة .

وتبين ان المسنين القرويين لا يشعرون الى حد كبير بالعزلة والوحدة الاجتماعية الا فى حالة الاسر النووية ويرجع ذلك لما يلى : -

١ - ان القروى بصفة عامة يدخل الى الحياة مبكراً ويخرج منها متأخراً وعندما يصل لمرحلة كبر السن يقوم بالاشراف على العمليات الزراعية وتسويق المنتجات الزراعية والذهاب الى السوق لشراء لوازم العائلة

٢ - لا ينفصل الابناء عند الزواج عن المسنين خاصة فى الاسر الممتدة وبصفة خاصة الابناء لارتباطهم بالعمل الزراعى وهذا بعكس الحال بالنسبة للابناء الموظفين الذين ينفصلون عن العائلة-ولكنهم يرتبطون بها خاصة لو كانت هذه العائلات ذات سطوة ونفوذ وثروة وهى فى الغالب تكون فى يد المسن .

٣ - من الممكن ان يتزوج المسنون القرويون من الاثرياء فى حالة موت الزوجة او فى وجودها وقد تنشأ نزاعات كثيرة خاصة بالميراث والثروة فى حالة الانجاب من الزوجة الجديدة .

٤ - العادات والتقاليد القروية تحث على تعليم الدين الاسلامى الحنيف على البر بالوالدين وبكبار السن ، كما ان هذه العادات والقيم تشكل ضبطاً اجتماعياً غير رسمى على سلوك الابناء والاحفاد تجاه الاباء والاجداد وهنا يحرص القرويون على تفادى السخط الاجتماعى سواء داخل دائرة القرابة او خارجها .

٥ - لا يعانى المسنون بالوحدة او العزلة فى حالة سفر الابناء والاحفاد

الى العمل بالخارج وذلك لتعدد العلاقات القرابية وعلاقات المصاهرة التي توجد تفاعلاً وتواصلاً ممتداً بين الاجيال والطبقات العمرية المختلفة .

وتبين ان المسنين فى المجتمع الحضرى اكثر شعوراً بالوحدة والعزلة الاجتماعية ويرجع ذلك للأسباب الآتية :-

١ - طبيعة الحياة الحضرية وطبيعة اماكن السكن (الاقامة) التى توجب انفصال الابناء والاحفاد عن الآباء والاجداد عند الزواج وفى حالة الاقامة معهم للضرورة القصوى ، وقد يخلق ضيق المسكن وضوضاء الاولاد ضغطاً عصبياً للمسنين وفى حالة اقامتهم فى اماكن مستقلة وعدم التردد عليهم فيعانون من الوحدة .

٢ - الاحالة للتقاعد بالنسبة لاولئك الذين يعملون بالمصالح الحكومية والشركات ويعدهم عن الاضواء والمراكز المرموقة والحقوق والواجبات التى كانت تقع عليهم نتيجة شغل هذه المناصب وكانت تجعل لحياتهم معنى ومغزى اجتماعى .

٣ - موت احد الزوجين خاصة وان المسن فى المجتمع الحضرى لا تكون فرصة الزواج متاحة له وقد تواجه بمعارضة شديدة من الابناء لو كان ثرياً وقد يفضل المعيشة وحيداً منعزلاً فى انتظار الموت بدلاً من الدخول فى صراع ومشاكل لا يستطيع مواجهتها جسمانياً وعصبياً .

٤ - قلة الهوايات لاغلب المسنين فى المجتمع الحضرى خاصة وان ممارسة هذه الهوايات قد يحتاج الى اموال لا قبل للمسن عليها ،

٥ - صعوبة المواصلات وعدم استطاعة المسنين التحرك بسرعة ايقاع الحياة فى المدينة تجعلهم يؤثرون الوحدة والتحرك فى نطاق ضيق مما

يجعلهم اكثر ميلاً للعزلة .

٦ - انشغال الابناء والاحفاد فى حياتهم الجديدة وترددهم على كبار السن فى المناسبات والاعياد وهذا يجعل المسنين اكثر سخطاً وتزمراً او يعيشون فى قلق واكتئاب نفسى ويحسون انهم قد قدموا كل شىء ولم ينالوا اى شىء .

٢ - ضعف المرونة الاجتماعية

من الطبيعى ان تتكون مع الفرد في حياته عادات وانماط من السلوك الفردى والاجتماعى وكلما تقدم العمر بالانسان ازدادت هذه العادات والانماط رسوخاً وثباتاً حتى اصبحت جزءاً لا يتجزأ من مقومات شخصيته الفردية المتمايزة وهذا سبب من اسباب معارضة المتقدمين فى السن لكل تغيير اجتماعى ، فالانسان وقد تخطى الخامسة والخمسين من عمرة قد اعتاد على اعمال وطرق خاصة للقيام بتلك الاعمال ، فيكون من الصعب عليه ان يحل طريقة جديدة محل القديم ، وهناك ميل لدى المسن الى الاستمرار فى نوعية السلوك ونمطه ، فالجديد يحتاج استعماله وقتاً وتدريباً وهذا ما يثبط همة الهرم لابد استعمال القديم وتقبله فى هذا العمر ايسر واسهل من الجديد [١] .

وبناء عليه فإن هذا الجمود وضعف المرونة يتفاوت فى الانماط المجتمعية المختلفة والثقافات المختلفة خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على القديم ومدى تقبل التغيرات او الرغبة فى التغيير والتجديد ويمكننا التاكد بأن تمسك الانسان فى اى ثقافة وبخاصة المسنون على العادات والتقاليد او مظاهر

---

(١) محمد لبيب النجيحى ، الاسس الاجتماعية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٦ .

الحياة القديمة المألوفة بالنسبة لهم قد تكون لامور شخصية بحتة او لنواح نفسية او بغرض المحافظة على وجودهم انفسهم كما هو الحال فى المجتمع الحضرى .

وتبين ان تمسك المسنين البدو بالقديم وعدم التكيف او تقبل كل ما هو جديد لهدف اجتماعى او رؤية جماعية هى المحافظة على تساند وتكامل واستقرار المجتمع حيث انهم يعتقدون ان اقتباس واستعارة عناصر من الثقافات الاخرى من خلال عمليات التكيف والتوافق والتقبل ومن ثم التمثيل الثقافى قد تؤدى الى زعزعة استقرار المجتمع والقضاء على استاتيكية طابع الحياة عامة فى المجتمع البدوى والتوازن فى علاقات القوة والسلطة في المجتمع ككل بالرغم من ان نظريات التغير اكدت ان عمليات التغير المختلفة تؤدى الى التخلخل والاضطراب ثم يحدث التوازن والتساند فى المجتمع فى النهاية .

وتبين ان المسن فى المجتمع الحضرى سواء أكان أكثر تشبثاً بالقديم أو المحافظة على القيم المتوارثة أو الأنماط السلوكية المألوفة والتى باتت من مقومات شخصيته ، لابد وان يمسها التغير سواء تقبل أو لم يتقبل ذلك حيث ان حياة المدينة هى ديناميكية ومتغيرة يوماً بعد يوم نتيجة عوامل الاتصال الثقافى الداخلى والخارجى من خلال كل وسائل الاتصال والوسائط التربوية الاخرى .

كما ان ضعف المرونة الاجتماعية عند المسن الحضرى تتمثل فى بعد الاولاد والاحفاد وعدم التواصل والتقارب الفكرى والثقافى والاجتماعى بين الاجيال مما يضيق من دائرة الاختلاف وهذا بعكس الحال تماماً فى المجتمع البدوى الذى نجد التواصل والتراحم والتفاعل بين مختلف الطبقات

العمرية الاخرى مرهوناً بقرارات المسنين من الجنسين وان كان المسن له الصدارة فى اصدار القرارات ويتشابه فى ذلك الى حد كبير المسنون فى المجتمع القروى خاصة وان الذين يعيشون فى اسر ممتدة ونجده فى اضيق الحدود فى الاسر النووية فى القرية .

ومما هو جدير بالذكر ان المرونة الاجتماعية تكون لدى غالبية الطبقات العمرية فى المجتمع البدوى ضعيفة وهذا مرده طبيعة عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية التى تتم عبر اجيال الكبار للاجيال العمرية الصغرى فيتلقون خلالها خصوصيات الثقافة البدوية والتى تختلف كثيراً عن خصوصيات الثقافة الحضرية وتقترب فى بعض جوانبها من خصوصيات الثقافة القروية .

وبناء عليه فان عمليات الاقتباس والاستعارة والتكيف والتمثيل الثقافى للطبقات العمرية المختلفة فى المدينة تكون على جانب كبير من السرعة والاستجابة واذا كان يقابلها بالجمود غالبية المسنين فهى لدواع ذاتية ونفسية وجسمية لم يعد يستطيع المسن التعامل معها او مجاراتها .

الا ان المسنين فى المجتمع البدوى بعيدون عن هذه الموجات المتتالية ومدى التاثر بها قليل للغاية وبما يتواءم مع طبيعة الحياة البدوية من مختلف النواحى وهذا يعنى ان البدو يستعيرون فقط السمات الثقافية التى لا تلغى القديم ولكنها تؤدى وظيفة مكملة وتعيش جنباً الى جنب مع السمات التقليدية كاستخدام موقد الغاز الى جانب الفرن التقليدى ، واستخدام الاوانى الالمونيوم والبلاستيك الى جانب الاوانى الفخارية والخشبية ، ويتشابه معهم فى ذلك المسنون فى القرية الى حد ما وبدرجات متفاوتة حسب الاخذ بمظاهر الحياة الحضرية وحسب المستوى المادى للاسر

وكذلك انتشار التعليم والعمل بالوظائف المختلفة من دونه فى كل اسرة عن الاخرى .

وهذا يجعلنى أؤكد أن هذه الامور المختلفة ترتبط أولاً وأخيراً بالمحيط الثقافى للمجتمع وما له من خصوصيات تقنن الانماط السلوكية وتحددها تجاه مقولات العمل والملكية والزواج والطلاق والتعليم والاستهلاك والادخار الخ من الامور الحياتية للانسان فى المجتمع بصفة عامة .

وبناء عليه نجد ان عادات المسنين فى المجتمع الحضرى تكون ثابتة خاصة وان دورهم فى الحياة قد تقلص وانفض الاصدقاء والابناء من حولهم واصبحت الحياة رتيبة والعادات مألوفة فكيف يغيرون من عاداتهم وهم لا يجدون أدنى درجات التواصل والتفاعل مع الاجيال المحيطة بهم الا فى أضيق الاحوال وللضرورة وهذا عكس الحال تماماً فى المجتمع البدوى الذى قنن اسس وسبل العلاقة والتواصل بين الاجيال المختلفة وفقاً للعادات والتقاليد والقيم البدوية التى ستظل باقية ابد الدهر ولن تزول الا بزوال البداوة كنمط للحياة وهذا امر مستحيل بالقطع .

كما ان عادات المسنين فى المجتمع القروى خاصة فى الاسر الممتدة تكون اكثر رسوخاً وثباتاً عن المسنين القرويين الذين يعيشون فى معزل عن الاولادهم واحفادهم ، لأنه فى الغالب ان هؤلاء تتمركز عوامل الثروة والمكانة فى أيديهم وتكون اتجاهاتهم وميولهم ثابتة تجاه امور كثيرة يريدها الابناء والاحفاد ولا يرضون عنها برغم ان القرارات الحاسمة فيها تكون فى اغلب الاحوال فى ايدى كبار السن مما يؤدى الى ظهور جفاء وانفصال او رضوخ اضطرارى فى العلاقات الاجتماعية بين الاجيال المختلفة وقد تتملك بين اجيال المسنين والاجيال الشابة بعض السمات السيكولوجية المضادة

وتؤدى الى ضعف المرونة من جانب الجيلين وما يتبع ذلك من استحالة التقارب والتفاهم بينهما .

كما تبين ان مسألة تقدم العمر وثبات العادات هى مسألة متفاوتة حيث ان العادات والتقاليد والقيم هى موجودة فى اى مجتمع مهما كانت درجة تحضره او تقليديته ، كما ان الاجيال تتناقلها اجيال عبر اجيال وتمتاز معظم هذه العادات بالاستمرارية والديمومة طالما تجد الاطار الثقافى والاجتماعى الذى يحافظ عليها ، وهذا هو ما يحدث فى البادية ويقترب من النموذج البدوى النمذج القروى الى حد بسيط ولكن الامر يختلف تماماً فى النموذج الحضرى .

كما ان هناك عوامل اخرى تتعلق بثبات العادات وعدم مرونة الاجيال المسنة هى مسائل تتعلق بالمركز والسلطة والمكانة والثروة تلك المعايير لا يوجد عليها فى المجتمع البدوى ادنى اختلاف خاصة وان القوانين والاعراف البدوية قد حددت كل هذه الامور والانماط السلوكية فى شتى نواحى الحياة تحديداً قاطعاً لازماً وهذا نجد نقيضه تماماً فى المجتمع الحضرى فيما عدا بعض حالات الاسر ذات الجذور القروية او حالات رجال الاعمال وانما لصورة فى المجتمع القروى تتأرجح بين النمطين البدوى والحضرى وان كانت تقترب من النموذج البدوى فى حالة الاسر الممتدة الى حد كبير وفى حالة الاسر الصغيرة الى حد بسيط .

مشكلات التكوين النفسى والاجتماعى للمسنين

تعد مشكلات التكوين النفسى للمسن من اهم المشكلات التى يواجها المسن فى حياته سواء الصحية او النفسية الانفعالية او العقلية وهى ذات اثر بعيد فى سعادة الاسر وسلامة المجتمع ويتجمع فى هذه المرحلة أيضاً

حصاد المشكلات التى اهملت فى مراحل العمر المختلفة .

ومما يزيد مشكلات هذه المرحلة استقصاء ان بعض المسنين لا يتعاونون مع المشرفين القائمين على رعايتهم ولا يساعدونهم على التخلص من مشكلاتهم فقد سئموا الحياة او انهم اساءوا ظنهم بمن حولهم من الناس [1]

وتتعدد مشكلات وامراض المسنين فمنها مشاكل الصحة العامة والضعف العام ومنها المشاكل النفسية والمشاكل العقلية والمشاكل الاجتماعية والمشاكل المهنية ومشكلة التقاعد وما بعد التقاعد وكيفية قضاء وقت الفراغ مع عدم وجود بعض المهارات الخاصة او الهوايات الخاصة ، بالاضافة الى ضعف المناعة الجسمية والاصابة بمرض البارانويا (استقطاب التفكير والانفعال حول افكار خاطئة) ، بالاضافة الى مرض ذهان الشيخوخة .

ونتعرض لاهم هذه المشكلات على النحو التالى :

١ – تدهور صحى عام وتناوب الامراض :

مما لا شك فيه ان امراض المسنين تكثر عن مختلف المراحل العمرية الاخرى للانسان وذلك نتيجة قلة المناعة الجسمية وضعف الجسم والانسجة وعدم استطاعتها مقاومة الامراض التى قد تكون موجودة فى جسم الانسان فى مرحلة الشباب ووسط العمر ولكن كانت المناعة لديه قوية تستطيع مقاومتها .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦١

ويزيد من مشكلات التدهور الصحى للمسنين عدم وجود الموارد المالية اللازمة من رعاية وعلاج واعاشة المسنين ويمكن القول ان المسنين فى المجتمع البدوى لا يعانون من التدهور الصحى العام حتى مراحل متقدمة عكس الحال تماماً بالنسبة للميسنين فى المجتمع الحضرى والمسنين فى المجتمع القروى الى حد بسيط ويرجع ذلك لظروف بيئية ومناخية واجتماعية ونفسية واقتصادية سبق ذكرها تفصيلاً فى مواضع كثيرة من هذا البحث .

٢ – استقطاب التفكير والانفعال حول فكرة خاطئة

وتعد مشكلة استقطاب التفكير والانفعال حول فكرة خاطئة ومن اهم مظاهرها مرض البارانويا Paranoia من اهم المشكلات النفسية التى تواجه كبار السن . وذلك ما يجعل المسن يائساً وحساساً ويزيد هذا المرض حده موت احد الزوجين فى الحياة الزوجية او موت بعض ابنائه الكبار او احد اصدقائه الاعزاء ، او ضعف الموارد الاقتصادية او كل هذه الاسباب مجتمعة .

كما لمست هذه المشاعر لدى المسنين الذين كانوا اوفياء مخلصين فى اعمالهم السابقة وكانوا مثالاً للنزاهة والشرف ومن ثم اكتشفوا ان تقدير الآخرين لهم قبل الاحالة للتقاعد كان خوفاً منهم ، اما بعد التقاعد فاحسوا بعدم التقدير والوفاء والاحترام خاصة عند زيارتهم لأعمالهم السابقة لقضاء بعض المتطلبات .

ويعانى قيلاً من هذه المشكلات المسنون الذين لديهم مهارات خاصة وهوايات خاصة واصحاب الفكر وهواة الاطلاع والقادرين مادياً والاصحاء جسمياً وخاصة رجال الاعمال الحرة الذين لا يزالون يمارسون اعمالا

تجارية او يشرفون على ابنائهم واحفادهم وكثير من رجال البوليس والشرطة أولئك المحظوظين الذين يجدون اعمالا كثيرة بعد التقاعد فى قطاع الاعمال الاستثمارى خاصة أولئك الذين كانوا يحتلون مناصب هامة ويمتازون بدائرة واسعة من العلاقات .

كما تبين أن المسنين فى المجتمع القروى الاثرياء فى الاسر الممتدة والذين يتمتعون بحالة صحية طيبة لا يعانون من هذه المشكلات النفسية وقد يحسون بان هناك سخطاً وحقداً فى عيون الاجيال الشابة على قرارتهم التى دائماً تكون ضد رغبة الابناء والاحفاد ولا يستطيعون عمل اى شئ خاصة وان مقاليد الامور والثروة والسلطة فى يد الكبار .

ويعانى من مشاعر الاضطهاد والحق المهضوم اولئك الذين عانوا وكافحوا من المسنين القرويين فى تعليم ابنائهم واضطروا الى بيع الاراضى الزراعية كى يواصل الابناء تعليمهم ومن ثم انفصلوا عنهم وعاشوا بعيداً الا ان المسنين فى المجتمع البدوى وكما سبق القول يتمتعون بصحة جيدة حتى عمر متقدمة للغاية ولا يقعدهم عن العمل ومباشرة الاعمال السياسية والاشرافية فى الاعمال المتاحة الا المرض العضال ودائماً فى حركة وسعى ، كما ان مقاليد الامور كلها فى يده ، وتعيش كل اعضاء العائلة بل والقبيلة فى وحدة ثأرية سياسية واجتماعية واحدة ، كما ان كل الطبقات العمرية قد تحددت حقوقها وواجباتها وفقاً للاعراف البدوية القادرة على حسم اى مشاكل قد تظهر داخل دائرة القرابة وخارجها بما يحقق الوئام والانسجام داخل المجتمع .

وبناء عليه نجد ان المسنين فى المجتمع البدوى يعيشون حياة اجتماعية

واقتصادية ونفسية اكثر استقراراً الى حد كبير عن المسنين فى المجتمع الحضرى ويقترب منها الى حد بسيط المسنون فى المجتمع القروى .

٣- ذهان الشيخوخة Senile psychoses

وكان يسمى فى الماضى عته الشيخوخة أو جنون الشيخوخة والذهان المصاحب لمرض تصلب الشرايين وانسدادها والنزيف الدموى حيث أن التدمير الدماغى العضوى يحدث فى كل من النوعين ، فان هذا الذهان يعتبر جسمى النشأة ، ولكن على كل حال فلقد تبين أنه لا يوجد ارتباط ضعيف بين شدة الاعراض العقلية ودرجة التغيرات الهستولوجية التى تطرأ على الانسجة فى الدماغ (١) .

ويحدث من اصابة الجهاز العصبى بنوع من الضمور الذى ينتج فى حالات قليلة من اسباب اخرى غير كبر السن ، ويؤدى الى تغيرات فسيولوجية وتشريحية ليس هذا مجال مناقشتها .

ومن اهم اعراضه ضعف الذاكرة وهو من الاعراض الاولية التى تشير الى ظهور المرض ، وعادة ينسى المريض الحوادث القريبة ولكنه يكون قادراً على تذكر حوادث وقعت فى طفولته ، فتراه يتحدث عن وقائع خاصة بآبائه وأجداده ، وبتقدم الحالة قد ينسى المريض اسمه أو مهنته وضعف الذاكرة وقد لا يكون منتظماً فى بعض الحالات بمعنى ان يتذكر المريض اسم صديق وينسى اسمه هو (٢) .

---

(١) عبد الرحمن عيسوى ، امراض العصر ، الامراض النفسية والعقلية والسيكوباتية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ص ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) انتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ص ٣٩٦ .

كما يضطرب التفكير ويصبح المريض غير قادر على التفكير المنطقى وقد يهذى فيعتقد ان اسرته تحاول دس السم له او الغدر به او سرقته او استغلاله ، وقد يتضمن هذيانه إدعاء الفقر وشعوره بانه غير مرغوب فيه سواء من افراد اسرته او معارفه ويحدث هذا النوع من الهذيان غالباً للذين ينزعون الى الشك وعدم الثقة بالغير فى سابق حياتهم ، كما قد يشكو المريض من عدم الاهتمام ويكره تدخل من حوله فى اموره وقد يتحول حبه لبغضهم.

ويتميز هذا المرض النفسى العقلى بالهذاء الثابت المنظم والهذاء هو المعتقد الخاطئ للانسان عن نفسه ومن حوله ، ويمتاز هذا النوع لدى المسنين بزيادة الآراء الخاطئة وسيطرتها على التفكير ، وانها لا تقبل الجدل وتتسم بالثبات والتمركز واستقطاب الحياة الادراكية والانفعالية حولها .

وتبدأ اعراض هذا المرض النفسى العقلى بفترة شك وحذر وقد تحدث وقائع جزئية غير مقصودة فتزيد شكه فى الآخرين وتقلبه الى يقين ، ولا يفضى المريض المسن بشكوكه الى الآخرين ، ولكنه يراقبهم بعيون تعتقد فيهم التآمر عليه ، فقد يعتقد ان هناك من يدبر خطه لاغتياله او ان احد مرضى المستشفى او احد جيرانه او فرداً فى المنزل يتواطأ مع آخرين ليضع له السم فى الطعام ليموت ، او انه حينما بلغ من الكبر عتياً يتعمدون اهماله ليتصرفوا فى ثروته او مركزه كما يشاءون من بعده (١) .

ويظهر هذا المرض لدى المسنين فى اقسام متعددة منها بارانويا الاضطهاد ، وبارانويا الحق المهضوم وبارانويا التقدير وبارانويا العظمة .

---

(١) عبدالحميد الهاشمى ، مرجع سابق ص ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

وتبين ان كثيراً من المسنين فى المجتمع الحضرى يعانون من معظم هذه المشكلات خاصة الاثرياء الذين اقعدتهم المشاكل الصحية فى بيوتهم او طرحى الفراش فبينما يلتف حوله الآخرون من اهله وابنائه واصدقائه ينظر هو اليهم بعين الشك والريبة والحذر ووصل الحد ببعضهم انهم كانوا لا يتناولون الطعام والشراب من اقرب المقربين الا بعد تناول الاخرون منه .

ويتصف المريض بالانانية الشديدة والرغبة فى الانعزال ولا يقيم وزناً للعادات الاجتماعية كعادات الاكل والاخراج ويهمل فى مظهره وملبسه ، ويشعر بالكراهية والخوف من اعتماده على الغير ، سريع التهيج الذى ينتج عن نزعات الانانية او يكون كاستجابة دفاعية ضد فقدان الذاكرة .

ويظهر ذهان الشيخوخة عادة فى حالات تصلب الشرايين اكثر من غيرها مما يضاعف من شدة الحالة ، واذا صاحب ذلك ارتفاع فى ضغط الدم فقد يؤدى الى انفجار فى شرايين المخ وهناك عدة انواع لهذا الهذيان منها [1] : -

أ - النوع البسيط :

وهو اكثرها انتشاراً ويتميز بالضعف الزائد فى الذاكرة وضيق فى مجال الاهتمامات الشخصية ، وغرابة التفكير والتهيج وعدم الاستقرار ، وبتقديم الحالة قد يصاب المريض بحالة تخشب بسيطة .

ب - النوع المنقبض :

ويتميز بجانب ضعف الذاكرة واضطراب التفكير بالتمركز الزائد حول

(١) انتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

الذات ، سرعة التهيج وبهذيان المرضى والانقباض .

جـ - النوع الاضطهادى :

ويتميز بالهذيان وبخاصة هذيان الاضطهاد والشكوى من سوء المعاملة وعادة يصاب بهذا النوع الاشخاص الذين تميزت حياتهم بعدم الرضاء وبوسائل دفاعية اسقاطية يبالغون فيها فى حالة المرض ، وبعكس الانواع السابقة يتميز المريض بنوعٍ من وضوح الذاكرة ولكن تزداد عنده الهذيان غير المنطقى والقريبة ، كما تظهر الهلوسات المختلفة .

وتبين انه نادراً ما يصاب المسنون فى المجتمع البدوى بهذه الامراض ويرجع ذلك لعدة امور نجمل اهمها فيما يلى :

١ - عدم اتصاف البدو اساساً بالانانية او التمركز حول الذات الا نادراً و متوكلين على الله فى كل امورهم ويتفاعل المسن بلا حدود مع الطبقات العمرية الاخرى بلا حقد او كراهية .

٢ - عدم حب البدوى بصفة عامة او المسن بصفة خاصة الى حياة العزلة والانعزال .

٣ - ارتباط البدو فى مختلف الطبقات العمرية بصفة عامة والمسنين بصفة خاصة بالعادات والقيم والتقاليد البدوية ويقيم لها وزناً ويلتزم بها وهذا هو سر استقرار وسعادة هذا المجتمع التقليدى البسيط .

٤ - عدم احساس البدوى بصفة عامة والمسنين بصفة خاصة بالكراهية او الخوف تجاه ابناء مجتمعه واهله وعشيرته خاصة وان كبار السن يحلون كل المشاكل وبما يرضى جميع الاطراف وتحسم كل الامور فى التو

واللحظة التى تنشأ فيها ولا يهدأ للمجتمع بال الا اذا استقرت الامور ثانية .

٥ – عدم تعرض المسنين لامراض تصلب الشرايين وذلك لبساطة الحياة من حولهم وعدم انشغالهم بالمشاكل والحياة اكثر من اللازم كما هو الحال فى المجتمع الحضرى والقروى الى حد بسيط .

٦ – اهتمام المسنين البدو بمظهرهم خاصة وانهم يمثلون علية القوم وكبار العائلات ويمثلون قادة وقدوة المجتمع وهذا ما يجعل لحياتهم اهمية ونشاط ولوجودهم قيمة بصفة عامة .

٧ – البدوى بصفة عامة والمسنون بصفة خاصة لا يحب التفكير كثيراً او الانشغال باى شئ ازيد من اللازم وبناء عليه لا يعود الى ذكرياته الاليمة خاصة لأنه لا يجب الكدر والحسرة والنكد ويميل الى المرح والبساطة والاقبال على الحياة .

٨ – البدوى بصفة عامة والمسنين بصفة خاصة شخصيه سهلة متفائلة يميل الى الهدوء والبساطة ولا يشعر بالقلق والتوتر والاكتئاب ولا يشك ولا يحذر الا من الغرباء ولكن غالباً مـا تزول مشاعـر الشك والحذر عندما يثق فيهم .

٩ – لقد كان لعدم التمايز المهنى وبساطة الاعمال التى يقوم بها البدو ويحددها كبار السن للطبقات العمرية الاخرى عامل هام فى الرضا عن العمل والرضا عن الحياة والاحساس بالانجاز وعدم الفشل ، مثل هذه المشاعر التى يعانى منها المسنون الحضريون الى حد كبير ، ويعانى منها الى حد بسيط المسنون القرويون خاصة فى الاسر النووية .

١٠ - تمتع البدوى بصفة عامة والمسنون بصفة خاصة بذكاء فطرى حاد استطاع ان يستخدمه بهدوء فى حل مشاكله الداخلية ومشاكله الخارجية عند وجود اطراف اخرى فى النزاع من خارج المجتمع .

ويمكن القول ان كثيراً من المسنين فى المجتمع الحضرى اكثر عرضه لمرضى هذيان الشيخوخة لصعوبة الحياة من حولهم من جميع النواحى بيئياً واجتماعياً ونفسياً واقتصادياً ، ولعدم التواصل والتراحم والتلاحم كما هو الحال فى المجتمع البدوى الى حد كبير والمجتمع القروى الى حد بسيط ، كما ان المسن الحضرى اكتسب فى شخصيته بعض السمات التى تتصف بها الحياة الحضرية كالتعقيد وعدم التجانس وعدم البساطة وعدم المرونة والحذر والقلق وعدم الامان والاستقرار والصراع والسرعة .

ولا يعانى المسنون القرويون خاصة فى الاسر الممتدة وكذلك الاثرياء منهم الاصحاء جسمياً ونفسياً بمثل هذه الامراض لما تتمتع به الحياة فى القرية والتى تجعلها تقع فى منطقه وسط بين الحياة الحضرية والحياة البدوية .

ومما هو جدير بالذكر انه لابد من تحقيق قدر كبير من الانسجام والتوافق بين المسن وبيئته ، حيث ان هذا التكيف اصبح ضرورة تربوية لابد من تدعيمها وغرسها فى كافة المراحل العمرية للفرد ولمختلف الطبقات العمرية والحث على القدرة على استمرار التدريب واكتساب الخبرات الجديدة وكذلك الحث على كيفية التواصل والتفاعل والتراحم بين الاجيال بعضها البعض خاصة فى المجتمع الحضرى الذى بات فى اشد الاحتياج الى هذه الضرورة التربوية ، كما يحتاجها المجتمع القروى الى حد بسيط ،

والمدهش حقاً ان هذه الضرورة التربوية عبر عمليات التنشئة الاجتماعية استطاع المجتمع البدوى ان يجسدها تجسيداً حياً فى استقرار وتواصل وتفاعل كافة الطبقات العمرية وبالتالى استقرار المجتمع االبدوى فى النهاية.

وهنا يجب البحث فى اسباب وعوامل ومعوقات عدم التوافق والانسجام بين المسن والبيئة المحيطة به من جميع النواحى خاصة وانه من المعروف ان التغيرات الجسمية والحالة الصحية التى تكون عليها حالة المسن تخلق العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية وهنا تبرز قضية الشيخوخة بانها ليست طبية فحسب وانما هى اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية فى نهاية المطاف .

ويمكن اجمال اهم العوامل التى تسبب المتاعب لكبار السن خاصة فى المجتمع الحضرى والى حد بسيط فى المجتمع القروى خاصة فى الاسر النووية ، بينما لا يوجد لـها ادنى تاثير فى المجتمـع البدوى فى النقاط التالية:

١ – عدم كفاية مقدار المعاش لحاجات المسن او عدم وجود معاش على وجه الاطلاق .

٢ – المعاناة من الفقر وانخفاض مستوى المعيشة مادياً وادبياً .

٣ – عدم الاحساس بالامان فيما يتعلق بعمله او وظيفته فى المستقبل بعد بلوغ سن الاحالة الى المعاش .

٤ – الاتجاهات الاجتماعية السلبية نحو كبار السن والتى تسبب لهم

كثيراً من الضرر والاذى والالم ويبدو ذلك فى طريقة معاملة المحيطين به .

٥ – عدم توافر الفرص المناسبة للتدريب الجديد على المهن او الحرف او الخبرات الجديدة .

٦ – عدم توفر التوجيه والارشاد والعلاج النفسى والطبى .

٧ – مشكلة البطالة او الفراغ او عدم الارتباط بأى عمل .

٨ – قلة التفاعل الاجتماعى او اتصال المسن بغيره من الناس وخاصة زملاء العمل السابقون وما يترتب على ذلك من قلة الصداقات وانحسارها .

٩ – قلة الاتصال بالاقارب والابناء وخاصة بعد رحيلهم عن الاسرة وزواجهم واستقلالهم عن الاسرة ، والذين لا يقبلون على زيارته الا نادراً .

١٠ – ميل الشيخ الى ادخار ما تبقى لديه من قوة وطاقة للاعمال الضرورية والحتمية ويبدأ ينسحب من الانشطة الاجتماعية غير الضرورية(١) .

١١ – عدم وجود مهارات خاصة او الرغبة فى التدريب على مهارات جديدة وعدم وجود مهارات وهوايات لا تحتاج الى جهد عضلى كالقراءة او الصيد الخ ..

(١) عبد الرحمن عيسوى ، امراض العصر النفسية والعقلية والسيكوباتية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ ص ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

خاتمة ونتائج

مما هو جدير بالذكر أن دراسة المسنين أصبحت ذات أهمية خاصة بعد تزايد نسبة المسنين فى الانماط المجتمعية المختلفة ، كما أن الحاجة اليهم والإستفادة بخبراتهم وإعادة تأهيلهم لأعمال أخرى تتناسب مع حالتهم الصحية والنفسية ضرورة محلة كجزء من الطاقة البشرية قادرة على العطاء وكقوى منتجة وليست معولة .

وقد جاءت أهمية هذه الدراسة فى التعرف على شخصية المسنين فى الثقافات المختلفة البدوية والقروية والحضرية بغية الوقوف على إختلاف أنماط تلك الشخصية حسب الظروف المجتمعية المختلفة والثقافات المتباينة والتأثير والتأثر المتبادل بين عناصر الشخصية والثقافة وإنعكاس ذلك على أموال المسنين.

وقد عالج البحث المفاهيم والتطورات المرتبطة بمجال البحث فى الانثروبولوجيا السيكولوجية ، متناولاً بالعرض والتحليل الإهتمام التاريخى والاكاديمى بهذا الفرع الحديث .

وعالج البحث أيضا طبيعة العلاقة بين الثقافة والشخصية من خلال عرض وتحليل أختلاف رؤية العلوم الإنسانية لتلك العلاقة وتقديم رؤية أكثر شمولية لعمليتى التأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة.

وعالج البحث أهمية وأهداف دراسة الكبار من جميع النواحى والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

كما عالج البحث طبيعة التكوين الجسمى للمسنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المتنوعة المؤثرة فى ذلك وتناول الكتاب كذلك خصائص التكوين الإنفعالى للمسنين فى الانماط المجتمعية المختلفة والتعرف على مختلف العوامل المؤثرة فى ذلك .

وعالج البحث المظاهر الإنفعالية للمسنين فى الثقافات المختلفة ومدى تباينها تبعاً لإختلاف المحيط الثقافى لكل نمط مجتمعى على حده ، والمظاهر الإنفعالية لمختلف المراحل العمرية والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

كما عالج البحث إختلاف طبيعة التكوين العقلى للمسنين فى الثقافات المختلفة والعوامل المؤثرة فى ذلك .

وعالج البحث إختلاف طبيعة التكوين الاجتماعى للمسنين فى الأنماط المجتمعية المختلفة وأثر ذلك على العلاقات الاجتماعية وطبيعة التواصل والتفاعل الاجتماعى بين المسنين والطبقات العمرية والعوامل المختلفة المؤثرة فى ذلك .

وعالج البحث فى النهاية مطالب ومشكلات المسنين فى الثقافات المختلفة والى اى حد تؤثر الحالة النفسية عامة للمسنين فى الثقافات المختلفة على حياة المسنين من جميع النواحى .

أما عن النتائج فهى متعلقة بالتساؤلات والقضايا التى عالجها البحث ونجمل أهمها فى النقاط التالية :

١ - لقد كان لازدياد نسبة الكبار سنة بعد اخرى اثر كبير فى اهتمام العلم الحديث بدراسة الصفات الرئيسية للكبار وخاصة المظاهر الجسمية ، والحسية والعقلية والمعرفية والانفعالية والعاطفية والاجتماعية .

٢ - تميز مرحلة الشيخوخة بضعف شامل يتمثل فى الوهن الجسمى والعجز الحركى والتخلخل الادراكى لذا يعتبر علماء النفس الشيخوخة بأنها مرحلة طفولة ثابته فى اواخر العمر وكأن حياة الفرد تبدأ بعجز ووهن وضعف ثم تسير صاعدة لتستكمل قوتها ورشدها فى مراحل الشباب ووسط العمر لتعود ثانية لضعف الشيخوخة وعجزها .

٣ - تفاوت الضعف العام للتكوين الجسمى للمسنين فى الثقافات

المختلفة ، حيث يتمتع المسن فى المجتمع البدوى حتى فترة متقدمة من العمر بقوة جسدية وصحة وقوة فى السيطرة الارادية وقدرة على المشى لمسافات طويلة ، كما يتمتع بقوة الابصار ولمسافات طويلة وبقاء الاسنان لسن متقدم للغاية وقدرة على تناول الاطعمة الدسمة تفوق قدرة الشباب فى ذلك ولا يقعد المسن البدوى عن السعى والذهاب هنا وهناك سوى المرض العضال ويقترب من هذه المواصفات فى التكوين الجسمى المسن فى المجتمع القروى الى حد كبير ولكن يظهر الضعف فى مختلف نواحى التكوين الجسمى للغالبية العظمى من المسنين الحضريين وقد نكر تفصيلاً العوامل المؤثرة فى ذلك فى متن البحث .

٤ – رعاية المسنين من الجنسين فى المجتمع البدوى وتبجيلهم عن طريق الطبقات العمرية المختلفة قد ادى رسالة نبيلة نحو كبار السن وذلك بما تتيحه البيئة الطبيعية وحياة الخلاء والظروف والاحوال المناخية المعتدلة والهواء النقى والطعام البسيط الصحى الذى يعتمد فى اغلبه على اللحوم المسلوقة والارز وكذلك ما يحاط به كبار السن داخل دائرة القرابة وخارجها من استقرار عاطفى وهدوء انفعالى والتواصل والتفاعل والتراحم بين الاجيال المختلفة وهذا كله جعل الروابط القرابية التى يحاط بها كبار السن قوية وعميقة ولها من الاهمية بمكان فى جعل حياتهم الاجتماعية اكثر اماناً واستقراراً خاصة وان دفة الامور الاقتصادية والسياسية لا تبارح ايديهم الا عند المرض العضال ولذا فهو دائماً له دوره الهام فى اتخاذ القرار على الصعيد المجتمعى ، ويعيش نفس هذه الظروف الى حد كبير المسنون القرويون خاصة فى العائلات الممتدة او ممن يمتلكون الجاه والثروة وهؤلاء يحاطون بسياج اجتماعى قوى وحياة اجتماعيه ثابتة واستقرار عاطفى وهدوء انفعالى لا يتمتع به المسنون الذين انفصل عنهم ابنائهم واحفادهم وكونوا اسر نووية .

٥ - معاناة المسنون فى المجتمع الحضرى خاصة غير القادرين مادياً وصحياً من عدم الاستقرار العاطفى والهدوء الانفعالى والطعام الصحى المتوازن وكذلك الروابط العائلية القوية وهذه العومل بالقطع لها اثر كبير فى احساسهم بالامان والاستقرار فى حياتهم الاجتماعية .

٦ - يحس المسن فى المجتمع البدوى بالرضا عن حياته السابقة وعن نفسه والرضا والقناعة والهدوء الانفعالى ويحس المسن القروى بهذه الاحاسيس الذين يعيشون فى ظل اسر ممتدة بينما يفقد المسن الحضرى مثل هذه الاحاسيس فيما عدا اصحاب الثروة والجاه واولئك الذين لا يزالون يمارسون اعمالاً تجارية وحرفية .. الخ . وهذا مرده الظروف الطبيعية والاحوال الجوية التى يعيشها المسن فى تلك الانماط المتباينة ثقافياً هذا من ناحية ، ثم احساس المسن البدوى بأنه مرغوب فيه ولا يزال له دور ويشغل مكانة وكذلك الحال بالنسبة للمسن القروى الى حد كبير مع عدم توافر هذا الاحساس الى حد كبير لدى المسن فى المجتمع الحضرى هذا من الناحية الثانية ، ثم التباعد وعدم التواصل الاجتماعى والفكرى والعاطفى الذى يعانى منه المسن فى المجتمع الحضرى عكس قرينه فى المجتمع البدوى والقروى الى حد كبير .

٧ - المسن فى المجتمع البدوى راضياً تماماً عن الجيل الذى نشأ فيه وعن علاقاته مع اقرانه بل يعيش لحظات عمره لحظة بلحظة وينعم والحياة البسيطة التى يحياها بعيداً عن الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية التى يعانى منها المسن فى المجتمع الحضرى الى حد كبير والمسن القروى الى حد بسيط .

٨ - يعيش المسنون فى المجتمع الحضرى خاصة غير القادرين مادياً

واصحاب المعاشات الصغيرة او الذين يحتاجون لرعاية ابنائهم فى عزلة بعد تقلص دورهم داخل الاسرة وخارجها واختفاء علاقات المصلحة والرياء من حوله عكس الحال تماماً فى المجتمع البدوى حيث يتفاعل المسنون مع كل الطبقات العمرية ويتفاعل معها فى حدود المضامين الثقافية البدوية ويقترب من ذلك الى حد كبير المسنون فى المجتمع القروى خاصة من يعيشون فى اسر ممتدة ومن يملكون الجاه والثروة .

٩ - نظرة المسن فى المجتمع البدوى للمستقبل نظرة اكثر تفاؤلاً لا يشوبها الخوف او الحذر او القلق خاصة وان المسن او المسنة فى هذا المجتمع يقبلون على مرحلة الكبر ويسعدون بها نظراً لاحتلالهم مكانة كبيرة بين افراد المجتمع وان دورهم يصبح اكثر اهمية كلما تقدم بهم العمر ، ويختلف الوضع الى حد بسيط فى المجتمع القروى حيث يخاف المسن الثرى من المستقبل خاصة لو كان هناك خلافات بينه وبين الابناء لم يستطع حلها ، كما ان القروى اكثر طموحاً من البدوى هذا نجده عكسه الى حد كبير فى المجتمع الحضرى فيما عدا رجال الاعمال الحرة من المسنين واصحاب الاعمال الحرفية والمعاشات الكبيرة او من يعملون بعد التقاعد اما الاخرون فنجد اغلبهم اكثر تشاؤماً لاحساسهم هم وانهم باتوا يستعطفون الابناء والاحفاد ويكسبون ودهم .

١٠ - المسنين من الجنسين فى المجتمع البدوى لا يحسون بالندم ابداً على حياتهم ، بل المدهش انه نادراً ما تجد شاباً او فتاة بدوية يشكون او يشعرونك بالندم عكس الحال الى حد بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى وقد ذكر تفصيلاً اسباب ذلك فى متن البحث .

١١ - عدم احساس المسن البدوى بأى حال من الاحوال بأنه ضحية ظروفه او ضحية اسرة حيث ان دوره ومركزه ووضعه سواء أكان ذكراً او

انثى محدداً ومتدرجاً طوال مراحل حياته العمرية ، كما أنه راض عن مركزه المادى طوال حياته العمرية لأن احتياجاته بصفة عامة تلبى فى ضوء ظروف اسرته او عائلته ويتحمل المسنون البدو جميع هذا الاعباء والمطالب من جميع النواحى او يشرفون عليها وبينما الحال هكذا فى المجتمع البدوى نجد المسنون القرويون اقل تفاؤلاً حيث انهم مع تقدم العمر يكونوا شخصية اقل انفتاحية ودائماً القروى لديه تطلعات وطموحات مادية اكثر من البدوى خاصة بعد التغيرات العميقة التى شهدتها القرية المصرية وعصفت بالكثير من السمات الحميدة واستقرارية الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الى حد كبير ، كما نجد المسنون الحضريون اقل تفاؤلا واكثر تشاؤماً واقل انفتاحية ويحسون بانهم ضحية اولادهم ويؤثرون العزلة والانطوائية.

١٢ - يتمتع المسنون البدو بنزعة دينية كبيرة خاصة وانهم فى مرحلة الشباب والرشد كانوا متمسكين بالدين ويتقارب معهم الى حد كبير المسنون القرويون الا ان الوضع يختلف بالنسبة للمسنون الحضريون فيما عدا جماعة المسجد من المسنين اصحاب المعاشات ورجال الاعمال الحرة المستقرين نفسياً اولئك الذين تربطهم صلة روحية عميقة بالله سبحانه وتعالى فى اواخر ايامهم .

١٣ - اللجوء الى التدين فى المجتمع البدوى راجع الى ان الشخصية البدوية اساساً شخصية متدينة بطبعها كما هو الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى ، ولا يكون بدافع الزهد فى الحياة وذهد فى المتع الجنسية كما هو الحال بين اغلب المسنين فى المجتمع الحضرى حيث أن الحياة الجنسية بالنسبة للشخصية البدوية مطلب حيوى ورئيسى طوال المراحل العمرية للذكر والانثى وتكون كذلك للمسن القروى ولكن الامر يختلف بالنسبة للمسنة اعيش فى ظل الاسر الممتدة .

١٤ - هناك مجموعة من انفعالات الطفولة التى تعود وتظهر مرة اخرى فى مرحلة الشيخوخة نجمل اهمها فى النقاط التالية :

أ - انفعالات الشيوخ ذاتية المركز ، تدور حول انفسهم اكثر مما تدور حول غيرهم ، وتؤدى هذه الذاتية الى نمط غريب من انماط السلوك الانانى الذى لا يتفق فى مظهره مع ما يتوقعه الاحفاد من سلوك الاجداد .

ب - لا يتحكم المسنين فى انفعالاتهم المختلفة شأنهم فى ذلك شأن الاطفال الذين يعجزون عن ضبط مشاعرهم وعواطفهم .

جـ - تتميز انفعالات الشيوخ بالعناد وصلابة الرأى وقد يؤدى هذا العناد الى السلوك المضاد ، ولذا نجد الشيوخ يثورون لاوهام لاحقيقة لها وعندما تتكشف لهم الامور ويدركون خطأهم فإنهم يراوغون ويظلون فى اصرارهم وعنادهم .

د - عندما يغضب الشيوخ فإنهم غالباً ما يثورون كالأطفال .

هـ - المسنون برغم عنادهم وغضبهم اكثر قابلية للاستهواء من غيرهم .

و - يميل المسنون الى المديح والاطراء والتشجيع وهذه الانفعالات تتفاوت وتتباين فى الثقافات المختلفة البدوية والقروية والحضرية ومرد ذلك مجموعة العوامل السياسية والاقتصادية والبيئية والاجتماعية والثقافية المحيطة بحياة المسنين من الجنسين فى الانماط المجتمعية المختلفة وذكر ذلك تفصيلاً فى متن الدراسة .

١٥ - هناك مجموعة من انفعالات المسنين تتشابه مع المراهقين مع مراعاة تفاوتها وتباينها فى الثقافات المختلفة تبعاً لاختلاف السياج الثقافى والاجتماعى الذى يحيا خلاله المسنين ونجمل اهمها فيما يلى :-

أ – المسنون فى كثير من انفعالاتهم مذبذبون بين ذلك وذاك ، لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء شأنهم فى ذلك شأن المراهقين قبل ان يصل بهم نموهم الانفعالى الى النضج الذى تتطلبه طبيعة نموهم ومطالب حياتهم .

ب – يميلون فى سخريتهم من الاجيال الاخرى الى لون من الوان المشاكسة والاغاظة التى كانوا يمارسونها فى مراهقتهم .

جـ – تتميز انفعالات المسنين فى بعض نواحيها بالاندفاع بصورة مختلفة مثل الاندفاع العاطفى .

د – محاولة المسنين فرض شخصيتهم فى سيطرة غريبة لا يظن الناس انه بدأ يضعف ويهزم مؤكداً ذاته .

١٦ – هناك مجموعة من انفعالات المسنين تتشابه مع انفعالات مرحلة الرشد ووسط العمر ونجمل اهمها فى النقاط التالية :–

أ – قد توجد اسباب لدى المسنين تثير فى نفوسهم القلق وقد تؤدى بهم القلق الى الكآبة لانهم لا يجدون متنفساً لانفعالاتهم كما كانوا يفعلون فى رشدهم .

ب – يشك المسنون بصفة دائمة فى الآخرين وكأنما هم قد ورثوا من شبابهم عدم الثقة بالآخرين .

١٧ – هناك مجموعة من المظاهر الانفعالية تنفرد بها مرحلة الشيخوخة برغم تفاوتها فى الثقافات المختلفة وذكر اسباب ذلك تفصيلاً فى متن البحث ونجمل اهمها فى النقاط التالية :–

أ - يحلو للشيوخ احياناً ان يقفوا يطة بهم موقفاً سلبياً لا ينفعلون لها ومعها وكأنهم يعبرون عن شعورهم بالهوة السحيقة التى تفصلهم عن الاجيال الاخرى التى تضطرب بها الحياة من حولهم

ب - اتصاف انفعالاتهم فى غالبيتها بالخمول وبلادة الحس

جـ - الشعور بالسلبية والبلادة الى عدم ادراك المسن للمسئولية التى تواجه من يحيطون به ، فهو يمعن فى حياته ومشاكل الناس من حوله تدفعهم الى الوان مختلفة من الكفاح المرير وهؤلاء يشعرون نحوهم ولا نحو مشاكلهم بأيه مسئولية تتطلب منه استجابة انفعاليه محددة .

د - يقل حماس الشيوخ لما يحيط بهم من مشكلات انفعاليه يضطرب منها الاخرون .

هـ - يخطئون ادراك الموقف المحيط بهم عن انفعالهم ولذلك تجىء انفعالاتهم شاذة لا تتناسب ومقومات الموقف الذى اثار فى نفوسهم ذلك الانفعال

و - يغلب على انفعالاتهم لون غريب من التعصب الذى لا يقوم فى جوهره على اساس ، فهم يتعصبون لجيلهم ولآرائهم ولعواطفهم ولكل ما يمت لهم بصلة قريبة

ز عندما لا يتقبل الآخرون ذلك التعصب بروح المشاركة والاولاء فإنهم يحسون فى اعماق انفسهم بانهم مضطهدون

ح - يؤدى بهم الشعور بالاضطهاد الى الاحساس العميق بالفشل وقد يتخذون سلوكاً معادياً فيجابهون الاضطهاد الذى يقع عليهم باضطهاد الآخرين .

١٨ - يكون دافع المسنين البدو عامة وبعض اثرياء القرية من كبار السن وكذلك بعض اثرياء المجتمع الحضرى عندما يقبلون على الزواج فى سن متقدمة دافعاً جنسياً مقروناً بالرغبة فى الانجاب ولذا يفضلون الزواج من صغيرات السن بالرغم من انهم يظهرون غير ذلك ويذهبون بأن دافعهم الاهتمام بشئونهم وتلبية مطالبهم خاصة فى المجتمع القروى والحضرى . الا ان المسن البدوى لا يجد اى معارضة فى زواجه لاكثر من مرة .

١٩ - تأخر العجز الإدراكى عن العجز الجسمى سنوات ولذا فإن التقاعد فى الأعمال العقلية يتأخر سنوات عديدة عن التقاعد فى الأعمال اليدوية والجسمية وقد أبدت الدراسة ذلك مع التفاوت الواضح فى الثقافات المختلفة لإختلاف الظروف البيئية والطبيعية ومشاكل التلوث والضغوط النفسية والعصبية التى تتفاوت فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة .

٢٠ - إدراك الزمن أو الوقت بالنسبة لغالبية البدو لا يعد عنصراً نادراً عكس الحال فى المجتمع الحضرى الى حد كبير والمجتمع القروى الى حد بسيط حيث أن التكالب على الحياة والصراع من أجلها ضئيلاً للغاية ولكن نجد فئة كبار السن من البدو خاصة الذين يقع على عاتقهم المسئولية السياسية والأمنية فى المجتمع يعملون له حساب .

٢١ - لا يحس المسنون من البدو بإنسحاب سنوات عمرهم عكس الحال بالنسبة للمسنون الحضريون الذين يحسبون الثوان الباقية وقد يحسها المسن القروى ويعيرها إهتماماً خاصة اولئك الذين يعانون من أمراض عضوية من الملاك ودائماً يذكرون أولادهم وأحفادهم بأن النهاية قد إقتربت وانهم سيرثون قريباً الخ .

٢٢ - إدراك المسن للزمن بصفة عامة في الثقافات المختلفة يتوقف الى حد كبير على مدى إحساسه بالصحة والعافية وتكوينه النفسى ولذا كان المسن البدوى اوفر صحة جسمياً وأكثر إستقراراً نفسياً عن قرينه فى المجتمع القروى الى حد بسيط والمسن الحضرى الى حد كبير وهذا مرده طبيعة الحياه الإجتماعية والإقتصادية والنفسية التى يحياها فى نعيم وتواصل مع الاجيال العمرية الاخرى وفى ظل ظروف بيئية وطبيعية أكثر هدوءاً وأقل تلوثاً عكس الحال تماماً فى المجتمع الحضرى والى حد بسيط فى المجتمع القروى .

٢٣ - تمتع المسنين من البدو بالقدرة على التذكر وعدم النسيان لمراحل عمرية متقدمة حيث أنهم يشكلون السلطة السياسية والقانونية ويشكلون فئة رجال الاعمال واصحاب القرار فى ذلك النمط المجتمعى وإستطاعوا إدارة مجتمعهم فى ضوء اللامركزية فى الحكم المحلى بينما نجد الشرود والنسيان يميز غالبية المسنون فى المجتمع الحضرى خاصة الذين عاشوا حياتهم فى كفاح مضن من أجل سعادة أولاده ثم إبتعدوا عنهم لظروف العمل او تكوين اسر أخرى او أولئك الذين يحتاجون الى من يعولونهم فهؤلاء يعانون كثيراً فى قدرات التذكر والتركيز وإعتقدوا إنهم يحاولون إسترجا ع الماضى ليعاقبوا انفسهم على عدم وفاء الآخرين .

٢٤ - تمتع المسنين البدو بقدرة أكبر على التفكير المتزن والموضوعى حتى مراحل متقدمة من العمر تفوق قرناءهم فى المجتمع الحضرى والقروى وخير دليل على ذلك تمركز السلطة فى أيديهم وإتخاذ القرار فى كافة الأمور التى ترتبط بالطبقات العمرية المختلفة من زواج وطلاق وميراث وحتى التعليم حتى فترة متقدمة ، وهذا يساعدهم كثيراً فى البعد عن كل ما يسبب

الشرود والتشتت والنسيان والسرحان ومشاعر الانانية والخوف والحذر التى تسود الى حدٍ بسيط فى المجتمع القروى والى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٢٥ – إختلاف الحياه المجتمعية للمسنين من ثقافة الى اخرى حسب ما تقره المضامين الثقافية من تحديد قاطع وحازم لطبيعة العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الاجيال بعضها البعض والمراكز والأدوار خلال المراحل العمرية المختلفة . وبناء عليه يقل الى حد كبير جداً احساس المسنين البدو بالوحدة الاجتماعية بينما يعانى المسنون القرويون خاصة الذين لا يعيشون فى ظل الاسر الممتدة بينما يعانى منها غالبية المسنون الحضريون وذكر اسباب وعوامل ذلك تفصيلاً فى متن الدراسة .

٢٦ – تفاوت الجمود وضعف المرونة فى الانماط المجتمعية المختلفة خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على القديم ومدى تقبل التغيرات او الرغبة فى التغير والتجديد ويمكنا التاكد بأن تمسك الانسان فى أى ثقافة وبخاصة المسنون على العادات والتقاليد او مظاهر الحياة القديمة المألوفة بالنسبة لهم قد تكون لأمور شخصية بحتة أو لنواح نفسية أو بغرض المحافظة على وجودهم أنفسهم كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، الا ان تمسك المسنين البدو بالعادات القديمة الى حد كبير يرجع الى خوفهم من زعزعة استقرار المجتمع والقضاء على طابع التوازن فى علاقات القوة والسلطة فى المجتمع ككل ،لهذا يقفون بالمرصاد لإقتباس وإستعارة أي سمات مادية من الثقافات الاخرى الا بما يتوافق مع المصلحة العامة للمجتمع . ونجد المجتمع القروى فى هذا يأخذ موقف وسط بين النمطين الآخرين .

٢٧ – تعدد مشكلات التكوين النفسى والاجتماعى للمسنين فى الثقافات

المختلفة وإن كانت تقل حدتها الى درجة كبيرة للغاية فى المجتمع البدوى الا عند تخطى الثمانين من العمر وتقل حدتها كذلك فى حالة المسنين الذين يعيشون من خلال الاسر الممتدة فى المجتمع القروى ولكن يعانى منها

غالبية المسنين فى المجتمع الحضرى فيما عدا من لهم مهارات وهوايات خاصة وأصحاب الفكر وهواة القراءة والإطلاع والقادرون مادياً والاصحاء جسمياً ونجمل اهم هذه المشكلات التى ورد ذكرها تفصيلاً فى متن البحث فى النواحى التالية :

أ - تدهور صحى عام وتناوب الأمراض .

ب - إستقطاب لاتفكير والإنفعال حول فكرة خاطئة .

جـ - ذهان الشيخوخة .

الباب الثالث

التكوين النفسي للمدمن في الثقافات المختلفة

تمهيد

الفصل الحادي : التكوين الجسمي للمدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل الثاني : التكوين الإنفعالي للمدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل الثالث : التكوين العقلي للمدمنين في الثقافات المختلفة

الفصل الرابع : التكوين الإجتماعي للمدمنين في الثقافات المختلفة

التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفة

تمهيد:

مما لا شك فيه أن موضوع التكوين للمدمن فى الثقافات المختلفة او التعرف على ابعاد شخصية المدمن فى الثقافات المختلفة وتأثير الشخصية فى الثقافة من الناحية الاخرى من الموضوعات الهامة والجديرة بالدراسة فى أحد الفروع المتميزة لعلم الانسان العام وهو فرع الانثروبولوجيا النفسية .

ومن الجدير بالذكر أن التكوين النفسى بما يتضمنه من عناصر مثل التكوين الجسمى للمدمن فى الثقافات المختلفة وكذلك ابعاد وعناصر كل من التكوين العقلى والإنفعالى والاجتماعى للمدمن فى الثقافات المختلفة (البدوية والريفية والحضرية) والعوامل المختلفة المؤثرة فى تلك العناصر والأبعاد كمكونات للشخصية أثر كبير للغاية فى فهم عملية التأثير والتأثر بين كل من الثقافة والشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وبناء على هذا نجد أن هذا المبحث هام للغاية فى فهم الابعاد المختلفة لمقومات الشخصية البدوية والحضرية والريفية ورؤية الشخصية للمحيط الثقافى الذى تحيا من خلاله وبالعكس وكذلك التركيز على بحث عملية التوافق والتكييف بين الخواص النفسية لأعضاء جماعة ما وثقافة تلك الجماعة خصوصاً وقد أدركنا فى مواضع كثيرة فى متن هذا البحث أثر الثقافة فى تباين وإختلاف طبيعة ظاهرة الادمان وخطورتها فى الانماط المجتمعية المتباينة وكذلك مدى تأثيرها فى تنوع وتعدد أو عدم تنوع المواد المخدرة من حيث الخطورة من دونه فى كل ثقافة على حدة

كما سنلمس من خلال الرؤية الواقعية المبدئية أثر الثقافة من خلال عمليتى التنشئة الاجتماعية والثقافية فى تكوين شخصية الانسان فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة وبالتالى سيكون لذلك اثره البالغ الاهمية فى الوقوف على العلاقة بين شخصية المدمن فى الثقافات المختلفة خصوصاً وأن عملية الاعتماد (الادمان) اصبحت تنتشر بين مختلف الفئات العمرية من الجنسين فى ثقافات معينة دون اخرى مما جعل حجم وعمق وخطورة المشكلة تختلف تبعاً لذلك .

وترجع اهمية بحث العلاقة بين الثقافة والشخصية فى محاولة للتعرف على النقاط التالية :

١) التعرف على أثر التكوين الجسمى من حيث عوامل مثل العجز الحركى والادراكى والإعاقة والأمراض العقلية وعلاقتها بالادمان فى تلك الثقافات المختلفة .

٢) محاولة التعرف على رؤية الشخص المدمن فى تلك الثقافات المختلفة للحياة ومدى الرغبة فيها والإقبال عليها .

٣) التعرف على مقومات الشخصية المدمنة فى تلك الثقافات المختلفة من حيث الاقبال على المرح والإنبساط وعدم العزلة والنظرة الى اليأس أو الإندماج من دونه .

٤) التعرف على العلاقة بين الضعف الجنسى أو عدم النضج الجنسى وارتباطه بعملية الإدمان فى الثقافات المختلفة .

٥) التعرف على أثر عوامل مثل التقليد والمحاكاه ومجاراة عوامل الإتصال

الخارجى والداخلى فى الثقافات المختلفة وأثر ذلك على شخصية المدمن .

٦) التعرف على أثر وإختلاف تأثير طبيعة الحياة من حيث الروتينية والسرعة وعوامل الادمان فى الثقافات المختلفة .

٧) التعرف على العلاقة بين ضعف الشخصية والإدمان فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٨) التعرف على أثر عوامل مثل القلق والخوف والشك والحذر فى تباين أنماط الشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وعلاقة ذلك بالادمان على مواد دون اخرى .. الخ .

٩) التعرف على العلاقة بين بعض الامراض النفسية (حالات الإكتئاب والقلق اليأس والإحباط والإنطواء) للشخصية فى تلك الانماط المجتمعية المختلفة وعلاقتها بالإدمان .

١٠) التعرف على العلاقة بين عوامل مثل الإخفاق فى تحقيق الذات وإثبات الوجود ووجود هدف معين فى الحياة من دونه وأثرها على الشخصية فى تلك الثقافات المختلفة .

١١) التعرف على العلاقة بين عوامل مثل وجود او عدم وجود الفراغ العاطفى والاجتماعى وأثر ذلك على وصول الشخص للإدمان على الأنواع المختلفة للمواد المخدرة فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

١٢) التعرف على عوامل مثل الاحساس بالإنجاز أو عدم الإنجاز وكذلك الإحساس بالفشل من دونه وعامل التدين من دونه وتفاوت تلك العوامل فى شخصية الإنسان فى تلك الثقافات المختلفة .

١٣) التعرف على العلاقة بين الانفعال الجنسى للشخصية فى تلك الثقافات المختلفة وعلاقته بالادمان

١٤) التعرف على عوامل مثل الشعور بالوحدة الاجتماعية وضعف المرونة الاجتماعية وأثرها على الشخصية فى الثقافات المختلفة وعلاقة ذلك بالإدمان .

ونجد من الأهمية بمكان أن نعرض للشخصية فى ضوء فكرتين أساسيتين وهما :

أولاً . أن الشخصية وحدة أو كل أو جشتالت *Gastalt* ، ويجب دراستها كتنظيم كلى عام متكامل .

ثانياً يجب دائماً إبراز فكرة الاندماج للعناصر المكونة للشخصية واندماجها وتفاعلها المستمر بعضها مع بعض عند تحليلها علمياً الى عواملها الاولية لتوضيح الحقائق وإبرازها (١)

والواقع أنه مهما إختلفت قوائم العلماء فى ظاهرها وتفاصيلها فإن أغلبها يتفق على أن العناصر الاولية الرئيسية للشخصية هى (٢) :

١ – النواحي الجسمية (Physical)

٢ – النواحى العقلية المعرفية (Cognitive)

٣ – النواحى المزاجية (Temperamental)

٤ – النواحى الخلقية (Character)

---

(١) محمد خليفة بركات ، مرجع سابق ، ص ص ٩ – ١٤

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

ومن الضرورى بالطبع أن ننظر الى هذه العناصر الاربعة فى ضوء البيئة الاجتماعية والمحيط الثقافى العام الذى تتكون فيه الشخصية وتنمو .

١ - **النواحى الجسمية** : ويقصد بها حالة الجهاز العصبى وتأثير الغدد الصماء وحالة الجهاز الهضمى والحواس المختلفة من ناحية حدتها أو ضعفها وكذلك شكل الجسم العام وقوة العضلات وتناسب التقاسيم ورنة الصوت وسرعة الحركات أو بطئها .. إلخ .

٢ - **النواحى العقلية المعرفية** : وهى إما فطرية كالذكاء والقدرات التحصيلية والمواهب الخاصة ، وإما ا مكتسبه كالآراء والافكار والمعتقدات والمعلومات المختلفة .

٣ - **النواحى المزاجية** : ويقصد بها مجموع الصفات الانفعالية المميزة للفرد ، وتتضمن تلك الاستعدادات الثابتة نسبياً المبنية على ما عند الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها والتى تعتبر وراثية فى أساسها وهى تعتمد على التكوين الكيميائى والغدى والدموى ، وتتصل إتصالاً وثيقاً بالنواحى الفسيولوجية والعصبية وتظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر والإنفعالات من حيث قوتها أو ضعفها ، ثباتها أو تقلبها ومدى المثيرات التى تثيرها .

٤ - **النواحى الخلقية** : تشمل الصفات الخلقية المختلفة كالأمانة والخيانة والتعاون والأنانية والصدق والكذب والإقدام والتهيب والرحمة والغلظة والظلم والتسامح والتعصب والمسالة والعدوان والكرم والبخل الى غير ذلك مما يدخل نطاق الاتجاهات النفسية المختلفة .

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

كما نجد من الأهمية بمكان عند دراسة الشخصية كوحدة واحدة أن نتعرف على تأثير كل من نواحى التكوين النفسى للإنسان فى بعضها البعض ، حيث آن الناحية الجسمية فى الشخصية لا تؤثر على الناحية العقلية للشخص فقط وإنما يمتد تأثيرها الى جميع عناصر الشخصية ، فمن الثابت علمياً أن لإفرازات الغدد الصماء تأثيراً كبيراً ليس فقط على النمو الجسمى والحركى بل أيضاً على الذكاء واليقظة الفكرية وعلى الإتزان والإنفعال والنضج الجنسى وكل هذا يؤثر فى الشخصية من حيث إتزانها أو إختلالها النفسى والاجتماعى .

كما أن للعاهات والأمراض خصوصاً المزمنة منها ذات أثر بعيد فى النواحى العقلية والمزاجية والخلقية ، فبعض العاهات لها أثر تعويضى يتضح من المثل القائل : «كل ذى عاهة جبار» وهذا الأثر كثيراً ما يظهر فى شحذ قدرات الشخص الجسمية والعقلية كما يظهر بشكل بارز فى صفاته وإتجاهاته الخلقية وتعامله مع الناس ، وهناك عاهات يحدث عنها شذوذ بالغ فى الشخصية كالعاهات الناتجة من حوادث الإصابة فى المخ مثلاً (١) .

أما الأمراض المزمنة فلا يقل أثرها عن العاهات اذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدره الشخص على إستغلال طاقته العقلية كما تؤثر فى الناحية المزاجية والإجتماعية من شخصيته فتجعله خاملاً فى تفكيره مثلاً أو سريع التهيج والغضب فى تصرفاته ، أو تجعله ساخطاً متبرماً ينظر الى الدنيا بمنظار أسود (٢) .

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، بحث فى علم الاجتماع الثقافى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ .

(٢) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

ولا يمكن إنكار البنية القوية والصحة الجيدة الموفورة تعينان الشخص على الوقوف من الحياة على العموم موقف المتحدى مما لا يقدر عليه العليل أو السقيم ، فالصحة الجسمية بلا شك أساس الصحة النفسية، كما أن الضعف العارض قد يورط فى زلة خلقية عابرة فعندما تهجر العافية تفتر الشجاعة ويزداد الكسل ويغل الطبع الحاد أو يغور و وقد ننسب هذه التغيرات الى طعام تناولناه أو أرق بلينا به أو سموم فى الدم ، يضاف الى هذا أن بالجسم غدداً صماء تفرز مواد ذات فاعلية شديدة تسمى «الهرمونات» وهى مواد إن لم تفرز بقدر معلوم إختل ميزان الجسم كله وبدت تغيرات ملحوظة فى هيئة الشخص وبنيته ومزاجه وذكائه وغير ذلك من مظاهر شخصيته مما قد يؤثر في عاداته الاجتماعية وإتجاهاته النفسية (١)

ونلمس أثر الناحية العقلية فى نواحي الشخصية الاخرى إذا قارنا بين الشخص الذكى والشخص الغبى ، وضعيف العقل ، فالشخص الذكى يستطيع أن يقدر ويفهم معنى وأهمية حياته وكيفية المحافظة على صحته ووقايتها من الأمراض ، كما يستطيع أن يستفيد من الظروف والخبرات التى يتلقنها وأن يستجيب لمن يعلمه أو يربيه ، ويستطيع أن يكيف نفسه للوسط الذى يعيش فيه حيث أنه يكون قادراً على التحكم فى نزعاته ودوافعه غير الاجتماعية وتنمية ميوله وإتجاهاته الاجتماعية وبذلك يسهل إستيعابه وتشربه للثقافة التى يعيش فيها (٢) .

أما الشخص الغبى فإن غباءه يتسبب فى صعوبة تنشئته الاجتماعية

---

(١) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) سامية حسن الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

المتكاملة ، وتكون شخصيته عرضة للإنحراف والشذوذ الاجتماعي والخلقي وتدل الإحصاءات التي تعمل في محيط الانحراف والاجرام على أن احتمال أنسياق الشخصية الى الاجرام يتناسب طردياً مع درجة الغباء وعكسياً مع درجة الذكاء (١) .

ونلمس أثر الضعف العقلي وهو المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء على جميع نواحي الشخصية إذ يصحبه في الغالب ضعف في النمو الجسمي والإنفعالي والخلقي وكذلك عدم التوافق والتكيف مع المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يعيش من خلاله الفرد ، ولهذا نجد أن الضعف العقلي يؤدي الى عدم النجاح وإنحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول أنهم يتأخرون في النمو والمشي والكلام وفي سرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفاً في التوازن الحركي بحيث يبدو ذلك في تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم كما أن أفكارهم ضئيلة وأراءهم سطحية وفهمهم بطئ جداً وليس لديهم القدرة علي التحكم في دوافعهم النفسية وإنفعالاتهم الغريزية ، وقد ظهر في البحوث التي تناولت الاسرة المنحلة اخلاقياً أن الضعف العقلي ظاهرة شائعة بين أفرادها ، و قد أدى هذا الكشف الى ربط الاجرام بهذه الظاهرة ربطاً علياً (٢) .

كما نلمس تأثير الناحية المزاجية في نواحي الشخصية الاخرى من ملاحظة ودراسة أثر الانفعالات في سلوك الفرد وما يطرأ عليه بسببها من

---

(١) محمد خليفة بركات ، تحليل الشخصية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ ، ص ٥٣ .

(٢) حسن الساعاتي ، التحليل الاجتماعي للشخصية ، المجلة الجنائية القومية ، القاهرة ، عدد ١ ، ١٩٥٨ ، ص ٥٧

تغيرات شاملة عقلية وجسمية ، وقد أجرى كانون *Cannon* بعض التجارب لملاحظة ما يصاحب الانفعال من تغيرات فقد فحص بأشعة اكس قطة بعد أن تناولت غذائها ولاحظ أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة فى عملية الهضم ، ثم أظهر أمام القطة كلباً كبير الحجم ولاحظ بعد إدراك القطة لوجود الكلب أن ظهرت عليها علامات الخوف المعروفة بكل مظاهرها ولاحظ كذلك أن عملية الهضم قد توقفت دفعة واحدة . وإستنتج بملاحظاته الاكلينيكية الى أن الأوعية الدموية إنقبضت فى المعدة وإتسعت فى أطراف الجسم ، وأن ضغط الدم قد زاد زيادة كبيرة فى هذه الاطراف ، وأن تغيرات عدة طرأت على إفرازات الغدد مما أدى إلى زيادة العرق وقلة اللعاب مثل زيادة الأدرينالين مثلاً فى مساعدة الكبد على إخراج السكر المخزون الى الدم وهذا السكر يحترق أثناء نشاط الكائن الحي ، فيزوده بالطاقة والقدرة على الاستمرار فى نشاطه [١] .

وبناء عليه فالإنفعال إذن حالة نفسية جسمية ثائرة تتميز من الناحية الجسمية بتغيرات وإضطرابات فسيولوچية شتى فى التنفس والدورة الدموية والجهاز الهضمى ، وإفرازات الغدد وغير ذلك من تغيرات الشعور التى تهيئ الشخص للهرب أو الصياح فى حالة الخوف أو القتال أو الدفاع فى حالة الغضب ، أو غير ذلك من أنواع السلوك التى تتصرف بها تلك الطاقة الإنفعالية المتراكمة فى الجسم وأجهزته المختلفة ، فإذا أعيقت هذه الطاقة الإنفعالية عن الإنطلاق فى سلوك خارجى مناسب كأن إمتنع الهرب أو الدفاع مثلاً ، زاد تراكمها وإشتدت وطأتها ، وتضخمت إضطرابات الأجهزة

---

(١) عبد العزيز القوصى ، أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ص ٣١ - ٣٢ .

الجسمية والأحشاء . وقد يحدث للفرد أعراضاً من عسر الهضم أو الصداع أو القئ أو الأمساك أو الإسهال الخ ويعنى ذلك أن كبت الإنفعالات لأى سبب من الأسباب يؤدى الى إضطرابات عضوية خطيرة ، ومن المشاهد المعروفة أن الحقد أو الغيظ حين يخزن مدة طويلة فى النفس يؤدى الى حالة من إرتفاع ضغط الدم ليس لها أصل عضوى واضح ، وهى تسمى «إرتفاع ضغط الدم الجوهرى» أو إنفعال القلق المتكرر أو المزمن يخل توازن الكالسيوم فى الدم مما قد يؤدى الى تلف الأسنان ، وأن مرضى السل الذين يعانون أزمات نفسية يسير المرض فيهم أسرع من سيره فيمن لا يكابدون هذه الأزمات ، فإذا كانت حالة الغيظ المكظوم الوقتية تؤدى الى إرتفاع عارض فى ضغط الدم فليس من الغريب أن يؤدى الغضب أو الكره المزمن الى إرتفاع مستمر فى ضغط الدم . وإذا كان القلق الوقتى يصيب الفرد بعسر مؤقت فى الهضم ، فليس من الغريب أن يحدث القلق أو الخوف المزمن الموصول قرحة فى المعدة (١) .

وهناك بعض الأمراض الجسمية ترجع فى المقام الاول الى عوامل نفسية سببها مواقف إنفعالية ترجع الى ظروف إجتماعية وتعرف هذه الأمراض بالأمراض السيكوسوماتية ومن أظهر الأمراض السيكوسوماتية : الضغط الجوهرى ، قرحة المعدة ، الاثنى عشر والربو وطائفة من أمراض القلب والجدرة والتهاب المفاصل الروماتزمى ونوع من الصلع وكثير من حالات السكر والبدانة واللمباجو وعرق النسا وبعض إضطرابات الولادة عند النساء وأغلب أمراض الجلد التى لا تنشأ عن التلوث (٢) .

---

(١) أحمد عزت راجح مرجع سابق ص ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) أحمد عزت راجح . مرجع سابق ، ص ٤٥٣ .

كما نلمس أن الناحية الخلقية وتداخلها مع النواحى العقلية والمزاجية وترابطها مع تلك النواحى فى تكوين الشخصية ، إلا أنها أقرب الى عوامل البيئة والوسط الاجتماعى والثقافة المهيمنة على الفرد ، فالنواحى المزاجية والعقلية هى المواد الخام التى تبنى عليها الصفات الخلقية ، ولذا فإن الأخلاق السائدة فى المجتمع ، هى المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية

وهذا يعنى أن كل ثقافة يسرى منها تيار أخلاقى خاص ينساق الفرد فيه متأثراً بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز والمعايير أمور نسبية تختلف فى معناها وحدودها من مجتمع الى آخر . ولذلك فالجنوح عن صراط تلك المعايير أمر نسبى والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوكاً عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافة أخرى [1] وهذا ما أثبتته الدراسة التى بأيدينا فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث

كما نجد أن التوجهات النظرية المختلفة بصدد العلاقة بين الثقافة والشخصية تعطى وزناً فى عمومها وإختلاف محاورها لأثر الثقافة كأداة للتكيف والتوافق مع الظروف المجتمعية فضلاً عن كونها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية تشكل دعامة للتعلم الانسانى وإستثارة للقدرات الانسانية غير المحدودة التى أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى الإنسان وخصه بها دون غيره من الكائنات الاخرى . كما أنها تساعد الشخص على إكتساب العناصر المختلفة للثقافة ومن ثم إبرازها والمحافظة عليها وكذلك

---

(١) سامية حسن الساعاتى ، مرجع سابق ص ٢١٧

التعديل فى أنماطها أو نماذجها أو فى بعض سماتها أو تحديث وتعديل السمات التقليدية من جانب الشخص كما يتوام مع ظروفه الحياتية والمعيشية وهنا نجد الإلتقاء والتداخل والتأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية :

وإذا كانت الثقافة وسيلة لحل المشاكل المجتمعية أو الشخصية إلا أنها من الممكن أن تكون وسيلة لخلق كثير من المشكلات مثل مشكلة الإدمان وتفاوت خطورتها وتنوع مصادرها فى الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، حيث أنها قد تخلق حاجات ومطالب تتطلب إشباعاً وقد لا تكون هناك الوسائل المتعددة فى السياق الثقافى التى تشبع هذه الحاجات ، وبناء عليه تتفاوت قدرة الشخص علي التواؤم والتكيف والتوافق مع هذه المطالب والحاجات فى ضوء المحيط الاجتماعى والثقافى . كما أوضحت الدراسة فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث .

وتأتى أهمية دراسة التكوين النفسى للشخص المدمن فى الثقافات المختلفة لكون عملية الإدمان فى حد ذاتها هى نمط سلوكى يمارسه الشخص أو بعض أفراد المجتمع الذين ينتمون للمجتمع ويدخلون فى دائرة العلاقات الاجتماعية الواسعة فى هذه المجتمعات المتباينة ثقافياً ومن ثم يؤثر فيه ويتأثرون بالمحيط الاجتماعى والثقافى ، وبناء عليه يبرز إلتقاء وجهتى النظر النفسية والأنثروبولوجية فى الإهتمام بسلوك الشخص المدمن فى تلك الثقافات المتباينة ومن ثم إبراز المعنى الرمزى للمواد المخدرة والنظرة اليها والطقوس والوظائف المقترنة بالتعاطى ومن ثم الإدمان وكما إتضح فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث والتعرف برؤية أكثر شمولية على الأبعاد والعوامل المختلفة المؤثرة في التكوين النفسى فى الثقافات المختلفة وكما سيتضح فى الفصول القادمة .

الفصل الأول

التكوين الجسمي للمدمنين في الثقافات المختلفة

وتتلخص مظاهر التكوين الجسمى للمدمنين والتى تتفاوت من حيث الضعف أو الضعف الشديد للغاية حسب نوع المادة المخدرة حتى تصل فى بعض أنواع المواد المخدرة كالهيروين والمورفين إلى الإنتحار أو الموت المفاجئ . ونجمل تلك المظاهر والخصائص فى النقاط التالية :

١) ضعف الجهاز العضلى الذى يسبب تراخياً فى النشاط الحركى للمدمنين حيث يفقدون الدقة والمهارة والإتزان فى جميع النواحى بعد أن كانت متوافرة لديهم قبل الدخول فى دائرة الإدمان بخاصة على الأنواع المدمرة حيث أن تعاطى المواد المخدرة له تأثير على الخصيتين وضمورهما عكس الإعتقاد تماماً فى العلاقة بين تعاطى المواد المخدرة والقوى الجنسية بل يمكن القول أن الغالبية من مدمنى المواد المخدرة يصلون الى مرحلة الشيخوخة الجنسية لأن ضمور الخصيتين التى تقوم بإفراز هرمون النمو (GH) الذى من شأنه نمو العضلات والعظام والمحافظة على قوتها وتماسكها يحدث مبكراً .

وقد يشعر بعض المدمنين بالقوة الجسدية الوهمية ويحدث تبعاً لذلك تخيلاً كاذباً عن إطالة العملية الجنسية وزيادة الشعور بالمتعة والنشوة خصوصاً لمدمن الحشيش والخمر والهيروين فى بداية تعاطى الجرعات الاولى .

ويكون المدمن بصفة عامة ومدمن الهيروين بصفة خاصة أقل مناعة ضد الڤيروسات والفطريات وأكثر عرضة للإصابة بالسرطان كما أثبتت

الدراسات الحديثة أن الحقن أحد الوسائل الهامة لنقل الأمراض الخطيرة وخاصة الإيدز ، كما أن أولاد المدمنين أو حتى المتعاطين للمواد المخدرة يولدون ضعاف العقول والأجسام ولديهم نقص فى المناعة الطبيعية ويكونون معرضين للأمراض العصبية والنفسية .

فنجد على سبيل المثال مدمن الهيروين أكثر تأثراً بالضعف الجسمانى والنفسى ويشعر بالهبوط والإعياء وتصلب العضلات وكثرة إفراز العرق والإحساس بالآلام الشديدة فى الظهر كما يضاف مدمن الخمر بالضعف الجنسى وأمراض العضلات والدم ونقص السكر في الدم وكثرة إفراز العرق .

٢) الأجهزة الداخلية للمدمنين يصيبها الوهن حيث يتسرب الضعف الى القلب والشرايين وزيادة الأزمات القلبية والذبحة الصدرية بعد التعرض لأى مجهود عضلى وزيادة عدد دقات القلب ، وقد تصل كثير من حالات الهيروين الى الموت المفاجئ نتيجة الهبوط الحاد فى الدورة الدموية . وكذلك إعاقة بعض الأعضاء الهامة فى الجسم من أداء وظيفتها أحياناً أحياناً والى الأبد فى بعض الأحيان كما فى حالات إدمان الهيروين .

كما تحدث إصابات كثيرة للغاية بين المدمنين بضغط الدم وتصلب الشرايين التاجية والذبحة الصدرية كما سبق نتيجة ترسب الدهون وتعرضهم لحالات النزيف الداخلى وأكثر الحالات نزيف المخ وما يتبعه من شلل نتيجة لضعف الدورة الدموية حيث أن جسم المدمن خصوصاً مدمن الهيروين والمورفين والماكس والخمر غير قادر على التعامل مع درجات الحرارة المتغيرة وبالتالى فإنها تؤثر على درجة حرارته بعكس الحال قبل دخولهم

الى دائرة الادمان من مختلف الطبقات العمرية ويمكن إرجاع هذه الظاهرة الى إنخفاض عملية الميتابوليزم وضمور العضلات .

٢) ضعف الجهاز الهضمى لنقص مادة الكالسيوم فيه ، ولذا نجد المدمنين ضعاف وتتملك فيهم بعض أعراض الشيخوخة حتى لو كانوا فى سن الشباب فنجد الكثير منهم تتقوس قامتهم وتضعف أرجلهم عن حمل أجسامهم وخصوصاً مدمنى الهيروين والأفيون والمورفين والخمر وتتساقط الأسنان لمدمن الخمر بالذات ، كما أن إصابتهم بأى كسور تكون بطيئة الإنجبار عكس الحال لغير المدمنين ، كما يصابون بنقص كفاءة الجهاز الهضمى والكبد عن أداء المهام المنوطة بهم ويتمثل فى النقاط التالية :

- عدم قدرة الأمعاء الغليظة على التفريغ ويحدث نتيجة لذلك الإمساك بكثرة بين المدمنين وبخاصة مدمن الأفيون بينما يصاب دائماً مدمن الهيروين بالإسهال والآلام المعدية خاصة مع تأخر الجرعة ويصاب كذلك بالحمى والغثيان .
- يصاب مدمن الخمر بإلتهاب فى المعدة وقرحة المعدة وإضطرابات الكبد
- إصابة مدمن الهيروين والخمر والأفيون بفقدان شديد للشهية للطعام عكس الحال بالنسبة لمدمن الحشيش .
- يحدث إنخفاض ملحوظ فى إفراز المعدة من حامض الهيدروكلوريك وأنزيمات الهضم عن الحالة الطبيعية قبل الدخول فى الإدمان وبالتالى نقص مقدرة المعدة على التفريغ .
- قصور مقدرة الأمعاء على إمتصاص المادة الغذائية وبناء عليه يعانون من نقص فى التغذية .

- يقل إفراز البنكرياس عند المدمنين خصوصاً مدمن الهيروين والأفيون والخمر وهذا يقلل بلا شك من المقدرة على الهضم ونقص التغذية بصفة عامة أيضاً .

- يصاب دائماً مدمن الهيروين والحشيش بجفاف الحلق والفم والمرارة وبالذات مدمن الهيروين ولذا يميلون الى أكل الحلوى وشرب المرطبات بكثرة ومع كثرة تدخين السجائر لمدمن الهيروين .

٤) ضعف الحواس للمدمنين بصفة عامة ومدمن الهيروين والمورفين والخمر بصفة خاصة عن الإتصال الكامل بما يجرى من حوله وما يقوم به من أشياء ويتضح ذلك من الفقدان التدريجى لحدة الإبصار وإحتمال حدوث مرض إرتفاع ضغط العين *Glucoma* وكذلك إحتمال حدوث إصابة المدمن بمرض البول السكرى ونجد أن مضاعفات هذا المرض اللعين على العين تتمثل فى صورة نزيف متكرر بالشبكية ، إنفصال شبكى وتتمثل فى النهاية فقدان لحدة البصر .

كما يعانى مدمن الحشيش من إرتخاء الجفون وإحتقان وإحمرار العينين ورعشة اليدين ، ويصاب مدمن الخمر بإحتقان وإحمرار العينين والتهاب الأعصاب المحيطة ورعشة العينين والعمى الكحولى . كما يعانى مدمن الأفيون من نزول حدقتى العينين عن مستوى الجفن الأسفل .

ودائماً يصابون بأمراض الرشح والتقيؤ خصوصاً الهيروين والأفيون والخمر وتستمر حالة التقيؤ حتى لو كانت المعدة فارغة ، كما يحدث إختلال في تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والأشياء وكأنها بطيئة أو سريعة عن معدلها وبالذات مدمن الحشيش .

٥) ضعف الجهاز العصبى وضعف فى السيطرة الإرادية على نشاطه وبخاصة مدمن الهيروين والأفيون والخمر مما يجعله عرضة للوقوع والتعثر فى المشى وفى حمل الأشياء وتصاب اليدين بالرعشة كما يحدث فقدان الذاكرة وعدم التركيز وإضطراب النوم واليقظة وعدم القدرة على التصرف الصحيح خصوصاً مدمن الهيروين الذى لا يستطيع أن ينام إلا والمخدر تحت وسادته ويصاب مدمن الهيروين بالتشنج والأرق والخوف الدائم ، ويصاب مدمن الخمر بحالة من جنون العظمة والإحساس الكاذب بالأهمية أو بالقوة أو بالهلوسة ، ويصاب مدمن الأفيون فى بعض الأمراض الجلدية كالأرتيكاريا أو الإلتهابات الخارجية والإغماء وفقدان الثقة بالنفس أو الشعور بالأمن .

٦) يتأثر التكوين العقلى تأثراً كبيراً للغاية بعد الدخول الى دائرة الإدمان ، فنجد أن تعاطى الحشيش على إنفراد وفى حالات الغضب أو الإكتئاب يزيد من إحتمال ظهور الحالات العقلية التى تتصف بالمعتقدات الإضطهادية الباطلة ، ويصاب مدمن الأفيون بالخمول الفكرى ويصاب مدمن الهيروين بفقدان جزئى للذاكرة والشرود وعدم التركيز وضعف الإدراك العقلى والحركى والإصابة بحالات من الأرق والخوف والشك الدائم ، كما أن مدمن الخمر يصاب بضمور فى خلايا المخيخ والنوبات الصرعية وإلتهاب المخ من نوع فيرنيك وذهان كورساكوف وإضطرابات الذاكرة والخرف الكحولى والهلوسة الكحولية كما يحدث الحشيش فقدان جزئى للذاكرة وإختلال فى تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والأشياء كأنها سريعة أو بطيئة عن معدلها وتؤدى الى إختلال العقل وفساده .

٧) يتأثر الجهاز التنفسى للمدمنين على مختلف المواد المخدرة فيصاب المدمن بضيق فى التنفس المصحوب بزيادة دقات القلب أو إنخفاضها عند أى مجهود حتى ولو كان بسيطاً والكحة الجافة (السعال) خصوصاً مدمنى الحشيش والهيروين والأفيون وهذا الضيق فى التنفس فى سببه إنخفاض مقدرة الرئتين على القيام بوظائفها وهى تنقية الدم من ثانى أكسيد الكربون ومده بالأكسجين وذلك بسبب التغيرات التى تحدث بها وبالقفص الصدرى بسبب الادمان على المواد المخدرة ، ويعانى مدمن الخمر من إحتقان الأنف والشعب الهوائية والسل الرئوى .

ونجد أن تأثر التكوين الجسمى للمدمنين فى الثقافات المختلفة بعملية الادمان يختلف إختلافاً واضحاً ويبدو ذلك فى النقاط التالية :

١ - عدم تنوع المواد المخدرة فى المجتمع البدوى فى حين تنتشر جميع انواع المواد المخدرة وخصوصاً المواد المدمرة كالهيروين وفى حين تنتشر هذه المواد فى المجتمع القروى بصورة أقل من المجتمع الحضرى ولكنها أكثر من المجتمع البدوى ، وبناء عليه تختلف تأثير تلك المواد على الانسان جسمياً ونفسياً وإجتماعياً نتيجة التفاوت فى التعدد والتنوع .

٢ - من الملاحظ أن الانسان فى المجتمع البدوى في مختلف المراحل العمرية وكذلك الانسان فى المجتمع القروى الى حد كبير يتمتع بقوة جسدية وإتزان إنفعالى ومزاجى تفوق الإنسان فى مختلف المراحل العمرية فى المجتمع الحضرى ، ومرد ذلك بساطة البيئة الطبيعية وعدم تلوثها والبيئة الإجتماعية وإستقرار القيم والأعراف والعادات والتقاليد الى حد كبير فى تلك الأنماط التقليدية عكس الحال الى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى

وهذه العوامل كان لها تأثيرها البالغ على تنوع المواد المخدرة وخطورتها وإنتشارها وتأثيرها على مقومات الشخصية الحضرية بصورة أكبر من الأنماط التقليدية الاخرى .

٣ - إختلاف العادات الغذائية للإنسان فى تلك الثقافات المختلفة وإرتباط ذلك بالسياج الاجتماعى والثقافى ومدى الإعتماد على الموارد المتاحة أو غير المتاحة فى تلك الأنماط المجتمعية المختلفة وهذا كان له أثره البالغ الأهمية علي مختلف عناصر التكوين النفسى للشخصية فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً من جميع النواحى الجسمية والعقلية والإنفعالية والخلقية وبالعكس .

٤ - التفاوت الواضح من الإنفعالات المتعددة والمختلفة للشخصية فى تلك الثقافات المختلفة نتيجة عوامل الإستقرار والهدوء النسبى للبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية كان له بالغ الأثر على عدم تنوع المواد المخدرة الخطرة وإنتشارها فى الأنماط التقليدية عكس الحال فى النمط الحضرى وما يتبع ذلك من إضطرابات فسيولوجية ونفسية وإجتماعية كان لها بالغ الأثر فى تكوين الشخصية و تأثرها وتأثيرها بالمحيط الاجتماعى والثقافى الذى تعيش من خلاله .

٥ - ميل البدوى صفة عامة والمدمن بصفة خاصة الى البساطة والحياة فى هدوء بعيداً عن المشاكل وضوضاء المدينة وحبه للإنعزال والخلو الي النفس وكذلك الشخصية القروية الى حد كبير خصوصاً فى الأسر الممتدة مع التفاوت النسبى فى القرية ككل وتبعاً لنوع عقار الادمان وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وكان لهذا كله أثره البالغ الأهمية فى

إزدياد الضغوط النفسية والعصبية والحالة المزاجية للإنسان الحضرى عن قرينيه في الأنماط التقليدية خصوصاً لو وضعنا فى الإعتبار أن مثل هذه الظروف والعوامل كانت من الأسباب والدوافع الرئيسية وراء تنوع وتعدد المواد المخدرة فى النمط الحضرى عن الأنماط الأخرى وسبق تناول هذا بشىء من التفصيل عن تناول أسباب ودوافع الإدمان فى الثقافات المختلفة .

٦ - إختلاف النظرة الى الأعمال والإرتباط بأعمال معينة دون أخرى بل وعدم الإرتباط فى أغلب الأحوال في الثقافات التقليدية من دخول إلى الحياة العملية وخروج منها كما هو الحال فى المجتمع الحضرى ، وكذلك عدم الإقبال من جانب البدو بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة علي الأعمال العضلية أو الشاقة أو الأعمال الحرفية والمهنية عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى وإلى حد بسيط فى المجتمع القروى وهذه العوامل كان لها تأثير على مقومات الشخصية البدوية والقروية والحضرية وبالتالى إختلاف التأثير والتأثر بين العوامل والعناصر المكونة للشخصية والثقافة والظروف المجتمعية فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً وهذا له أثر بالغ الأهمية فى إختلاف نظرة الشخصية للحياة والهدف منها ونظرة الإنسان لنفسه ومجتمعه وبالعكس .

الفصل الثانى

التكوين الإنفعالى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

تختلف إنفعالات المدمنين فى المجتمع البدوى عن القروى عن المجتمع الحضرى . وهذا مرده إختلاف البيئة الطبيعية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية التى يحيا خلالها المدمن فى تلك الأنماط المتباينة ثقافياً ، كما نجد أن هذه الإنفعالات تختلف لإختلاف إقبال الطبقات العمرية من الجنسين على أنواع مخدرة دون أخرى فى تلك الثقافات المتباينة وبالقطع إختلاف تأثير المواد المخدرة نتيجة تباينها وإنتشارها من عدم إنتشارها فى ثقافات دون أخرى مما يؤثر على التكوين الإنفعالى للمدمن فى تلك الثقافات المتباينة ما بين التوتر والعصبية والصراع والإحساس بالإنجاز والفشل وكما سيتضح من المعالجة الميدانية التالية :

وتتمثل أهم خصائص التكوين الإنفعالى للمدمنين فى الثقافات المختلفة فى النقاط التالية :

١) الإحساس بالإنجاز والإتمام:

مما هو جدير بالذكر أن الإنسان دائماً يحاول أن يستعيد ذكرياته ويستعرضها فى كل مناسبة وهذا الإستعراض للذكريات السعيدة أو المؤلمة يكون لهما آثاراً نفسية بعيدة فى حياة الإنسان الحاضرة والمستقبلية فى أغلب الأحوال ، فقد يبعثان عن الرضا والهدوء أو أن يجلب له الصراع والألم وعدم الرضا .

ولقد تبين أن المدمن فى المجتمع البدوى خصوصاً وأنه مدمن على المواد

التقليدية مثل الحشيش والأفيون في أغلب الأحوال وأنه يعيش في سياج إجتماعى وثقافي ونفسى أكثر إستقراراً وهدوءاً عن قرينيه في المجتمع القروى الى حد بسيط والحضرى الى حد كبير يشعر بالرضا والقناعة والهدوء وقلما نجد بدوياً غير راضياً عن حياته أو ساخطاً على أهله وذويه ومجتمعه وهذا مرده أن أمور البدوى فى مختلف المراحل العمرية تكمن إدارتها وقيادتها فى يد كبار السن والعواقل كما هو الحال فى أغلب الأحوال بالنسبة للأسر الممتدة فى المجتمع الحضرى عكس الحال بالنسبة للمدمن في الأسر النووية فى المجتمع القروى والمدمن في المجتمع الحضرى بصفة عامة حيث نلمس النزعات الفردية وتملكها واختصاص كل إنسان فى المجتمع الحضري بمسئوليته عن أفعاله عكس الحال عن المسئولية الجماعية فى الأنماط التقليدية .

كما لمست أن طبيعة وظروف الحياة من جميع النواحى فى المجتمع الحضرى تجعل الشخصية الحضرية من الجنسين ومن مختلف الطبقات العمرية تعيش في عدم تواصل فكرى أو عاطفى وإجتماعى مع تملك مشاعر الخوف والحذر والشك وعدم الأمان فى أغلب الأحوال عكس الحال فى المجتمعات التقليدية البدوية والقروية الى حد كبير ، وهنا تكمن مشاعر الإحساس بعدم الإنجاز أو تحقيق الذات وتحقيق الطموح والأمانى والآمال لدى الشخصية الحضرية وبما يتواءم مع السياج الاجتماعى والثقافى الحضرى عكس الحال تماماً لمثل هذه المشاعر للشخصية البدوية والقروية فى محيطهما الاجتماعى والثقافى .

كما هناك مسألة فى غاية الأهمية بشأن الإحساس بالإنجاز وتحقيق الذات والرضا عن الذات وتتمثل فى أن الثقافة البدوية والقروية الى حد كبير

قد حددت تحديداً قاطعاً طبيعة المراكز والأدوار للذكر والأنثى من مختلف الطبقات العمرية وأن الحقوق والواجبات الواجبة على الذكر نحو الأنثى وبالعكس فى مختلف المراحل العمرية قد حددتها الأعراف البدوية وكذلك الثقافة القروية خصوصاً فى الأسر الممتدة الى حد كبير عكس الحال فى الأسر النووية القروية وبخاصة التى نزحت الى المدينة وكذلك بالنسبة للغالبية العظمى من الأسر فى المجتمع الحضرى نتيجة خروج المرأة الى مجال العمل المتنوع والمتمايز والمتخصص أسوة بالذكور من مختلف التخصصات ومن مختلف المراحل العمرية خصوصاً بعد فتح مجال التعليم والعمل على مصراعيه أمام الجنسين وكسب المرأة لكثير من الحرية غير المقيدة فى أغلب الأحوال ومعيشتها فى ظل بيئة طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية ونفسية تختلف إختلافاً واضحاً عن قرينتيها فى المجتمع البدوي الى حد كبير والمجتمع القروى وخصوصاً المتعلمة الى حد بسيط ، وأعتقد أن هذه الظروف والأعمال والملابسات المجتمعية المتمايزة والمتباينة كانت من الأسباب الأساسية وراء إنتشار وتباين وتنوع المواد المخدرة فى المجتمع الحضرى عن الأنماط المجتمعية التقليدية البدوية والقروية وأدى ذلك بالقطع الى خطورة ظاهرة الإدمان من قلة خطورتها فى الثقافات المختلفة .

كما نجد مسألة أخرى وهى أن الشخصية البدوية بصفة عامة القروية الي حد بسيط عكس الشخصية الحضرية الى حد كبير راضياً تماماً عن الجيل الذي نشأ فيه وعن علاقاته مع أقاربه وأقرانه وجيرانه ، بل يعيش لحظات عمره لحظة بلحظة وينعم بالوقت والحياة البسيطة بعيداً عن الضغوط النفسية والاجتماعية والإقتصادية التى تعانى منها الشخصية الحضرية الي حد كبير والقروية الى حد بسيط فى مختلف الطبقات العمرية والاجتماعية

وبناء عليه نلمس كيف أن عدم إستطاعة الشخصية الحضرية من مختلف الطبقات العمرية ومن الجنسين للتكيف والتوائم مع الحياة فى المجتمع الحضرى من مختلف الجوانب وفشله فى إشباع وتحقيق دوافعه ورغباته عكس الحال فى المجتمعات التقليدية أثر كبير جداً فى سهولة الدخول الى دائرة إدمان المواد المخدرة وبالذات الأنواع المدمرة .

٢ - الإحساس بالفشل:

مما لا شك فيه أن عدم إنجاز الإنسان لطموحاته وأهدافه وإستغراقه فى ذكرياته فى مختلف مراحل حياته العمرية يجعله يشعر دائماً بالحسرة والكدر وعدم الاقبال على الحياة خصوصاً لو كان هذا الانسان يعيش فى ظل سياج إجتماعى وثقافى لا يسمح لطموحاته ورغباته ودوافعه وأهدافه أن تشبع بالطريقة التى يريدها هو شخصياً بعيداً عن هذا السياج أو حتى فشله فى التواءم والتكيف أو إكتساب الانماط السلوكية التى تتواءم مع نمط المعيشة فى أمن وإستقرار داخل هذا السياج المجتمعى فى الثقافات المتباينة وتختلف رؤية الشخص لعوامل الانجاز والفشل أو الاحساس بقيمته وقيمة وجوده وإقباله على الحياة فى ظل ثقافة عن الاخرى ومرد ذلك إختلاف الرؤية المتبادلة بين المجتمع والشخص أو فى معنى أخر إختلف الرؤية المتبادلة بين الثقافة والشخصية فى الانماط المجتمعية المختلفة .

وتبين أن الشخص فى الثقافة البدوية لا يشعر بالفشل إلا نادراً فى مختلف الطبقات العمرية من الجنسين حيث أن عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية قد لعبت دوراً هاماً فى تحديد الادوار والمراكز وإختلاف النظرة لقيم الذكورة والانوثة وتقنينها وتطبيع العلاقة بين الشخصية البدوية والثقافة

البدوية فى مختلف مجالات الحياة ونادراً ما تجد طفل أو شاب أو فتاة بدوية أو حتى كبير السن يشكى أو يشعرك بأنه نادماً أو يشعر بالكدر والحسرة بل تحس بأن هناك إقبالاً على الحياة ورضا عنها وعن المجتمع وعن أبناء المجتمع ونجد الصورة تختلف الى حد بسيط فى المجتمع القروي خصوصاً فى الاسر الممتدة القوية المتماسكة وعكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى ، ويتضح ذلك جلياً من خلال المقارنة بين مشاعر وأحاسيس الشخص فى تلك الثقافات المختلفة فى النقاط التالية :

١) إحساس الشخص فى مختلف المراحل العمرية ومن الجنسين ومن خلال التحديد الواضح للأدوار المراكز والمكانة فى المجتمع البدوى بأهمية دوره ووجوده وإستمراريته وأنه مرغوباً لوجوده فى المجتمع ومثل هذه الأحساسيس نجدها فى المجتمع القروي الى حد كبير فى الأسر الممتدة وإن كان نالها بعض التغيير ، إلا أن الصورة تختلف الى حد كبير فى المجتمع الحضرى نتيجة لمشاعر الإضطراب والقلق والإحساس بالغربة عن الذات وعن المجتمع وعدم الأمان والقلق خصوصاً فى سن المراهقة والشباب ومنتصف العمر مما كان له إنعكاس واضح فى مشاعر وإحساس الشخص من الجنسين فى المجتمع الحضرى بمشاعر الإحباط والفشل الى حد كبير عن الأنماط المجتمعية الأخرى .

٢) بساطة الحياة التى يحياها الإنسان البدوى وسهولتها من جميع النواحى وعدم تعقيدها وتجانسها الي حد كبير وعدم إستطاعة الإنسان البدوى بعامة والمدمن بخاصة تعكير صفو هذه الحياة التي لابد وأن يحافظ على إستقرارها وتساندها وتكاملها خشية التعرض للعقاب والجزاء وهذه الصورة تختلف الى حد كبير بالنسبة للقرية خصوصاً بعد إعتمادها الي حد

كبير علي المدينة فى كثير من جوانب الحياة وإتصالها المباشر السريع بمجريات الحياة فى المجتمع الحضرى والذى تتعقد فيه الحياة من جميع النواحى ويشعر الشخص فى ظل الثقافة الحضرية مهما كان مستواه المادي والإجتماعي والثقافى بصعوبة الحياة بصورة أو بأخرى مما يجعل عوامل الأمان والإستقرار والتوازن النفسى والإجتماعى تتفاوت بصورة كبيرة عبر هذا المتصل الحضارى من البداوة الى الريفية الى الحضرية وتأثيرها العميق على مقومات الشخصية فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً وإختلاف القدرات الإمكانيات والظروف علي التوازم بصورة أو بأخرى فى تلك الثقافات المتباينة .

٣) لقد كان عدم إحساس الإنسان البدوى بالفشل الى حد كبير راجعاً الى عدم الطموح المادى والأدبى الجانح للشخصية البدوية بصفة عامة وفى مختلف المراحل العمرية من الجنسين عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى وإلى حد كبير للغاية فى المجتمع الحضرى ، وهذا راجعاً الى إختلاف درجة تناسب قدرات الإنسان فى تلك المستويات الثقافية المتباينة عن مستوى الطموح والرغبة فى الإنجاز والقدرة على تحقيق الأهداف التى يسعي الإنسان اليها فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً ، وهذا يجعلنى أؤكد أن مستوى الطموح للشخصية البدوية يعيش فى توازم وإنسجام مع السياج الإجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى فى ذلك النمط المجتمعى مع إختلاف هذا المستوى مع درجة الطموح إلى حد كبير فى المجتمع القروى والتفاوت الواضح بين مستوى الطموح والقدرة على تحقيقه للشخصية فى الثقافة الحضرية .

٤) لقد كان للتواصل والتفاعل والتلاحم بين الأجيال من الفئات العمرية

المختلفة المبنى على العادات والتقاليد والأعراف البدوية ومما يقنن طبيعة التواصل والتفاعل الإجتماعى وأسسه والحقوق والواجبات والإلتزامات المقررة تجاه الطبقات العمرية بعضها البعض أثر كبير للغاية فى عدم الشعور بالفشل للشخصية البدوية بصفة عامة والمدمن بصفة خاصة وحرصه على أن لا يفشى سر إدمانه على المواد التقليدية فى أغلب الأحوال وقد نجد الصورة تقترب إلى حد كبير فى المجتمع القروى خصوصاً فى الأسر الممتدة ولكنها تختلف فى الأسر النووية وإستقلالها عن السياج والتفاعل الاجتماعى المرتبط بالتقاليد والعادات القروية الى حد كبير ، والتفاوت الواضح فى عملية التواصل والتفاعل الاجتماعى والتلاحم بين الأجيال العمرية المختلفة ، بل داخل الأسرة النووية الواحدة فى المجتمع الحضرى إلى حد كبير وإختلاف القدرات والطموحات وإختلاف الرغبات والدوافع والمشاعر وإختلاف النظرة إلى مجموعة الحقوق والواجبات الواجبة نحو الطبقات العمرية بعضها البعض ومثل هذه المشاعر جعلت الإحساس بالإغتراب عن الذات وعن المجتمع وعدم الأمان وغلبة مشاعر اليأس والإحباط ومن ثم الفشل قد كانت من أهم عوامل عدم الإحساس بالدفء الاجتماعى والفراغ العاطفى والوجدانى وإنحراف كثير من أبناء هذا النمط المجتمعى من الجنسين ومن الطبقات العمرية المختلفة الى دائرة الإدمان على الأنواع المتباينة للمواد المخدرة وخصوصاً المدمرة .

٥) عدم إحساس الشخصية الدوية بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة بالظلم أو الجور وفى حالة الظلم أو الإعتداء ينال كل إنسان حقه وفى سهولة ويسر وبسرعة ولذا تعيش هذه الشخصية البدوية فى أمن وإستقرار وإقبال لا مثيل له على الحياة وتبسيطها إلى أقصى حد وخير

دليل على ذلك إحتقارهم لشارب الخمر ورفع الوصاية عنه ودائماً المثل يقول «المسطول بيته يلمه» حتى لا يفضح أو يرتكب أى فعل سلوكى يجرمه المجتمع ويتشدد فى تحديد الجزاء للخروج على القواعد السلوكية المألوفة مجتمعياً خصوصاً لو أتى بها أى مدمن على أى مادة مخدرة ، ومثل هذه المشاعر تتفاوت الآن فى القرية المصرية خصوصاً بعد تفكك كثير من الأسر الممتدة نتيجة عوامل كالهجرة للأبناء والأحفاد والعمل بالخارج وتحقيق إنجاز مادى ومن ثم الإستقلال عن الأسرة الممتدة ومحاولة التأثير فى بعض قرارات الكبار ولكن لا تزال بعض الأسر الممتدة تقترب كثيراً الى النموذج الأسرى بالبادية مع التفاوت النسبى البسيط ، إلا أن الأمر يختلف إلى حد كبير فى الأسر النووية في المجتمع القروي خصوصاً بعد إنتشار التعليم وخروج المرأة إلى العمل والإختلاط بالمدنية والإرتباط بوسائل الضبط الاجتماعي الرسمى فى أغلب الأحوال أكثر من الضبط الاجتماعى غير الرسمى أسوة بأبناء البادية .

ونجد الوضع يختلف إلى حد كبير فى المجتمع الحضرى حيث إحساس أغلبية أبناء هذا المجتمع ومن مختلف الطبقات العمرية بالظلم والجور والتباعد والإنعزال والوحدة والفشل في تحقيق أبسط الأحلام والأمانى خصوصاً فى أجيال الصبيان والشباب من الجنسين وضياع الحقوق وغياب القدوة والإلتزامات المعنوية والأدبية بين الأجيال المختلفة بعضها البعض أثر واضح فى الإحساس بالفشل وتزايد تعداد المدمنين خصوصاً فى الطبقات العمرية الصغرى على مختلف لمواد المخدرة عكس الحال تماماً فى الأنماط المجتمعية التقليدية البدوية الذات والقروية الى حد كبير بخاصة فى الأسر الممتدة .

٦) لقد كان لقضاء جميع المشاكل وحلها بسهولة والتكيف مع الظروف المتغيرة فى النمط المجتمعى البدوى وسهولة إعادة التوازن والإنسجام والتساند والإستقرار بين أبناء المجتمع ثانية وفقاً للأعراف والعادات والتقاليد البدوية وبعيداً عن تعقيدات الحياة نسبياً فى المجتمع القروى وكلياً فى المجتمع الحضرى أثر كبير للغاية فى عدم إحساس الشخصية البدوية عامة والشخصية المدمنة خاصة فى ذلك المجتمع البدوي بالفشل وبناء عليه كان الدخول الى دائرة الإدمان سببه الفراغ والتقليد والمحاكاة فى أغلب الأحوال وكما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن هذا البحث ، ولكن كان لتعقد المشاكل وتفاقمها وتضخمها فى الأنماط المجتمعية أثر كبير للغاية فى إحساس الشخصية القروية الى حد بسيط والشخصية الحضرية إلى حد كبير للغاية بالفشل والكدر والحسرة والندم .. الخ .

٣) تدين المدمنين فى الثقافات المختلفة :

وتبين أن اللجوء للتدين فى المجتمع البدوى بصفة عامة راجع إلى أن الشخصية البدوية أساساً شخصية متدينة بطبعها ولا تكون بدافع الزهد فى المتع الجنسية خصوصاً فى مرحلة كبر السن حيث أن الشخصية البدوية تقبل على الحياة الجنسية حتى الوفاة ، فالحياة الجنسية للشخصية البدوية الذكر والأنثى مطلب حيوى ورئيسى فى مراحل الحياة المختلفة من الشباب وحتي نهاية العمر .

ولما كان المدمن البدوى فى أغلب الأحوال هو مدمن للحشيش والحبوب المنشطة لحديثى الزواج من الكبار والشباب والأفيون لبعض كبار السن ، فهذا لم يمنع المدمن البدوى من أداء فرائض الصلاة فى مواعيدها والإقبال

عليها ماعدا مدمن الخمر الذي يعد منبوذاً إجتماعياً فى المجتمع البدوى ككل ولكن بالنسبة للمواد التقليدية الأخرى حيث أن التعاطى يتم فى حدود وإطار إجتماعى وثقافى ضيق للغاية وفى مجموعات متناسقة ومتجانسة وبعيداً عن عيون الصغار والكبار كما سبق القول فى أكثر من موضع فى متن البحث .

كما تبين أن اللجوء إلى التدين فى المجتمع القروى يرجع الى أن الشخصية القروية بصفة عامة متدينة فى أغلبها بطبيعتها كما هو الحال فى المجتمع البدوى ، ودائماً يحث الكبار الصغار خصوصاً فى الأسر الممتدة على أداء فرائض الصلاة وتلاوة القرآن ... الخ .

إلا أننى لمست أن مدمن الحشيش والأفيون فى المجمتمع القروى يقبل على الصلاة بصفة عادية خصوصاً وأن مدمن الحشيش كيف الرجل الطيب الهادى ويطلقون عليه «الكيف الجبان» ودائماً مدمن الحشيش يميل الى الهدوء والود ويحب السؤال عن الأصدقاء والأهل والتقرب إليهم ، إلا أن مدمنى المواد المخدرة الأخرى فى القرية لا يقبلون على الصلاة بأى حال من الأحوال .

وتبين أن عملية التدين بالنسبة للشخصية الحضرية تتفاوت حسب التنشئة الاجتماعية والثقافية داخل الأسرة الحضرية وقد نجدها واضحة فى الأسر الحضرية التى تنتمى إلى جذور قروية فى أغلب الأحوال ، كما لمست أن مدمن الحشيش وكما سبق القول قد يكون شيخاً أو إمام مسجد أو مقرئ للقرآن الكريم أو من المترددين على المسجد وقد تجد «زبيبة الصلاة» كما يطلقون عليها فى جبهته برغم تناوله للحشيش وهناك من النوادر

الطريقة للمدمنين المصليين فى هذا الصدد بخصوص الحشيش «إذا كان حرماً فنحن نحرقه ، وإذا كان حلالاً فنحن نشربه» وعدا ذلك لا نجد أى مدمن على أى مادة مخدرة فى المجتمع الحضرى يقبل على الصلاة أو يميل الى التدين عكس الحال بالنسبة للشخصية البدوية والقروية إلى حد كبير .

الفصل الثالث

التكوين العقلى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن ضعف الترابط العصبى وضعف النشاط الحسى وقلة النشاط الحركى والاجتماعى لها جميعا أثرها البعيد فى الحياه العقلية الادراكية لدى المدمنين وبخاصة على الأنواع المدمرة ، حيث أن الحواس كمنافذ إتصال بالعالم الخارجى لا تقوم بنشاطها المعهود لدى الشخص قبل الدخول فى دائرة الادمان وكذلك الحال فى المراكز العصبية والاطراف المعنية وكل ذلك يؤدى بدوره الى ضعف النشاط الادراكى من إنتباه وتعلم وتذكر وتصور وتفكير ويزداد معه النسيان والشرود وبخاصة فى مدمن الهيروين والأفيون والحبوب المخدرة .

ولقد تبين أن ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية فى المجتمع البدوى تتيح زيادة النشاط الحركى الاجتماعى لدى الانسان البدوى بصفة عامة والمدمن البدوى بصفة خاصة ، وكذلك قلة نسبة تلوث الماء والهواء وتقترب الى ذلك ظروف الحياه فى المجتمع القروى بينما يختلف الوضع فى المجتمع الحضرى ومثل هذه العوامل تؤثر فى القدرة على الادراك والتركيز والتفكير الموضوعى خصوصا لو وضعنا فى الاعتبار إختلاف أنواع المواد المخدرة وتأثيرها على الانسان فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافيا وكما سيتضح من المعالجة التالية :

١ - إدراك الزمن لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن إدراك الشخص لمدى الفترات الزمنية يتأثر بمراحل التكوين الجسمى والنفسى ، كما يتأثر ذلك الادراك بماله فى الحياة من آمال

وآلام ، فالفرد عندما يسترجع حوادث حياته السابقة يدرك مدى تقديره للسنوات الماضية أو السنة أو الشهر أو الساعة التى يختلف عن مدى إدراكه لها الآن فى مرحلته الراهنة ، فإدراك الطفل يبدأ بإدراك الزمن الحاضر لاتصاله المباشر بعالمه المحسوس ، ثم أنه يدرك المستقبل القريب ثم الماضى فى حياته وحياه الآخرين ، والادراك الزمنى لطفل فى سنته العاشرة مثلا للعام الدراسى أو للعطلة الصيفية تستغرق مدى أطول من إحساس الشاب الجامعى ، وكلما تقدم الانسان حثيثا فى مراحل العمر شعر أن الزمن يجرى بسرعة أشد ، فاذا بالكهل أو بالشيخ يشعر أن سنواته تطير بسرعة لتتكدس مع غيرها من السنوات الماضية ، فالطفل يشعر أن الزمن بطئ ثقيل الحركة فالأمس أو الغد عنده بعيد الشقة من يومه الحاضر ، بينما يشعر المسن أن السنة لا تبدأ حتى تنتهى سريعا ثم لتلحقها الأخرى وهى أشد سرعة منها (١) .

كما تقوم عملية الادراك على مدى قدرة الفرد على تصنيف المعلومات التى يدركها أكثر مما تقوم على النواح الحسية ومعطياتها وذلك حينما يحاول الفرد أن يربط بين الموقف الخارجى وبين الخبرات السابقة التى مرت به (٢) .

وتزداد صعوبة عملية الادراك وتكثر بها الأخطاء بعد سن الرشد ولذلك تتطلب هذه العملية وقتاً أطول عند الشيوخ عما كانت تتطلبه منهم وهم فى صباهم ورشدهم وإكتمال نضجهم .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجتمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ص ٢٥٦

(٢) محمد يسرى ابراهيم دعبس ، التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ ص ١٠١ .

وتؤثر ضعف القشرة المخية فى عملية الإدراك نتيجة زيادة السن خصوصاً بعد الرشد ، وضعف المداخل الحسية للإدراك مثل الإدراك البصرى والإدراك السمعى[1] .

ويمكن القول فى ضوء واقع الخبرة الميدانية أن إدراك مدمنو للهيروين للزمن ضئيل للغاية ولا يفكر فى حياته الماضية ولا حياته المستقبلة ولا يفكر إلا فى وقت الجرعة فهذا هو عنصر الزمن الذى يدركه ويحصر نفسه داخله ولا يريد أن يعرف سواه ويقترب الى ذلك الى حد كبير مدمن حقن الماكس فورت والحبوب المخدرة ، وهؤلاء يعيشون مرحلة الكهولة المبكرة وهم فى ريعان الشباب أو الصبا ، حيث أن تلك المواد المخدرة بالذات تدمر الجهاز العقلى والحسى والحركى وتؤثر فى المدركات العقلية .

وتقل معاناه مدمن الحشيش فى كل الثقافات بالنسبة لادراكه لعنصر الزمن عن مدمنى المواد المخدرة الأخرى ، حيث أن هؤلاء المدمنين لا يعترفون بإدمانهم وإنما يذهبون الى أنهم متعاطون وأن إدمانهم هذا مجرد تعود ليس أكثر ، ولذا نجد أغلبهم خصوصاً القادرين مادياً يعيشون حياتهم الإجتماعية فى هدوء وسكينة نسبية عكس الحال تماماً لمدمنى المواد الأخرى خصوصاً المواد المدمرة كالهيروين بالذات وحقن الماكس .

٢ - فقدان الذاكرة والنسيان لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن الذاكرة تتأثر ضعفاً بالشيخوخة ، وهذا التأثير يكون بعيداً حيث تمسح يد النسيان على كثير من صفحاتها أولاً بأول ، وفى هذا

---

(١) فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣٨١ - ٣٨٢

ينطبق قانون (ريبو) الشهير فى النسيان وهو أن الذكريات تنسى بترتيب عكسى بالنسبة لظهورها ، وهذا يعكس مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب حيث تكون الأمور القريبة والحديثة أشد تذكراً وذكرياتها أكثر وضوحاً ، وكلما إبتعدت الأمور عن الحاضر وأوغلت فى الماضى كانت الى النسيان أقرب وفى الإهمال ألصق .

ويمكن القول أن المدمن خصوصاً على الأنواع المدمرة وبخاصة الهيروين وحبوب الهلوسة يعيش مرحلة الشيخوخة وهو فى ريعان الشباب حيث أن هذه المواد المخدرة تؤثر على قدراته على التذكر والتخيل وتصيبه بأمراض مثل السرحان والشرود وضعف الذاكرة والنسيان وتجعل هذا الإنسان لا يعيش إلا اللحظة التى هو فيها وبالأخص اللحظة التى يحتاج فيها الى العقار والتى يتركز تفكيره فيها وادراكه لها إدراكاً واعياً دون باقى حياته الماضية والحاضرة ولا يفكر فى مستقبله بالمرة عكس الشخص العادى تماماً .

ونجد أن هذه الأمراض العقلية من ضعف ذاكرة وشرود ونسيان والسرحان والتوهان تقل حدتها وإن كان تأثيرها موجود عند المدمنين على أنواع المواد المخدرة الأخرى كالحشيش والأفيون وكذلك الخمر وإن كانت أخف وطأة من عقار الهيروين الذي يدمر الخلايا والأنسجة الجسمية والعقلية ويدمر تكوين الإنسان النفسى والعصبى نهائياً .

ويمكن القول فى ضوء الخبرة الميدانية أن ظروف الحياه التى تحيط بالبدو ويصفة عامة والمدمنين البدو بصفة خاصة أكثر هدوءاً أو أقل تلوثاً وأكثر ترابطاً إجتماعياً وأكثر دفئاً إجتماعياً ووداً ومحبة وألفة وأقل طموحاً

وأكثر واقعية وتقترب اليها بصورة ما الظروف الحياتية التى تحيط بالمدمنين القرويين خصوصاً فى الأسر الممتدة وتكون الصورة عكسية تماماً بالنسبة للمدمنين فى المجتمع الحضرى لإختلاف الظروف الإقتصادية والنفسية والثقافية والإجتماعية عن الأنماط السابقة من كل الجوانب الحياتية . وهذه الأسباب وكما سبق ذكرها تفصيلاً فى مواضع كثيرة فى متن هذا البحث أثرت الى حد كبير فى إختلاف إنتشار أنواع المواد المخدرة فى كل نمط مجتمعى عن الآخر مما إستتبع معه بالضرورة إختلاف المشكلات العقلية واضطرابات التذكر والتخيل والتصور والنسيان والشرود بين المدمنين فى تلك الأنماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٣ - ضعف الإنتباه وعدم القدرة على التركيز الطويل لدى المدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لاشك فيه أن قدرة الإنسان على الإنتباه وعدم القدرة على التركيز الطويل تختلف فى المراحل العمرية المختلفة التى يمر بها الإنسان خلال نموه ، فإذا كانت ضعيفة فى مرحلة الطفولة تختلف من حيث القوة والضعف فى مراحل الصبا والشباب ومنتصف العمر ، كما تختلف قدرة حواس الفرد على إستقبال المثيرات الخارجية ، إلا أن فترة ومنتصف العمر والشباب تمتاز بالقدرة على التركيز وعدم السرحان والإنتباه ونشاط الحواس الزائد فى التفاعل مع كل المثيرات المحيطة بالفرد من جميع الجوانب [١] .

ومن الملاحظ أن الإنسان المسن يعانى بصفة عامة إذا جاوز السبعين

---

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس . التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفة ، دراسة أنثروبولوجية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ ، ص ٨٢ .

ضعفاً ملحوظاً فى قدرة حواسه على إستقبال المثيرات الخارجية ، كما أنه يعانى إرهاقاً فى نشاطه العصبى ، وهذه كلها عوامل تؤدى الى ضعف إنتباهه فهو قليل الصبر على السماع الطويل ، لا يستطيع التركيز طويلاً فى موضوع واحد وهو منهمك فيما يعانيه من صنوف الضعف شديد السرحان يستقطب نشاطه الفكرى عادة حول أمور شخصية أو فكرية ضعيفة محدودة ، ولا يسمح لنفسه بالخروج بعيداً عن نطاقها .

وهو لذلك ضعيف الإتصال نسبياً بما يجرى حوله إذا قورن فى مرحلة شبابه وأواسط عمره السابقة ، فهو يرى أو يسمع ولكنه فى شغل آخر شاغل له عما حوله [1] .

ويمكن القول من واقع الخبرة الميدانية أن حال المدمن فى كل الأنماط المجتمعية وخصوصاً مدمن الهيروين والحبوب المخدرة يعيش كما لو كان مسناً فهو لا يعى الزمن ولا يعى شيئاً من حوله ولا يفكر إلا فى الجرعة المطلوبة ووقت إحتياجه لها ، بل وكما سبق القول أن مدمن الهيروين لا يمكن أن ينام إلا وتحت وسادته " تذكرة الهيروين " أو الجرعة المطلوبة عند إستيقاظه ، ولذا نجده ضعيف الإتصال بمن حوله من أمور حياتية أو أمور تشغله وتبدأ علاقاته فى الإنحسار والضيق والميل الى الإنطواء والعزلة .

ويختلف الأمر بالنسبة لمدمن الحشيش فى كل الثقافات المختلفة حيث نجده أكثر تركيزاً من مدمن الهيروين أو الحبوب المخدرة أو مدمن الخمر ويكون لديه قدرة على التفكير المتزن عن أولئك المدمنين حيث أنه يميل الى الحياه فى هدوء وإستقرار نسبى عن أولئك وبخاصة مدمن الخمر الذى لا

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، دار المجمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٧ .

يمكن أن يعيش فى جو مستقر أو يجعل المحيطين به يعيشون فى جو إستقرار ومن ثم فإن إتزانه العقلى يكون غير طبيعى .

ويمكن إجمال أهم الأمراض النفسية والعقلية التى يصاب بها مدمنو المواد المخدرة فى النقاط التالية :

١) الاصابة بالهلوسة والشعور بالإضطهاد ونتيجة لذلك قد يتجه لإرتكاب جريمة كبرى لإفتراض الدفاع عن نفسه خصوصاً مدمن الكوكايين كما يصاب مدمن الخمر بالهلوسة الكحولية والخرف الكحولى .

٢) إضطرابات فى الذاكرة وعدم القدرة على التركيز والهبوط الذهنى .

٣) الهذيان الرعاشى « وخصوصاً مدمن الخمر» .

٤) التهاب المخ من نوع فيرنيك .

٥) ذهان كورساكوف .

٦) المعاناه من الأرق والقلق والخوف الدائم .

٧) الخمول الفكرى والاصابة ببلادة التفكير .

٨) الخلل العقلى نتيجة الخلل فى إفرازات الغدد وبخاصة الصماء .

٩) حدوث فقدان جزئى للذاكرة وميل الى النوم .

١٠) ضعف قوة الإرادة وخلق الجبن خصوصاً مدمن الحشيش .

الفصل الرابع

التكوين الاجتماعى للمدمنين فى الثقافات المختلفة

مما لا شك فيه أن كل إطار ثقافي يتضمن تنظيمات معينة تتحدد فيها مراكز الأفراد والأدوار التى يقومون بها ، والمركز هو أبسط عناصر التكوين الاجتماعى ، والجماعات على إختلاف أنواعها تتآلف من شبكة من المراكز تأخذ أهميتها الاجتماعية من نظام المعايير السائدة فى المجتمع كما تتأثر بالفلسفة الاجتماعية التى تميز إسلوب حياة الجماعة ، هذا وتتعدد المراكز فى المجتمعات المعقدة عنها فى المجتمعات البسيطة ، وذلك لزيادة التخصص والتوسع فى مجالات الأعمال مما يغير معناها وأهميتها الاجتماعية .

ومن الطبيعى أن تتدرج المراكز فى القيمة الاجتماعية تبعاً لما تتضمنه من خدمات تقدم لباقى الأفراد ، وكثيراً ما يحدد هذه الخدمات عوامل معينة مثل الجنس (ذكر أم أنثى) وعمر الفرد ، ففى أى مجتمع لا يقدم الأطفال خدمات ما بينما هم يحتاجون الى الكثير منها ، كما أن مسئولية الدفاع تلقى عادة على الاب وهكذا [1] .

كما أن الدور الاجتماعى هو الجانب الديناميكى للمركز ، ويشير المركز الى مكانة الفرد فى الجماعة ، فإن الدور يشير الى نموذج السلوك الذى يتطلبه المركز ، ويتحدد سلوك الفرد فى ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه وهذه تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمركزه

---

(١) إنتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢٥ .

الاجتماعى ، وحدود الدور تتضمن تلك الأفعال التى تتقبلها الجماعة فى ضوء مستويات السلوك فى الثقافة المعينة وعادة ترسم الجماعة حدود الادوار التى يقوم بها أفرادها سواء كان ذلك شعورياً من خلال التنظيمات المختلفة ، أو لا شعورياً من خلال المعايير والقيم السائدة فى المجتمع ، وبذلك تختلف حدود الادوار ومضموناتها من ثقافة الى ثقافة ومن جيل الى جيل نتيجة التغيرات التى قد تطرأ على التقاليد والمعتقدات والآراء والاتجاهات القائمة فى الاطار الثقافى المعين (١) .

كما نجد أن الحياة الاجتماعية للمدمنين تختلف من ثقافة الى أخرى حسب ما تقره المضامين الثقافية من تحديد قاطع وحازم لطبيعة العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الاجيال بعضها البعض والمراكز والادوار خلال المراحل العمرية المختلفة .

ولما كانت غالبية نسبة الفئات التى تدمن على مختلف المواد المخدرة هى فئة المراهقين والشباب ووسط العمر مع وضع فى الاعتبار إختلاف أنوا ع المواد المخدرة تبعاً لاختلاف الانتماء الاجتماعى والثقافى والمهنى نجد من الاهمية أن نعرض فى إيجاز شديد لاهم العوامل المؤثرة فى التكوين الاجتماعى للمراهقين والشباب ومتوسطى العمر فى المعالجة التالية :

أن التكوين الاجتماعى لا يحدث فى فراغ نفسى أو إجتماعي وإنما هو محصلة عاملين هما : الفرد الانسانى ذاته وما فيه ، والبيئة المحيطة به وما فيهما من مؤثرات ثقافية وإجتماعية .

---

(١) إنتصار يونس ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

ويتفاعل المراهق سلباً وإيجاباً مع المجتمع الذى ينشأ فيه المراهق وما يحتويه من ثقافة وعقيدة وتقاليد وأخلاق ونظم إجتماعية تحيط بالمراهق ، وتفرض عليه أنماطاً السلوك تقضى منه ملائمة نفسية متزنة ، وتكيفاً إجتماعياً سليماً .

وتختلف المجتمعات الانسانية ذات الثقافات المتباينة فيما بينها ، فقد نجد منها أنماطاً محافظة ومستقرة . وقد نجد أنماطاً متحررة وهناك أنماطاً متطورة ومتغيرة ، وبناء عليه تختلف نظرة تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً للفرد من جميع الطبقات العمرية خصوصاً فى طبيعة الانماط السلوكية وأسس التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية المسموح بها للشخص دون غيرها ، وإختلاف طبيعة الحقوق والواجبات المرتبطة بدور ومركز الفرد من مختلف المراحل العمرية فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

ومن هنا نجد أن مراهق البيئة العربية والاسلامية والشرقية غير مراهق البيئة الامريكية المختلطة ، وهما غير مراهق وشباب القبائل البدائية الضيقة ، وبالتالى تكون مشكلات المراهق فى مجتمع ما ليست هى تماماً كل مشكلات المراهق المجتمعات والبيئات الاخرى (١) .

وفى الحقيقة أن ما يقال عن المراهقين من الجنسين بشأن إختلاف أوضاعهم وأنماطهم الحياتية فى البيئات المختلفة ينطبق على كل الطبقات العمرية الاخرى كالاطفال والشباب والراشدين والمسنين ، ولذا وجدنا مشكلة

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكوينى ، أسسه وتطبيقاته من الولادة الي الشيخوخة دار المجتمع العلمى بجدة ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٠

إدمان المخدرات وتنوعها تختلف تبعاً لهذا التباين والاختلاف .

ومما لاشك فيه أن المميزات الاجتماعية فى تكوين المراهق من الجنسين النفسى تختلف عن مرحلة الشباب والرشد ويمكن إجمال تلك المميزات فى إيجاز شديد فى النقاط التالية :

١ - الاستقلال الذاتى والثقة بالنفس والاعتماد عليها ، فالمراهق يحرص أن يتحرر من سلطة الراشدين ويريد أن يستقل بأموره دون سيطرة الاسرة والمجتمع ويحاول أن يجبر الناس المحيطين به على الاعتراف بأنه قد أصبح كبيراً ولم يعد بعد ذلك الطفل الذى يسلس القيادة ويطيع ، وبناء عليه فهو فخور بنفسه وكلامه ، معتز بمستواه الدراسى ومظهره الخارجي وتجاربه الشخصية ويحب أن يتحدث عنها أو يسمع ثناء الناس عنه ويدفعه ذلك الى أنواع من السلوك الاجتماعى الذى يتجلى فيه الغضب أو التمرد أو المنافسة أو الغيرة(١)

٢ - تتميز هذه المرحلة بالصداقات التى يشترك فيها الزملاء والاقران والتى يجمعهم ميول مشتركة وهوايات موحدة ، وجماعة الاصدقاء أمر ضرورى لا يستغنى عنه المراهق العادي ، ففى مرحلة الطفل قد يجد الطفل من إخوته أفراد أسرته أصدقاء . وقد الرجل والمرأة كل منهما فى شريكه وأبنائه وأقاربه أصدقاء رغم إختلاف السن والهوايات والسكن ، أما المراهق فلابد له من هوايات وأصدقاء فى سنه يضع بهم ثقته الغالية ويحفظ معهم أسراره الهامة ويقى معهم أسعد لحظاته وساعاته ويحاول أن يصرف جل وقته معهم ولا يذكر المنزل إلا لطعامه ومنامه ، إن لم يجد عن ذلك محيصاً

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

ويفيد ذلك في اتساع محيطه الاجتماعي وتعقد علاقاته الاجتماعية ويتحرر من نزعته الفردية الانانية في الطفولة ليكتسب روحاً إجتماعية تعاونية (١) .

وبناء عليه ومن واقع الخبرة الميدانية تاكد لنا بالفعل أهمية هذه المرحلة في عمر الفرد وفي علاقاته الاجتماعية وشبكة التفاعل الاجتماعي وحدوده في الثقافات المختلفة ، وإختلاف الدور التربوي والاسرى للمراهقين في الثقافات المختلفة هو الذى جعل عملية الادمان تختلف وتتباين من حيث الخطورة ومدى إنتشار أو عدم إنتشار بعض الانواع المدمرة في البيئات الحضرية أكثر منها في البيئات التقليدية الريفية والبدوية وإن وجد لها أثر ففي حدود ضيقة ، وهذا مرده عدم غياب المراهق من الجنسين عن عيون المجتمع ككل لفترات طويلة في لانماط التقليدية عكس الحال في المجتمع الحضري .

كما يختلف إحساس المراهق نفسه من الجنسين تجاه المجتمع ونظرته لنفسه في البيئات الثقافية المختلفة وبالتالى مدى ودرجة إمتثاله للمعايير والقيم الخلقية المتباينة في تلك الانماط المجتمعية المختلفة فنجد أن المراهق في تلك البيئات الثقافية التقليدية يكون أكثر مرونة في التوافق والتمثل لقيم الجماعة اكثر من قرينه في المجتمع الحضرى ومرد ذلك اختلاف المحيط الاجتماعي ،الثقافي الذى يحيا المراهق من خلاله في تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

وتكمن الخطورة في هذه المرحلة العمرية كما تبين من رغبة المراهق من الجنسين في قضاء معظم وقته مع الأصدقاء وزملاء الدراسة وأصدقاء

---

(١) عبد الحميد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

اللعب ويكون أكثر إرتباطاً بهم عن أسرته ، ولذا فالاختلاط الواسع فى المجتمع الحضرى بالنسبة للمراهق من الجنسين عن الانماط المجتمعية التقليدية وبخاصة البدوية قد جعل سهولة دخول نسبة اكبر من المراهقين فى المجتمع الحضرى عن الانماط المجتمعية الاخرى وذلك مرده اختلاف الظروف الحياتية من جميع الجوانب البيئية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية التى يحيا خلالها المراهق فى تلك الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً .

٢ – يتصف بعض المراهقين والمراهقات بمظاهر انطوائية انقباضية تدفعهم الى السخرية من الآخرين الى حد العزلة وإيثار الوحدة النفسية والاجتماعية ويرجع ذلك لعدة أسباب نجمل أهمها فيما يلى :

أ) إخفاق صداقات ظنها المراهق مثالية سامية ، وخالها تدوم بروح من التضحية المستمرة ، فخاب أمله ووقع على حقيقة مرة قاسية .

ب) تميز المراهق بصفات مزاجية خاصة كالخجل المفرط أو التهيب الشديد أو عدم الثقة بالنفس وبالآخرين وهذا ما ينفر المراهق عن معاشرة الآخرين ، كما أنه يجعل الآخرين يبتعدون عن تكوين صداقات عميقة ودائمة معه ، وقد يضيق ذرعاً بنفسه ، وأنه ليس لديه ما يجعله سعيداً أو يستحق أن يكون به سعيداً .

جـ) يضع المراهق أحياناً لنفسه مثلاً عليا ، فيستهين بالحياة الواقعية المحيطة لبعدها عن تلك المثل التى يؤمن بها ويدعو اليها ، وهذا ما يجعله يزهد بالحياة العملية وبالناس من حوله ، لأنهم لا يسيرون حسب المثل العليا التى يعتنقها ، ولكن المراهق كلما تقدم فى العمر رويداً إقترب شيئاً فشيئاً

من الواقع العملى الذى يحياه الناس ، وهو بذلك يهبط من الأجواء المثالية العملية بما فيها من جد وهزل ومثال وواقع وعمل ومبدأ (١) .

د) التمرد ، ويتحرر المراهق من سيطرة الاسرة ليشعرها بفرديته ونضجه وإستقلاله ، وقد يغالى فى هذا التحرر فيعصى ويتمرد ويتحدى السلطة القائمة فى أسرته وكأنه بذلك يثور على طفولته التى كانت تخضع وتنصاع إلى أهله ونواياهم (٢) .

ولمست هذا التمرد بصورة واضحة فى نمط المجتمع الحضرى وتكون مظاهر التمرد خفية فى نمط المجتمع القروى خصوصاً فى الأسر الممتدة إلا أن بعض مظاهر التمرد قد تظهر فى الأسر النووية القروية ، ولم ألاحظ أى مظاهر للتمرد من جانب المراهقين فى المجتمع البدوى حيث أن مقاليد السلطة والثروة والقرار دائماً فى جانب الكبار ولا دخل لجميع الطبقات العمرية الأخرى فيه .

هـ) التعصب ، يزداد تعصب المراهق لآرائه ولمعايير جماعة النظائر التى ينتسب اليها ولأفكار رفاقه وأساليبهم وخاصة فيما بين ١٢ ، ١٦ سنة ثم تقل حدة هذا التعصب بعد ذلك كلما إقترب من الرشد ، وهو يتأثر فى تعصبه هذا بعوامل عدة تنشأ فى جوهرها منذ علاقته بوالديه وبأنماط الثقافة التى تهيمن على بيئته وبالشعائر الدينية التى يؤمن بها وبالطبقات الاجتماعية التى ينتمى اليها هذا وقد يتخذ التعصب سلوكاً عدوانياً يبدو فى الألفاظ النابية والنقد اللاذع والنشاط الجامح (٣) .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

(٣) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١

ومما لا شك فيه أن العوامل البيئية والاجتماعية فى الانماط المجتمعية المتباينة ثقافياً محل الدراسة قد جعلت المراهق فى المجتمع البدوى الى حد كبير والمراهق القروى الي حد بسيط عكس الحال المراهق في المجتمع الحضرى أكثر استقراراً وهدوءاً نسبياً فى التعامل مع مختلف الطبقات العمرية ولهذا تشكل مظاهر التعصب والتمرد نمطاً غير مألوفاً فى الأنماط التقليدية إلى حد كبير عكس الحال فى النمط الحضرى .

و) المنافسة ، فيؤكد المراهق مكانته بمنافسته أحياناً لزملائه فى ألعابهم وتحصيلهم ونشاطهم والمغالاه فى المنافسة الفردية تحول بينه وبين الوصول الي المعايير الصحيحة للنضج السوى ، وخير للمراهق أن يرتفع بأنماط المنافسة وأساليبهم حتى تستقيم أموره مع الأوضاع الاجتماعية السوية (كما هو الحال فى المجتمع البدوى إلى حد كبير والمجتمع القروى إلى حد بسيط والى حد بسيط فى المجتمع القروى) فيتحول من المنافسة الفردية الى المنافسة الجماعية التي تهيمن عليها روح الفريق وما تنطوى عليه هذه الرح من تعاون بين الأفراد (١) .

٤ – الميل الى الجنس الآخر ، يميل الفرد فى أوائل مراهقته الى الجنس الآخر ، ويؤثر هذا الميل على نمط سلوكه ونشاطه ويبدأ هذا الميل خفياً مستتراً ، ثم يسفر عن نفسه فى المسالك العذرية الأفلاطونية ثم يتطور بعد ذلك تطوراً يقترب به من الحياة اليومية الواقعية ، ويحاول المراهق خلال

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق . ص ٣٢٠ .

تطوره أن يجذب انتباه الجنس الآخر بطرق مختلفة متباينة تتمشى فى جوهرها مع أطوار نموه (١) .

٥ – البصيرة الاجتماعية ، يستطيع الفرد فى مراهقته أن يدرك العلاقات القائمة بينه وبين الافراد الآخرين ، وأن لمس ببصيرته آثار تفاعله مع الناس ، فرب كلمة هو قائلها ، قد تثير حوله عاصفة من النفور وأن تضفى على الحياة جواً من الألفة .

فهو لهذا قد ينفذ ببصيرته الى أعماق السلوك ويلائم بين الناس وبين نفسه .

ومن الطبيعى أن يختلف السلوك الاجتماعى للمراهقين عن سلوك المراهقات فى بعض نواحيه وفى تتابع بعض مظاهره ويتضح ذلك من المعالجة التالية :

أ) النمو الاجتماعى عند المراهقين:

وتتلخص أهم الخطوات الرئيسية للنمو الاجتماعى عند المراهقين فى المراحل التالية :

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، الاسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٨ .

١) مرحلة التقليد

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهى فى الخامسة عشرة من عمره وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفوقون فى ألعابهم ودراساتهم أو الذين يتزعمون أقرانه وزملاءه فهو لذلك ينتقل فى تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى إعجابه بزعيمه ، ويحاول أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدى بهم فى سلوكه (١) .

ومن هنا تكمن خطورة تقليد المراهقين لسلوك الكبار أو أصدقاء السوء نتيجة الاختلاط الواسع فى المجتمع الحضرى عن نمطى المجتمع القروى والبدوى ولقد كان البدو حريصين الا يراهم أبناؤهم وهم يتعاطون أى مواد مخدرة خشية التقليد عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع الحضرى .

٢ – مرحلة الإعتزاز بالشخصية :

وتبدأ بعد الخامسة عشرة من العمر وتتميز بمحاولة المراهق الإنتصار على زملائه فى ألعابه ، وبمفاعلاته ، فى منافستهم ، وبميله أحياناً إلى السلوك العدوانى وبجرأته التى تتحدى بعض المخاوف القائمة ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته (٢) .

وتكمن الخطورة فى هذه المرحلة فى أن المراهق يحاول أن يثبت ذاته ويؤكد أنه أصبح رجلاً وأنه مسئول عن تصرفاته ويتميز بالإندفاع والتهور

انظر :

(١) فؤاد البهى السيد ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

فى تصرفاته وقد يستغل من قبل اصدقاء السوء فى تلك المرحلة بمحاولة تشجيعه على تقليدهم فى تعاطى المواد المخدرة وهذا لمسته بوضوح فى المجتمع الحضرى والقروى الى حد كبير والمجتمع البدوى الى حد بسيط .

٢ – مرحلة الإتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل البلوغ ، وتبدو فى تخفف المراهق من العصيان والإندفاع والتهور وتتغير نظرته الى هذه الأفعال بأنها صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز (١) .

ونود أن ننوه إلى أن المشكات العائلية ومشكلات الحياة ذاتها من جميع جوانبها فى المجتمع الحضرى بخاصة وقلة حدة هذه المشكلات فى نمطى المجتمع القروى والبدوى قد تؤثر الى حد كبير على طبيعة الإتزان الاجتماعى ومن ثم الإتزان الإنفعالى والوجدانى مما يجعل إقبال المراهق على تعاطى المواد المخدرة المتنوعة فى المجتمع الحضرى يتم بصورة أكبر من الأنماط التقليدية الأخرى .

ب) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقات:

تتلخص أهم عوامل المراحل التى تمر بها الفتاه في نموها الاجتماعى من باكورة مراهقتها حتى رشدها فى المراحل التالية :

١ – مرحلة الطاعة :

وتبدأ هذه المرحلة قبيل المراهقة وتمتد حتى أوائلها وتبدو مظاهرها

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

الأساسية فى خضوع المراهقات لمعايير الراشدين من الأهل والأقارب وهكذا يتصف السلوك الاجتماعى للمراهقات بالطاعة ودماثة الخلق والوداعة والرصانة والحياء والتظاهر بالحشمة طمعاً فى إرضاء الأهل والوالدين .

٢ - مرحلة الإضطراب :

وتمتد هذه المرحلة من أوائل المراهقة حتى الخامسة عشرة من العمر وتتميز بالإضطراب الإنفعالى وإختلال الإتزان فتبالغ الفتاة فى إستجابتها للمثيرات البادئة ، وقد تنفجر ضاحكة أو تثور غاضبة للأمور التافهة ، ثم تستطرد بعد ذلك الى الكآبة اليائسة الحزينة أو تبالغ فى الإهتمام بنفسها ومظهرها وتعود بعد ذلك الى سيرتها الأولى (١) .

٣ - مرحلة تقليد الفتيان :

وتبدأ فى الخامسة عشرة من العمر وقد تمتد الى السادسة عشرة أو السابعة عشرة ، وتبدو فى تقليد الفتيات للفتيان فى السلوك والزى والحوار ، ولقد إسترعت هذه الظاهرة الغريبة أنظار بعض الفلاسفة المحدثين وبعض علماء التحليل النفسى فذهبوا الى أن الحياة فى صورتها العامة تنمو دائماً نحو القوة ، وأن الرجولة مظهر هذه القوة ، ولهذا تقلد المرأة العصرية الرجل فى كثير من أموره فتحاول أن ترتدى زيه وأن تزج بنفسها فى المغامرات التى إشتهر بها ، وأن تدخن ما يدخن الرجال ، سواء بسواء ، ومهما يكن من أمر هذه المذاهب والآراء فلا جرم أن الفتاة تمر فى تطورها الاجتماعى بهذه المرحلة ، وقد يقف بها النمو عندها فتتخذ لنفسها بعد ذلك أساليب الرجل فى الحياة (٢) .

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٢) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

وتبين أن الحرية المفرطة التى تعيشها بعض فتيات المجتمع الحضرى عكس الحال الى حد كبير فى المجتمع القروى وإلى حد كبير للغاية فى المجتمع البدوى هى السر فى تقليد الفتاة الحضرية للفتى الحضرى حيث أن فرص الاختلاط والتواصل بمختلف صوره فى بعض الأسر الحضرية يكون سهلاً مما يجعل إنحراف الفتيات والفتيان فى ذلك النمط المجتمعى أكثر يسراً وسهولة بحجة التحضر أو المعيشة بمنطق الحرية الشخصية والتمدين . ولقد كان ذلك من العوامل التى جعلت انواع المواد المخدرة تنتشر بين الفتيان والفتيات على حد سواء خصوصاً المدمرة عن الأنماط المجتمعية الأخرى .

٤ - مرحلة الإتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل الرشد ، وتبدو فى إستجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك وفى زيها وحديثها وأنماط حياتها .

ونجد من الأهمية بمكان أن نعرض للعوامل المختلفة المؤثرة فى النمو الاجتماعى لتلك المرحلة الحرجة فى إيجاز شديد على النحو التالى :

أ) أثر الأسرة فى التكوين الاجتماعى :

مما لا شك فيه أن إستقرار الأسرة وتوازنها الاجتماعي والنفسى من الأهمية بمكان فى معيشة الفرد فى مراحل حياته المختلفة بداية من الميلاد حتى الوفاة فى سعادة وإستقرار عكس الحال بالنسبة للأسرة المفككة الغير مستقرة من جميع النواحى .

فنجد أن علاقة الطفل بوالديه تتأثر تأثيراً كبيراً بإسلوب معاملتهم له

منذ مرحلة الطفولة حيث أن الطفل المدلل يظل يعيش فترات كثيرة من عمره مدللاً وبخاصة المراحل الحرجة مثل المراهقة والشباب ولا يستطيع الاعتماد على نفسه ولا يستطيع مواجهة أى مأزق وهنا تكون المغالاة فى التدليل وتلبية كل مطالبه واحتياجاته بسهولة لها أثر سىء فى خلق مواطن صالح يعرف حقوقه وواجباته .

كما نجد أن الطفل الذى يعيش حياته منبوذاً غير مدلل فيثور فى مراهقته لأتفه الأسباب ويميل الى العدوانية والمشاجرة ويحاول أن يجذب الآخرين بفرط نشاطه وحركته وهنا تكون النتيجة تكوين إجتماعى غير سوي شأنه شأن الطفل المدلل وفى تلك الحالتين هذه العناصر تكون فريسة سهلة للإنحراف بأشكاله مختلفة ومن ثم أحد أشكاله الخطره وهى عملية الإدمان .

كما تبين أن الإستقرار النفسى والإجتماعى السائد فى الأسرة له أثر بالغ الأهمية فى نمو الفرد إجتماعياً ونفسياً وتنمية إتجاهاته السوية وقدراته وحفظه على الإبداع والإبتكار ، وبناء عليه تختلف شخصية الطفل ،المراهق والشاب الذى يعيش فى كنف أسرة يسودها التفاهم والثقة والمحبة والهدوء والطمأنينة عن الطفل الذى يعيش فى جو عائلى دائماً غير مستقر ومضطرب ، بغيض ، تسوده مشاعر الأنانية وعدم الإلتزام والطموح الجانح . ولذا تترك هذه الأسرة آثارها وبصماتها العميقة على حياة المراهق والراشد من الجنسين وتصبغها بالطابع العام السائد فيها وهنا إما يتجه الفرد نحو الإتجاه الصحيح أو يتجه نحو المعصية والإثم والإنحراف ويكون فريسة سهلة لإرتكاب الجرائم والأفعال السلوكية المنافية للآداب ومن ثم الدخول فى دائرة الإدمان .

ولقد تبين أيضاً أن المستوى الاجتماعى والإقتصادى والثقافى للأسرة له أثر بالغ الأهمية فى إختلاف سلوك الفرد فى الأسر المستقرة مادياً عن الأسر الفقيرة وبالتالى مدى إستقرار الفرد وتمثله بقيم ومعايير الجماعة أو التمرد والعصيان عليها ».

ب) أثر المدرسة فى التكوين الاجتماعى:

مما لا شك فيه أن البيئة الاجتماعية المدرسية أكثر تبايناً وإتساعاً من البيئة المنزلية وأشد خضوعاً لتطورات المجتمع الخارجى من البيت وأسرع تأثراً وإستجابة لهذه التطورات وهى لهذا تترك آثارها القوية على إتجاهات الأجيال المقبلة وعاداتهم وآرائهم ، وذلك لأنها النقطة التى تعبرها هذه الأجيال من المنزل الى المجتمع الواسع العريض .

وتتيح المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الاجتماعى الذى يساعده على سرعة النمو والتوافق الاجتماعى مع أقرانه وأترابه ، ويتأثر بفكرتهم عنه وقد يميل الى بعضهم ويكره بعضهم ويتدرب على الحوار والمشاركة والمناقشة والمنافسة المشروعة [١] .

كما يتأثر المراهق فى نموه الاجتماعى بعلاقته بمدرسته وبمدرسيهم ، وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم ، وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة ، ترجع في جوهرها الي شخصية المدرس ومدي إيمانه بعمله ، ومدى فهمه للمراهقة ، وطرق رعايتها ومعالجة مشاكلها ومدى تفاعله مع تلاميذه من حيث مشاعر الحب والود والألفة والتعاون أو مشاعر التوعد والعقاب والتباعد ... الخ .

---

(١) فؤاد البهى السيد ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧ .

جـ) أثر الجماعة فى النمو الاجتماعى:

ويطلق على جماعة الرفاق جماعة الوظائف لتقاربهم دائماً فى أعمارهم الزمنية والعقلية ، ويتأثر المراهق بهذه الجماعة تأثراً كبيراً وواضحاً ، وأثبتت معظم الابحاث والدراسات المتعددة حول إنحرافات الاحداث والمراهقين والشباب الى تأثر هذه الفئات والمراحل العمرية بجماعة بجماعة الرفاق الى حد كبير من حيث التكوين الاجتماعى السوى أو غير السوي .

ولما كانت مرحلة الشباب من أهم المراحل الاخرى التى يسهل دخول فئاتها الى دائرة الادمان فسوف نتعرض فى إيجاز شديد لعناصر مظاهر التكوين الاجتماعى للشباب فى النقاط التالية :

١ - تعد فترة الشباب هى مرحلة إتزان نسبى فى العلاقات الاجتماعية مع الأهل والأصدقاء وأفراد المجتمع وهذا الاتزان نسبى إذا قورن بغرور المراهقة وطيشها .

٢ - إحترام الشاب لجامعته ويوقر والديه والكبار ، يعترف بفضلهم وكفائتهم وما لهم من خبرات وتجارب .

٣ - يلتزم الشباب بكثير من العادات والآداب والتقاليد التى يقتنعون بها .

٤ - قد يصدر عن الشاب نزوات أو تصرفات غير طبيعية ولكنه سريعاً ما يدرك ذلك ويلوم نفسه بنفسه ويجعل من ذاته رقيباً علي سلوكه .

٥ - يضع الشاب لنظرة الجماعة ورأيها فيه حساباً يدفعه الى الحد من كثير من رغباته الجامحة لأنه يراها لا تليق بمكانة الشباب الناضج .

٦ - إدراك الشاب للمستوى العلمى من أثر إحتلال المركز الاجتماعى

المرموق فى البيئات المتقدمة المتطورة ، ويقوم بذلك أكثر حزماً فى دراسته لرفع مستواه المادى والاجتماعى والثقافى .

٧ - إدراك الشباب أيضاً ما للرخاء الاقتصادى من منزلة اجتماعية ويتجلى الرخاء الاقتصادى لديه فى الملبس وركوب السيارة وإقامة الحفلات وحضورها وهو حين يدرك قيمة السعة الاقتصادية فى تحقيق رغباته وطموحه يجتهد لإنماء موارده المالية بطريق أو آخر مما تسمح له ظروفه النفسية والاجتماعية .

٨ - يبحث الشاب فى أخطاء المجتمع ويميل الى نقد تصرفات الأفراد ويشترك مع المراهق فى نقده ، إلا أن المراهق نقده سلبى إنهزامى يكره المسئولية ، أما الشاب فنقده إيجابى بناء يقترح وسائل الإصلاح العملية ، ولا يتقيد نقده محيط الأسرة أو جماعة من الناس ، بل يشمل والمدرسة والجامعة والأمة بصفة عامة [١] .

ولما كانت هذه أهم مظاهر التكوين الإجتماعى للشباب فى المجتمع المصرى خاصة والمجتمعات العربى عامة ، ونلمس فيها كثيراً من الجوانب الإيجابية التى يمكن أن تقوم عليها ركائز التنمية إن إتجهت الأيدى الآثمة وإستهدفت هذه المرحلة العمرية ومرحلة المراهقة بقصد تدمير العمود الفقرى للمجتمع المتمثل فى هذه الطاقات القادرة على العطاء .

ويمكن تلخيص أهم مشكلات التكوين النفسى فى مرحلة المراهقة بإيجاز شديد فى النقاط التالية :

أنظر :

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

١ – الجنوح .

٢ – الإنحراف الجنسى .

٣ – الإغراق فى عالم أحلام اليقظة .

٤ – الإنقطاع عن الدراسة .

ويمكن إيجاز أهم متطلبات التكوين النفسى لمرحلة المراهقة فى المرحلة التالية :

١ – النضوج الجسمى والجنسى وقيام كل فرد حسب جنسه بما يتناسب والقيم السائدة .

٢ – الإعتزاز بالكيان الجنسى وبالفروق الفردية .

٣ – التحكم النسبى فى الأزمات النفسية وبدء الفطام النفسى .

٤ – تقبل التوجيه والإعداد لمهنة الحياة فى كسب العيش .

٥ – تحمل المسئولية الاجتماعية في المنظمات الطلابية والكشفية والاجتماعية .

٦ – الإستقلال العاطفى عن الأبوين وغيرهم من الراشدين وذلك ما يسمى بالفطام النفسى .

٧ – تكوين مجموعة من الميول والإتجاهات الخلقية التى تهيمن على سلوكه .

٨ – محاولة الاستقلال الإقتصادى والميل الى ذلك إذا دفعته الأيام ولاسيما بالنسبة للفتى فى مجتمعنا المعاصر ، أما الفتاة فلا تزال أكثر إعتماداً على أسرتها فى هذا المجال [١] .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى ، علم النفس التكويني ، أسسه وتطبيقه من الولادة الى الشيخوخة ، دار المجتمع العلمي بجدة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

ويمكن إيجاز التكوين النفسى فى مرحلة الشباب فى النقاط التالية :

١ - عدم التأهيل لمهنة الحياة الشباب .

٢ - مشكلات الحياة الزوجية .

٣ - ميول إنطوائية لدى بعض الشباب [١] .

ونلمس مما سبق مدي أهمية وضرورة فهم مرحلة المراهقة ومرحلة الشباب بإعتبارهما المرحلتين المستهدفتين فى عالم الإدمان وكذلك المرحلتين اللتين يمكن دخولهما الى دائرة الإدمان بسهولة لطبيعة التكوين النفسى من حيث إختلاف المظاهر الإنفعالية والعقلية والإدراكية والاجتماعية عن المراحل العمرية الأخرى فى حياة الفرد .

(١) عبد الحميد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .

مراجع الدراسة

أولا: المراجع العربية

ثانيا المراجع الاجنبية

اولا قائمة المراجع العربية :

١ - احمد ابو زيد : البناء الاجتماعي ، الانساق ، جـ ٢ ، دار الكتاب العربى ، ط ٢ ، ١٩٦٧ .

٢ - احمد الخشاب : دراسات انثروبولوجية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ .

٣ - احمد عبد الخالق : اصول في علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ .

٤ - احمد عبد الخالق : الابعاد الاساسية للشخصية ، الدار الجامعية ، ١٩٨٣ .

٥ - انتصار يونس : السلوك الانساني ، دار المعارف ، ١٩٨٦ .

٦ - حامد عمار : فى بناء الانسان العربي ، دراسات في التوظيف القومى للفكر الاجتماعى والتربوى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ .

٦ - حامد عمار : التنشئة الاجتماعية في قرية (سلوا ـ اسوان) ـ من قراءات علم النفس إعداد لويس كامل مليكة ، الدار القومية ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ .

٨ - الجمعية الامريكية لتعليم الكبار : التوجيه التربوى لكبار السن ـ ترجمة محمد عبد المنعم نور ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٨٠ .

٩ - زكى محمد إسماعيل : انثروبوجيا التربية ، دراسة ميدانية في قبيلة الشيلك في السودان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١ ، ١٩٨٠ .

١٠ - سامية حسن الساعاتى : الثقافة والشخصية ، مبحث في علم الاجتماع الثقافى . دار النهضة العربية ١٩٨٣ .

١١ - رمضان محمد القذافى : علم النفس العام ـ الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٣ .

١٢ - سامية محمد جابر : القانون والضوابط الاجتماعية ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٨٨ .

١٣ - سناء الخولى : التغير الاجتماعى والتحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٤

١٤ - السيد رمضان : الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي ، المكتب الجامعى الحديث .

١٥ - السيد عبد العاطى : صراع الاجيال ، دراسة في ثقافة الشباب ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .

١٦ - سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشخصية ، محدداتها ـ قياسها ـ نظرياتها ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ .

١٧ - صلاح العبد وآخرون : الكتاب السنوي الاول للتنمية الريفية ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

١٨ - عاطف وصفى : الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

١٩ - عبد الباسط محمد حسن . اصول البحث الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

٢٠ - عبد الجليل الطاهر : البدو والعشائر في البلاد العربية ، ١٩٥٤ .

٢١ - عبد الحليم منتصر . صحارى مصر ، دار الهلال ، ١٩٦١ .

٢٢ - عبد الرحمن العيسوى : محاضرات في سيكولوجية ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧ .

٢٣ - عبد الرحمن العيسوى : امراض العصر ، الامراض العقلية والسيكوباتية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢ .

٢٤ - عبد الحميد الهاشمى : علم النفس التكوينى ، دار المجتمع العلمى بجدة ، ١٩٨٠ .

٢٥ - على أحمد عيسى : المجتمع العربي ، دراسات اجتماعية ، دار المعارف ، ١٩٦١ .

٢٦ - علاء الدين البياتى : البناء الاجتماعى والتغير في المجتمع الريفى ، الراشدية دراسة انثروبولوچية اجتماعية ، مؤسسة العليمى ، دار التربية بغداد (د . ت)

٢٧ - علياء شكـرى : بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى في الوطن العربي ، دار الجيل للطباعة ، ط ١ ، ١٩٧٩

٢٨ - غريب سيد احمد : المدخل في دراسة الجماعات الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

٢٩ - غريب سيد احمد : علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

٣٠ - فاروق احمد مصطفى : دراسات في الانثروبولوچيا التطبيقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٣ .

٣١ - فاروق مصطفى اسماعيل : العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية ، الهيئة المصرية العامنة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٥ .

٣٢ - فاروق مصطفى اسماعيل : التغير والتنمية في المجتمع الصحرواى ، دراسة انثروبولوچية في امتداد مريوط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٧ .

٣٣ - فؤاد البهى السيد : الاسس النفسية للنمو ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٣٤ - فوزى رضوان العربي : الحيازة في المجتمع البدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٠ .

٣٥ - محمد حسن غامرى : مقدمة في الانثروبولوچيا العامة ، المكتب العربي الحديث ، ١٩٨٩ .

٣٦ - محمد لبيب النجيحى : الاسس الاجتماعية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ .

٣٧ - محمد الهادى عفيفي : التربية والتغير الثقافى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣٨ – محمد الهادى عفيفي : التربية ومشكلة المجتمع ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٣٩ – محمد عباس ابراهيم : الثقافات الفرعية ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الخامس ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

٤٠ – محمد عبده محجوب : الانثروبولوجيا ومشكلات التحضر ، الكتاب الثانى ، دراسات حقلية في المجتمع المصرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨١

٤١ – محمد عبده محجوب . انثروبولوجيا الزواج والاسرة والقرابة ، السلسلة السوسيوانثروبولوجية ، الكتاب الاول ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

٤٢ – محمد عبده محجوب : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

٤٣ – محمد عبده محجوب : الضبط الاجتماعى في المجتمعات القبلية ، دراسة في الانثروبولوجية السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٤٤ – محمد على محمد وآخرون : المجتمع والثقافة والشخصية ، مدخل الي علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

٤٥ – محمد على محمد : وقت الفراغ في المجتمع الحديث ، مبحث في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٤٦ – محمد المرزوقي : مع البدو في حلهم وترحالهم ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ .

٤٧ – محمد يسرى دعبس : تنمية الموارد البشرية في المجتمع البدوي ، دراسة في الانثروبولوجيا الاقتصادية ، دار ام القرى للطباعة ، ١٩٩١ .

٤٨ – محمد يسرى دعبس : اقتصاديات مجتمع الانفتاح ، دراسة في الانثروبولوجيا الاقتصادية ، دار ام القري للطباعة ، ١٩٩١ .

٤٩ – محمد يسرى دعبس التربية والمجتمع ، دراسة في انثروبولوجيا التربية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ .

٥٠ – محمد يسرى دعبس : اوضاع المسنين في الثقافات المختلفة ، دراسة انثروبولوجية مقارنة ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ .

٥١ – محمد يسرى دعبس الحياة الاقتصادية للمسنين ، دراسة انثروبولوجية لدور المسنين ، دار ام القري للطباعة ، ١٩٩٢ .

٥٢ – محمد يسرى دعبس : الادمان في الثقافات المختلفة ، دراسة في انثروبولوجيا الجريمة ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩١ .

اولاً: المراجع الاجنبية

1) *Anderson, Nels.,* : Work and Leisure, Routledge & Kegan Paul, London, 1980.

2) *Abrams, C* : Man's Struggle on Shelter in an Urbanizing World, Chicago the Massachusetts Institute of Technology, 1964.

3) *Barker, B.,* : Drugs and Society, Pael sage N.Y. Pussel Sage, Foundation, 1967.

4) *Bailey, F. G.,* : The Peasant View of the Bad Life, the dvancement of Science, vol 23, 1966.

5) *Beals, A.R.,* : Culture in Process, Hoet Rusehort and Winton, Inc., 1970.

6) *Beals, R.,* : An introduction to Anthropology 5th ed., London, Macmallin, 1977.

7) *Bell, H. E.,* : Social Foundation of Human Behavior, Harper & Rows, N.Y., 1961.

8) *Best, F.,* : The Future of Work, Prentice-Hall, Englood Cliffs, 1973.

9) *Beveridge and Other* : Social Security Routledge & Kegan Pual, London, 1968.

10) *Bennett, John,* : The Ecological transtion, cultural anthropology and Human adaptation, N.Y., Pergamon pre, 1976.

11) *Bohannang P.,* : Social Anthropology, N.y., holt Rinehart,1963.

12) *Bolle, C.R.,* : Theory of Motivation, Harper &Row publisher, N.Y,1967.

13) *Bower, H.G.,* : Theories of learning, prentice-hall, Inc,Englwood eliffs,1981.

14) *Bromley, D.B.,* : The psychology of Human Ageing, Penguin, London, 1966.

15) *Chiang, M.H.* : The healthy personality, D. van notured company,N.Y.,1977

16) *Cattell, R.B.,* : Personality, a systematic theoretical and factual study Mc Grow Hill, N.Y., 1950.

17) The Scientific Analysis of personality, penguin Books Baltimore, 1965.

18) *Collier,J.,* : Viual Anthropology, Photography as reasearch Methods, N.Y., Holt, Rinehort,1967.

19) *Comfort, A.* : The process of ageing N.Y., 1964.

20) *Crandoll, C. Richard.,* : Gerontology, abehavioral science approach, addison wesley publishing company.Inc.,1980.

21) *Dalton, G.,* : Theoritical Issues in Economic Development and social Change the National History press,1971.

22) *Dougla, M.,* : Rule nd Meaning, Edited by Mary Dougla, N.Y., Penguin Book, Ltd,1973.

23) *Dror,Y.,* : Law and social change in wilhelm aubert (ed) sociology of law, pengiun Book, England,1972.

24) *Ehrich,P.R.,* : Population, Resourcess, Environment, Freman and company San Francissco, 1972.

25) *Ewen, B. Robert.,* : An introduction to theories of personality, A subsidiary of harcourt Brace Jovanvich publishers, 1980.

26) *Feltein, I.,* : Later life, Geriatrics today and tomorrow, penguin, 1969.

27) Fillmore, J, C. And Others, : Individual difference in language ability and language, behavior, Aubidiary of harcourt brace jovanovich, publisher, 1979.

28) *Gwlford, j. P.,* : Personality, Mc Graw Hill, N.Y.,1950.

29) *Hommond, P. B.,* : Cultural and Social Anthropology, 2nd ed., London, Macmillan, 1975.

30) *Hordesty,* : Ecological Anthropology, N.Y., Johnwilly, 1977.

31) *Havil and, W.,* : Anthropolgy, Holt-Rin ehart,1974.

32) *Hurlock, B. E.,* : Personality development, Tata Mc Grow Hill Publishing Company, Ltd.,1974.

33) *Kolb, Schwitzgebel.,* : Changing Human Behavior, Principles of planned intervention, McGrow-hill, koga-Kuha, Ltd, 1974.

34) *Lindsay, N.,* : Human information proceing, an introduction to psychology, apubsidiary of harcourt Brace Jovanovich, Publisher, 1977.

35) *Lazaru, S. R.,* : Patterns of adjutment, Mcgraw-Hill Koga Kuha, Ltd, 1976.

36) Liclz,T., : The person, His and her development throughout

the life cycle, Basic Books Inc Publisher, N.Y., 1975.

37) *Liggett. J.*, : The human face, Constable, London, 1974.

38) *Lipton, M.*, : Why poor people stay poor, Hertage publisher, New Delhi, 1982.

39) *Lowie, R.*, : Primitive Religion, N.Y., Liverichat,1970.

40) *Mead, M.*, : New live for old, Morrŏw quill paperbakes, N.Y., 1975

41) *Mead, M.*, : Sex and temperimentaiŏn three primitive societie, routledge and son, London, 1963.

42) *Mischel, W.*, : Introduction to personality Holt, Rinehart and Winston, 1971.

43) *Parsons, T.*, : Social structure and personality collier macmillan, Ltd., London, 1970.

44) *Peterson, W.*, : Population, Macmillan and collier co. Inc, N.Y., 1972.

45) *Pikuna, J.*, : Human Development and Emergent science, McGrow-Hill, Kogan Kuha., 1976.

46) *Ripple, E.R.*, : Human Development, Houghton Mifflin company, 1982.

47) *Roet, E.*, : Ageing proce of population pergamon press, Oxford, 1964.

48) *Russel, H.b.*, : The Human way, Readings in Anthropology macmillan, london, 1975.

49) *Reynold, G.A.* : Cognitive psychology winthrop publisher, Inc, 1977.

50) *Schusky, E.L.,* : The study of cultural Anthropolgy, Holt Rinehart&Winston, N.Y.,1975.

51) *Smeler, J. N.,* : Personality and social system, John Wiely, and son, Inc,1970.

52) *Stephen A.T.,* : Cognitive Anthropology N.Y. Holt, Rinehart, 1969.

53) *Schultz D.,* : Theories of personality, Cool publishing company, 1976

54) *Stagener R.,* : Psychology of personality Mcgraw-Hill books company inc, 1961.

55) *Towns P.,* : The Family Life of old People, Peguin, London 1963.

56) *Wallace A.,* : Culture and Personality 2nd ed., Random Houe, N.Y.,1976.

57) *Vago, S.,* : Social change, Halt Rinehart & Winston 1979.

58) *Vaizey J.,* : Education for tomorrow, Penguin Books, London 1970.

ثالثاً: الدوريات والمجلات

١ - عبد المنعم عاشور : سيكلوجية المسنين ، مجلة البحوث والدراسات النفسية ، عدد يناير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ .

٢ - عصام فكرى : علم الشيخوخة ، مجلة عالم الفكر ، مج ٦ ، عدد ٢ ، ١٩٧٥ .

فهرس الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع
١٩٩٣/٢٩٠٨

I.S.B.N : 977-00-4946-8

هذا الكتاب

* عالج مفاهيم والتصورات والاتجاهات النظرية حول دراسة الثقافة والشخصية مشيراً إلى مجال البحث فى الأنثروبولوجيا السيكولوجية كفرع من فروع علم الإنسان .

* أوضح الإهتمام التاريخى والاكاديمى بدراسة الثقافة والشخصية مع الإشارة إلى العديد من دراسات علماء مثل بوركخارت وهايزنجا وشبنجلر ومالينوفسكى وروث بندكت ومرجريت ميد ولينتون وهوينجمان وكاردينر .. إلخ .

* وتناول العلاقة بين الثقافة والشخصية مشيراً إلى مفهوم الثقافة وتعريفاتها المختلفة الوضعية والتاريخية والمعيارية والسيكولوجية والبنيوية والتطورية والأنثروبولوجية .. إلخ .

* كما تناول مفهوم الشخصية من وجهة نظر علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع وعلماء النفس واتجاهات تفسير العلاقة بين الثقافة والشخصية والتأثير المتبادل بين الثقافة والشخصية .

* وتناول التكوين النفسى للمسنين فى الثقافات المختلفه كدراسة ميدانية موضحاً التكوين الجسمى للمسن وخصائصه فى تلك الانماط المجتمعيه المتباينه ثقافياً .. ثم خصائص التكوين الانفعالى للمسنين من خلال تحليل مشاعر الاحساس بالانجاز والاتمام والاحساس بالفشل والتدين وتفاوت تلك المشاعر وانفعالاتها تبعاً للتباين الثقافى .

* وتناول التكوين العقلى للمسنين فى الثقافات المختلفة مستعرضاً عمليات إدراك الزمن وفقدان الذاكره والنسيان والامراض النفسيه والعقليه التى قد يعانى منها المسنون .. وطبيعة التكوين الاجتماعى للمسنين من خلال عمليات العلاقه بين الطبقات العمريه المختلفه وانعكاساتها على شخصيه المسن ورؤيته للابناء والاحفاد وتفاوت الادوار والمراكز بين الاجيال المختلفه .

* وتناول التكوين النفسى للمدمن فى الثقافات المختلفه ميدانياً موضحاً التأثير والتأثر بين الثقافة ومكونات الشخصيه .. ومستعرضاً التكوين الجسمى للمدمن فى تلك الانماط المجتمعيه المتباينه ثقافياً قبل وبعد الادمان .

* وتناول التكوين العقلى للمدمنين موضحاً عمليه إدراك الزمن لدى المدمن وفقدان الذاكره والنسيان والامراض النفسيه والعقليه المترتبه على تعاطى المواد المحذره المختلفه المنتشره فى كل نمط مجتمعى كل على حده .

* وتناول التكوين الاجتماعى للمدمن موضحاً خصائص فتره المراهقه والشباب وعمليه النمو الاجتماعى وتطور السلوك الاجتماعى وأثر الاسره والمدرسه والجامعه فى تكوين الشخصيه .

والكتاب فى مجمله محاوله علميه ميدانيه جاده لالقاء الضوء على عمليه التأثير والتأثر بين الثقافه والشخصيه فى ضوء واقع المجتمعات المحليه البدويه والقرويه والحضريه .